

Agatha Christie

أجاثا كريستي



القتل السهل

## القتل السهل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## القتل السهل

تُعرف أجاثا كريستي في كل أنحاء العالم باسم "ملكة القموض"، ولقد حققت مبيعات كتبها ما يربو على مليار نسخة باللغة الإنجليزية إضافة إلى مليار نسخة أخرى ترجمت إلى مائة لغة أجنبية وهي تعد أكثر كاتبة نُشرت لها كتب على مر العصور على مستوى كل اللغات، ولم يَفُتها في المبيعات إلا كتب شكسبير، وقد قامت بتأليف ثمانين كتابًا، ما بين روايات ومجموعات من القصص القصيرة في الجريمة، كما قامت بتأليف تسع عشرة مسرحية، وست روايات تحت اسم ماري ويستماكوت.

ولقد كتبت أجاثا كريستي روايتها الأولى "السر الغامض في ستايلز" قرب نهاية الحرب العالمية الأولى، والتي كانت تعمل خلالها في الجيش كممرضة. وقد قامت في هذه الرواية بابتكار شخصية هيركيول بوارو، ذلك المحقق البلجيكي ضئيل الجسم الذي صار أشهر محقق في روايات الجرائم بعد شيرلوك هولمز، وقد نشرت الرواية أخيرًا بواسطة دار نشر Bodley Head في عام ١٩٢٠.

وفي عام ١٩٢٦، وبعد أن اعتادت تأليف رواية واحدة كل عام، قامت أجاثا كريستي بتأليف روايتها العظيمة "من الذي قتل السيد روجر أكرويد؟"، تلك

www.liilas.com/vb3  
uploaded and  
scanned by:  
THE GHOST 92

إهداء  
إلى روزالين وسوزان الناقدين  
الأوليين لهذا الكتاب

الرواية التي كانت أول رواية تنشرها لها دار النشر  
" Collins " والتي أسست علاقة ربطت بين الكاتبة والناشر  
دامت لخمسين عامًا ونتاجها ما يزيد على سبعين رواية ، كما  
كانت رواية " من الذى قتل السيد روجر أكرويد " هي أولى  
رواياتها التي يتم تمثيلها مسرحيًا . تحت عنوان " Alibi " -  
واستمر عرضها بنجاح على مسرح " ويست إند " في "لندن"  
لمدة طويلة ، وقد تم افتتاح مسرحية " مصيدة الفئران " - أشهر  
مسرحياتها على الإطلاق - في عام ١٩٥٢ ، وهي المسرحية  
المعروفة بكونها صاحبة أطول فترة عرض في التاريخ .  
وقد منحت أجاثا كريستي لقب "فارسة صاحبة مقام رفيع"  
في عام ١٩٧١ ، وتوفيت في عام ١٩٧٦ . ومنذ ذلك الحين ظهرت  
عدة مؤلفات لها منها تلك الرواية التي حققت أعلى المبيعات  
" Sleeping Murder " وظهرت لاحقًا في نفس عام وفاتها .  
بعد ذلك نُشرت السيرة الذاتية لها ، ثم مجموعة القصص  
القصيرة " Miss Marple's Final Cases " و " Problem "  
" at Pollensa Bay " و " While the Light Lasts " ، وفي  
عام ١٩٩٨ تم تحويل أول مسرحية لها وهي " Black Coffee "  
إلى رواية بواسطة مؤلف آخر هو " شارلز أوزبورن " .

## المحتويات

- ١ رفيق السفر ١
- ٢ النعى ١٧
- ٣ ساحة بدون عصا مكنتة ٣١
- ٤ لوك يحرز تقدماً ٤٥
- ٥ زيارة إلى السيدة وينفليت ٦١
- ٦ طلاء القبعات ٨٣
- ٧ الاحتمالات ٩٥
- ٨ دكتور توماس ١٠١
- ٩ السيدة بيرس تتحدث ١١٣
- ١٠ روز هامبلباي ١٢٣
- ١١ الحياة العائلية للرائد هورتون ١٣٩
- ١٢ النزال ١٥٥

١٢	السيدة وينفليت تتحدث	١٧٣
١٤	تأملات لوك	١٨٩
١٥	سلوك غير لائق يصدر من السائق	٢٠٩
١٦	شجرة الأناناس	٢٢٥
١٧	اللورد ويتفيلد يتحدث	٢٣٩
١٨	مؤتمر في لندن	٢٥١
١٩	شيخ الخطبة	٢٦١
٢٠	نحن مشتركان في هذا. معًا	٢٧٣
٢١	"لماذا تتجولين عبر الحقول وأنت ترتدين قفزات؟"	٢٨٣
٢٢	السيدة هامبيلباي تتحدث	٣٠٥
٢٣	بداية جديدة	٣١٥

## الفصل ١

## رفيق السفر

## إنجلترا!

إنجلترا بعد العديد من هذه السنوات!

ترى كيف ستبدو له؟

طرح لوك فيتزوليم على نفسه هذا السؤال وهو يسير عبر الجسر إلى رصيف المحطة: فقد كان حاضراً في ذهنه طوال وقت انتظاره في صالة الجمارك، وانتقل هجأة إلى مقدمة رأسه حينما جلس أخيراً في القطار.

كان يتذكر كيف كانت تبدو إنجلترا عند رحيله، الكثير من المال للرهانات (يادئ ذي بدء على أية حال)، أصدقاء قدامى يزورهم، لقاءات مع رفاق آخرين مثله - أي إنه كان يعيش حياة خالية من الهموم زاخرة بعبارات من قبيل: "حسنًا، لن يطول أمد هذا. لماذا لا أستمع أنا أيضًا سرعان ما سوف أعود".

"من بين غيرها من الخيول، يمكن بالكاد لجوجيوب الثاني ومركز مابل وسانتوني وجيري بوى أن يتباروا مع منافسيهم. وهناك دخيل على السباق...".

ولكن لوك لم يكثر كثيرًا بالدخيل على السباق؛ فقد انتقلت عيناه على الفور إلى الرهانات. كان جوجيوب الثاني تربيته المتوسط، ٤٠ إلى ١.

نظر في ساعته التي تشير عقاربها إلى الرابعة إلا الربع، وحدث نفسه قائلاً: "حسنًا، لقد انتهى الأمر الآن". وتمنى لو أنه راهن على كلاريجولد والذي كان اختياره الثاني.

بعد ذلك فتح جريدة التايمز وابتلغته الأخبار الأكثر جدية.

ولم يمض وقت طويل قبل أن يظهر كولونيل صارم الهيئة يجلس في الركن المقابل امتعاضه من نفس الشيء الذي قرأه لتوه لدرجة جعلته ينقل هذا السخط لرفيق سفره، وقد مضت نصف ساعة كاملة قبل أن يبوح الكولونيل بمكنون صدره الذي كان يؤرقه طوال هذه المدة: "هؤلاء الشيوعيون الأوغاد، يا سيدي".

سقط الكولونيل أخيرًا في نوم عميق وهو فاغر فاه، وبعد مُضَيَّ وقت قصير أبطأ القطار خطاه وتوقف في النهاية. نظر لوك خارج النافذة، كانوا بمحطة كبيرة ذات أرصفة كثيرة تبدو خالية من الرواد، ورمق متجر كتب على أحد الأرصفة كان معلقًا به إعلان يقول: نتيجة سباق الديربي. فتح لوك الباب وقفز خارجًا وركض تجاه متجر الكتب، وبعد لحظة كان

ولكن الآن لم يعد هناك مجال للعودة. لا مزيد من اللإلى الحارة الخائقة، لا مزيد من الشمس الحارقة والجمال الاستوائي للمزارع الغنية، لا مزيد من اللإلى التي يمضيها وحده في قراءة وإعادة قراءة نسخ قديمة من جريدة التايمز. ها هو ذا، رجل تم إحلالته إلى المعاش ويمتلك بعض الموارد الخاصة، رجل نبيل يمتلك الكثير من وقت الفراغ عاد إلى إنجلترا، ولكن ماذا سوف يفعل هناك؟

إنجلترا! إنجلترا في أحد أيام يونيه، سماء رمادية ورياح حادة قارسة. ليس بها أية أمارات ترحيب بيوم كهذا والناس يا إلهي، الناس! حشود منهم، وجوههم جميعًا كانت رمادية مثل السماء. وجوه قلقة ومترقية. المنازل أيضًا كانت تبرز من كل مكان كثرعيش الغراب، منازل قدرة صغيرة منازل قدرة ممزقة للنفس! فطائر دجاج متشرة بشكل فيه مبالغة حمقاء في كل أنحاء الريف!

وبعد بذل بعض المجهود أبعد لوك فيتزوليم عينيه عن العالم خارج عربة القطار ليجعلها تستقر على الجرائد التي اشتراها لتوه، التايمز والدائلي كلاريون ونيش.

بدأ بجريدة الدائلي كلاريون. كان العدد بالكامل مخصصًا للإيسوم.

فكر لوك: "يا ليتني جثت بالأمس؛ فأنا لم أر سباق الديربي منذ أن كنت في التاسعة عشرة".

وهو قد راهن على حصان في كلوب سويبي، وأراد أن يرى الآن احتمالات فوزه في سباق الكلاريون المناظر. وقد وجد أنه تم التشويه عنه بشكل مختصر في عبارة واحدة.

يحدق وعلى وجهه ابتسامة عريضة في سطور جريدة المحطة غير الواضحة.

نتيجة سباق الدريبي

جوجيوب الثاني

مازيبا

كلاريبيوند

اتسعت ابتسامة لوك. لقد راهن بمائة دولار على جوجيوب الثاني المجوز الطيب، والذي ازدراه واستبعد فوزه جميع بائعي المعلومات السرية.

طوى الصحيفة وهو لا يزال يبتسم واستدار عائداً ليواجه الخواء؛ ففى ظل سعادته بفوز جوجيوب الثاني انسل القطار مفادراً المحطة دون أن يلاحظ.

سأل الحمال المتجههم: "متى بحق السماء غادر القطار؟".  
أجاب الأخير:

"أى قطار؟ لم يأت أى قطار إلى المحطة منذ قطار ١٤، ٣".

"كان هناك قطار يقف في المحطة الآن. لقد خرجت منه لتوى، الإكسبريس بوت".

أجاب الحمال فى صرامة:

"إن قطار الإكسبريس بوت لا يتوقف بأى محطة حتى لنن".

قال له لوك مؤكداً: "لكنه توقف، وقد خرجت منه".

كرر الحمال دون أن يحرك ساكناً: "هذا القطار لا يتوقف بأية محطات حتى لنن".

"لقد توقف على هذا الرصيف وخرجت أنا منه، أؤكد لك هذا".

بعد كثير من المجادلات، تخلى الحمال عن إصراره.  
فقال له فى لوم: "ما كان ينبغي عليك ذلك، إنه لا يتوقف هنا".

"ولكنه توقف".

"إن ذلك يسمى إشارة. لقد أرسلت له إشارة، وهذا ليس ما تسميه "توقف"".

قال لوك: "أنا لست خبيراً فى تلك الفروق الدقيقة مثلك، الأهم، ماذا أفعل الآن؟".

كرر الحمال. صاحب الأفكار البطيئة. كلمات العتاب قائلاً:  
"ما كان ينبغي عليك مفادرة القطار".

قال لوك: "أوافقك الرأى وأنا أعترف بخطئى، ولكن الخطأ قد وقع بالفعل. ولن يفيد البكاء على اللبن المسكوب، ما أحاول أن أقوله هو: ما الذى تصححنى بفعله الآن بصفتك موظفاً

صاحب خبرة فى شركة السكك الحديدية؟".

"أنت تسألنى ما أفضل شيء يمكنك القيام به الآن؟".

قال لوك: "هذا صحيح، أعتقد أن هناك قطارات أخرى تتوقف. تتوقف بصورة رسمية. هنا؟".

قال الحمال: "الأفضل لك أن تستقل قطار ٢٥، ٤".

قال لوك: "إن كان قطار ٤,٢٥ يذهب إلى لندن، إذن فسوف أستقله".

بعد أن استقر على هذا القرار، أخذ لوك يذرع الرصيف جيئةً وذهاباً، وأخبرته لافتة كبيرة بأنه كان في نقطة اتصال فينى كلايتون الخاصة ببلدة ويتشود أندراش، وحالياً جاء قطار ذو عربة واحدة يتهادى، يدفعه محرك صغير عتيق، دلف القطار إلى المحطة ببطء وهو يطلق الدخان داخل خليج متواضع، وخرج منه ستة أو سبعة أشخاص انضموا إلى لوك على رصيف المحطة بعد أن عبروا جسراً، وهجأة دبت الحياة في الحمال المتجهج وشرع في دفع عربة كبيرة مليئة بالأقفاص والسلال، انضم إليه حمال آخر، وهجأة شرع في جلجلة عتوات اللب، لقد دبت الحياة في فينى كلايتون.

وأخيراً، وفي أبهة كبيرة، جاء قطار لندن. كانت عربات الدرجة الثالثة مزدحمة، أما عربات الدرجتين الأولى والثانية فكانت مكونة من ثلاث مقصورات فقط، كل منها يضم بين طياته مسافراً أو مسافرين، تفحص لوك كل مقصورة، كانت الأولى - المخصصة للمدخنين - تضم رجلاً عسكرياً يدخن سيجاراً، لكن لوك شعر أنه نال كفايته من الكولونييلات الإنجليز ذوي الأصول الهندية. انتقل إلى المقصورة التالية والتي كانت تضم شابة رقيقة تبدو متعبة، والتي تعمل في الغالب مشرفة حضانة. وطفلاً نشطاً في الثالثة من عمره تقريباً، تحرك لوك من أمام هذه العربة سريعاً. كان الباب التالي مفتوحاً؛ حيث كانت المقصورة تضم مسافرة واحدة، سيدة عجوز، ذكرت

لوك بإحدى عماته، عمته ميلدرد والتي سمحت له في بادئة تتم عن الشجاعة بالاحتفاظ بأفعى ذات أجراس حينما كان في العاشرة من عمره. إن العمة ميلدرد كانت عمة خنونة وعطوفة كحال العمات جميعاً. دخل لوك العربة وجلس.

بعد مضي خمس دقائق من الحركة المحمومة بالمكان المخصص لشاحنات اللب وعربات البضائع وأماكن الترفيه الأخرى، تحرك القطار ببطء مغادراً المحطة. فتح لوك حقيبته وركز على الأخبار التي قد تثير اهتمام رجل قرأ صحيفة الصباح بالفعل.

تمنى ألا يضطر إلى مواصلة القراءة لفترة طويلة؛ فيوصفه رجلاً له العديد من العمات، فقد كان واثقاً من أن السيدة العجوز اللطيفة في الركن المقابل لا تتفضل قضاء وقت الرحلة إلى لندن في صمت.

وقد كان محقاً، فنافذة كانت بحاجة إلى ضبط ومظلة سقطت مهدتا الطريق أمام السيدة العجوز كي تحدثه عن مميزات هذا القطار.

"ساعة واحدة وعشر دقائق فقط، هذا جيد جداً كما تعلم. أفضل من قطار الصباح كذلك؛ قطار الصباح يستغرق ساعة وأربعين دقيقة".

أردفت قائلة:

"بالطبع؛ فالجميع تقريباً يستقلون قطار الصباح. أعنى حينما يكون سعر تذكرة الصباح أقل، يصبح من السخف استئصال قطار بعد الظهر، ولقد كنت أنوى السفر هذا

واصلت حديثها سريعاً بعد أن رقت وجه لوك البرونزي سريعاً: "وبالطبع أنا أعرف جنوداً يسافرون في الإجازات بالدرجة الأولى. أعني لكونهم جنوداً فمن المتوقع منهم -".  
 ظل لوك محققاً إلى هاتين العينين البراقبتين الفضوليتين.  
 وقد أذعن على الفور؛ إذ علم أنه سيصل إلى هذه النقطة في النهاية.  
 قال: "أنا لست جندياً".

"آه، أنا آسفة. أنا لم أقصد هذا. أنا فقط فكرت. أنك مصاب بسمرة شديدة. وربما تكون قد رجعت إلى الوطن من الشرق في إجازة".

قال لوك: "لقد عدت إلى الوطن من الشرق ولكن ليس في إجازة". وقد فضل أن يقيم المزيد من الأسئلة الاستكشافية بإدلائه بتصريح جرىء: "أنا شرطي".  
 "تعمل بالبوليس؟ إن هذا مشوق حقاً، إن لي صديقة مقربة التحق ابنها مؤخراً بالشرطة".

قال لوك سالكا طريقاً مختصراً: "ماينج سترايتس".  
 "آه، يا إلهي. هذا مثير. يا لها من مصادفة. أعني سفرك في هذه العربة. فهذه المهمة التي أود القيام بها في المدينة بخصوص. حسناً، أنا ذاهبة إلى شرطة سكوتلاند يارد".  
 قال لوك: "حقاً؟".

فكر بينه وبين نفسه: "هل سينتهي ما بجعبتها سريعاً كالساعة الرملية، أم أن هذا الحال سيستمر طوال الطريق إلى لندن؟". ولكنه لم يكن مستاء للغاية؛ لأنه كان مغرمًا حقاً

الصباح ولكن ونكي بو كان مفقوداً، هذا هو قملى الفارسي، وهو قط جميل حقاً، إلا أنه كان مصاباً بالحمى أذنه مؤخرًا. وبالطبع لم يكن في إمكانى مغادرة المنزل حتى أعثر عليه".  
 تمتع لوك:

"بالطبع لا"، ثم ترك عينيه تسقطان على الفور على جريدته، ولكن لم يجِد هذا نفعاً؛ فقد تدفق سيل الشررة.  
 "لذا لم يكن هناك يد من اللجوء إلى الخيار الثاني وهو قطار ما بعد الظهيرة، وبالطبع هذا القطار له مميزاته؛ فهو ليس مزدحمًا للغاية. وأنت لن تعاني من هذه المشكلة بالطبع إن استقلت الدرجة الأولى. وبالطبع أنا لا أستقل هذه الدرجة دائماً. أعني أنني أعتبر هذا ضرباً من الرفاهية؛ فلا يتبقى للمرء الكثير بعد دفع الضرائب وأجور الخادمين وغيرها من النفقات هذا مع انخفاض الإيرادات كذلك. ولكنني كنت مستاءة حقاً لأننى - وكما ترى - ذاهبة لإتمام مهمة في غاية الأهمية وأردت أن أفكر فيما ينبغي أن أقوله بدقة. في هدوء كما تعلم".

منع لوك نفسه من التيسم. فأردفت قائلة: "وحيثما يكون هناك أشخاص يسافرون للشمال كذلك. حسناً لا يمكن للمرء ألا يكون ودوداً. لذا فقد ظننت أن التكاليف الإضافية قد آتت أكلها ولو لمرة. بالرغم من أنني لا أعتقد أنه يمكن للمرء أن يهدر أموالاً في أيامنا هذه. فلا يوجد من يدخر أو يفكر بالمستقبل. وكما أن حزيناً لأن الثوانى قد تم إلغائها. فقد كانت تحدث هذا الفارق البسيط".

قالت أخيراً: "طالما اعتقدت أنه من الأفضل اللجوء إلى المصدر الرئيسى، إن جون ريد هو شخص لطيف حقاً. هذا هو شرطينا فى ويتشود. رجل دمى وممسول الكلام. ولكننى لا أشعر أنه الشخص المناسب للتعامل مع موضوع بهذه الجدية والخطورة؛ فهو معتاد على التعامل مع التملين أو هؤلاء ممن تغطوا السرعة أو المعردين. أو الأشخاص الذين لم يستخرجوا رخصة لتربية كلب. أو ربما مع اللصوص. ولكننى لا أعتقد. وأنا واثقة من هذا. أنه الشخص الملائم للتعامل مع جريمة قتل".

رفع لوك حاجبيه:

"قتل؟"

أومأت السيدة المعجوز بقوة:

"نعم، قتل. أنت مندعش، يمكننى أن أرى هذا. أنا كنت خائفة فى البداية... فى الواقع لم يكن باستطاعتى تصديق ذلك، وقد اعتقدت أننى أخيل أشياء".

سأل لوك بركة: "هل أنت واثقة أنها ليست مجرد أوهام". هزت رأسها فى ثقة: "لا، لا. ربما ظننت ذلك فى المرة الأولى، ولكن ليس الثانية أو الثالثة أو الرابعة؛ فبعد ذلك يصبح المرء واثقاً".

قال لوك:

"أتمنين أنه وقعت. عدة جرائم قتل؟"

أجاب الصوت الرقيق الهادئ:

"أخشى ذلك".

واصلت كلامها قائلة:

بعتمه ميلدرد، وتذكر كيف أنها استطاعت ذات مرة تصديق دين قيمته خمسة جنيهات فى اللحظة النهائية الحاسمة. علاوة على ذلك، فإن ثمة شيئاً حميماً وإنجليزياً بهؤلاء السيدات المعجائز مثل تلك السيدة المعجوز وعمته ميلدرد. فلم يكن هناك ما يضاھيهن فى ماينج سترابيتس. وهن كن يتميزن بعمل بودينج البرقوق فى رأس السنة وكريكات القرية والمدافئ المفتوحة التى تحرق بها الأخشاب، إنها نوعية الأشياء التى تشاق لها كثيراً وتقدرها حقاً حينما لا تكون بحوزتك وتكون على الجانب الآخر من العالم (وهى أيضاً نوعية الأشياء التى تمل منها حينما تحصل على الكثير منها، ولكن لوك لم يصل إلى إنجلترا إلا منذ ثلاث أو أربع ساعات مضت).

واصلت السيدة المعجوز حديثها بسعادة:

"نعم، كنت أنوى الذهاب فى هذا الصباح. وبعد ذلك كما أخبرتك ساورنى القلق بشأن ونكى بو، لكنك لا تعتقد أن الوقت قد تأخر، أليس كذلك؟ أعنى ليس هناك ساعات عمل محددة فى سكوتلاند يارد".

قال لوك: "لا أعتقد أنهم يغلزون أبوابهم فى الرابعة أو أى شئ من هذا القبيل".

"لا، بالطبع لا، لا يمكن ذلك، أليس كذلك؟ أعنى ربما يود أحدهم الإبلاغ عن جريمة خطيرة فى أى وقت، أليس كذلك؟"

قال لوك: "بالطبع".

سكتت السيدة المعجوز للحظة. وقد بدت قلقة.

قبل أن يشك أحد به . ماذا كنت أقول؟ آه، نعم، قال أحدهم إنه ثمة نظرة ما . نظرة معينة يرمقها لأى شخص . وبعد ذلك بوقت قصير يصبح الشخص مريضاً، أنا لم أصدق هذا حينما قرأته، ولكنه صحيح!"

"ما الصحيح؟"

"النظرة على وجهه..."

حدق بها لوك . كانت ترتعد قليلاً وقد فقدت وجنتاهما بعض احمرارهما .

"رأيت هذا أولاً مع أمى جيبس . وقد ماتت . بعد ذلك كان كارتر، وتومى بيرس . ولكن الآن . بالأمس . كان دكتور هاميلباى . وهو رجل طيب حقاً . رجل طيب بالفعل، إن كارتر كان سكيراً وتومى بيرس كان فتى صغيراً ممثلاً الخدين ووقعاً ويستأسد على غيره من الفتيان الصغار، يلوى أيديهم ويقرصهم، أنا لم أشعر بالحزن كثيراً من أجلهما، ولكن دكتور هاميلباى مختلف . لا بد من إنقاذه . والشئ المريع حقاً هو أننى لو ذهبت إليه وأخبرته بهذا الأمر فإنه لن يصدقنى! سوف يضحك فقط! وجون ريد لن يصدقنى كذلك . ولكن فى سكوتلاند يارد سيكون الأمر مختلفاً؛ فهم معتادون على الجرائم هناك!"

نظرت خارج النافذة .

"يا إلهى! سوف نصل خلال لحظات"، بدت قلقة بعض الشئ وأخذت تقتنع وتقلق حقيبتها، وشرعت فى الإمساك بمظلتها .

"لهذا اعتقدت أنه من الأفضل الذهاب مباشرة إلى سكوتلاند يارد وإبلاغهم بالأمر، ألا تعتقد أنه أفضل شئ يمكن القيام به؟"

نظر لوك إليها وهو مستغرق فى التفكير ثم قال:

"آه، نعم . أعتقد أنك محقة تماماً".

فكر بينه وبين نفسه:

"إنهم سوف يعرفون كيف يتعاملون معها؛ إذ يتوارد عليهم فى الغالب نصف دسنة من السيدات العجائز اللاتي يثرثرن حول جرائم القتل التي ترتكب فى قرأهن الرقيقة الهادئة! وربما يكون هناك قسم خاص بالسيدات العجائز اللطيفات".

وقد رأى فى خياله كذلك محققاً شاباً عطوفاً ووسيماً يتمتم

فى لباقة:

"شكراً لك يا سيدتى: نحن مهتمون لك للغاية، الآن عودى إلى منزلك واتركى لنا الأمر ولا تقلقى حياله بعد الآن".

ابتسم قليلاً لنفسه حينما تخيل هذه الصورة، وفكر بينه

وبين نفسه:

"أسما! لماذا تراودهن مثل هذه الخيالات؟ ربما بسبب حياتهن الريفية، وهناك توق شديد غير معترف به للدراما، وقد سمعت أن بعض السيدات يتوهمن أن الجميع يضعون لهن سماً فى طعامهن".

أفاق من هذه التأملات على صوت السيدة الرفيع والرقيق:

"أعلم، أتذكر أننى قرأت ذات مرة . أعتقد أنها كانت

قضية أبركرومبى . بالطبع لقد قام بسم عدد كبير من الناس



قالت لوك وهو يلتقط مظلته للمرة الثانية: "أشكرك  
أشكرك كثيراً، أنت لا تعلم مدى الراحة التي أحسست بها  
حينما تحدثت إليك. إنك عطوف للغاية وأنا سعيدة لأنك تعتقد  
أننى أفعل الصواب".

قال لوك فى عطف:

"أنا واثق من أنهم سيقومون بإسدائك نصيحة جيدة فى  
سكوتلاند يارد".

أخذت تفتش فى حقيبتها قائلة: "أنا ممثلة لك للغاية.  
بطاقتى، يا إلهى، إن لدى واحدة فقط. لابد أن أحفظها بها من  
أجل سكوتلاند يارد".

"بالطبع، بالطبع...".

"لكن اسمى هو بنكرتون".

قال لوك وهو يبتسم: "إنه اسم جميل حقاً يا سيدة  
بنكرتون"، ثم أضاف سريعاً حينما بدت مرتبكة: "واسمى هو  
لوك فيتزوليم".

أضاف حينما دلف القطار داخل المحطة.

"أتودين أن أجلب لك سيارة أجرة؟".

"لا، لا، شكراً لك". بدت السيدة بنكرتون مصدومة من  
الفكرة. "سوف أستقل القطار. إنه سوف يأخذنى إلى ميدان  
ترافالجر، ويمكننى السير حتى وايت هول".

قال: "حسناً، حظاً سعيداً".

صافحته السيدة بنكرتون بحرارة.

تمتت ثانية: "أنت عطوف للغاية. أتعلم، فى البداية ظننت  
أنك لا تصدقنى".

تورد وجه لوك.

قال: "حسناً، العديد من جرائم القتل من الصعب أن  
يرتكب أحدهم الكثير من جرائم القتل ويفلت بفعلته، أليس  
كذلك؟".

هزت السيدة بنكرتون رأسها.

قالت بجديّة:

"لا، لا يا عزيزى، هنا حيث تقع فى الخطأ. من السهل  
للغاية أن تقتل. طالما لا أحد يشك بك، وكما ترى فإن المجرم  
هو آخر شخص يمكنك توقمه!".

ابتلع الزحام السيدة بنكرتون. وقد ذهب لوك بحثاً عن  
حقائبه وهو يفكر:

"يا لها من معتوهة؟ لا، لا أعتقد هذا، إنه فقط خيال  
خصب. أتمنى أن يبطأوا من عزمها برقة، يا لها من سيدة  
عجوز طيبة!".



۲

كان قد مضى أكثر من أسبوع، حينما كان لوك يتصفح عرضيًا الصفحة الأولى لجريدة التايمز وشق مفزوعًا عند وقوع عينيه على خبر ما.

"آه، يا إلهي!"

نظر إليه جيمي لوريير.

"ما الأمر؟"

لم يجب لوك. كان يحدق إلى اسم في أحد أعمدة الجريدة.

كرر جيمي سؤاله.

رفع لوك رأسه ونظر إلى صديقه. كان التعبير المرسوم على وجهه مخيفًا لدرجة أن جيمي أجفل.

"ما الأمر يا لوك؟ تبدو كأنك رأيت شيئًا."

طوال دقيقة أو اثنتين لم يجب الطرف الآخر، ولكنه أسقط الجريدة وسار إلى النافذة ثم عاد مجددًا. ظل جيمي يراقبه بدهشة متزايدة.

سقط لوك فوق أحد المقاعد واتكأ للأمام.

"جيمي، يا عزيزي، هل تذكر تلك السيدة المعجزة التي سافرت معها يوم وصولي إلى إنجلترا وكنت حدثك عنها؟"

"تلك التي قلت إنها ذكرت بك بممك ميلدرد؟ وبعد ذلك أخبرتني أنها تعرضت لحادث سيارة لقيت مصرعها على إثره؟"

"بالطبع قد لا تكون هي. ولكنه نفس الاسم. بنكرتون. لقد دهستها سيارة أثناء عبورها ساحة وايت هول. والسيارة لم تتوقف."

قال جيمي: "يا له من وغد!"

"نعم، السيدة المعجزة للطفة، أنا أسف من أجلها للفاية."

كانت تذكرني بممك ميلدرد."

"أيًا كان الذي يقود هذه السيارة، فإنه سوف ينال جزاءه؛ لأنه في مثل هذه الحالات يتساوى القتل المتعمد بغير المتعمد، ولا أخفيك أنني أخشى أن أقود سيارة في وقتنا الحالي."

"ما نوع السيارة التي تملكها الآن؟"

"فوردي 8، لا بد أن أخبرك أنها..."

أصبح الحوار ميكانيكيًا للفاية.

قاطعه جيمي فجأة كي يسأل:

"ما الذي تدندنه؟"

كان لوك يدندن أغنية بينه وبين نفسه:

"فيدل دي دي، فيدل دي دي، ذا فلاي هاز ماريد ذا بامبل

بي."

اعتذر له قائلاً:

"إنها أغنية كنت قد تعلمتها أثناء طفولتي بالحضانة. لا

أعلم ما الذي ذكرني بها."

وبين أغنية أطفال اعتادوا ترديدها لي حينما كنت طفلاً، فيدل دي دي، فيدل دي دي، ذا فلاي هاز ماريد ذا بامبل بي".

"يا لك من حاذق، ولكن ما المغزى؟".

"المغزى أيها الأحق أن اسم الرجل كان هامبلي. دكتور هامبلي، ولقد أخبرتني السيدة المعجوز أن دكتور هامبلي هو الضحية التالية، وهي كانت حزينة لأنه "رجل طيب للغاية". وقد علق الاسم في رأسي بسبب الأغنية التي أخبرتك عنها".

قال جيمي: "حسنًا؟".

"حسنًا، انظر إلى هذا".

أعطاه لوك الجريدة بينما أصبحه مركّز على بداية عمود الوقفيات.

هامبلي. في الثالث عشر من يونيو. وعلى نحو مفاجئ. توفي دكتور جون إدوارد هامبلي الزوج المحب لجيمس روز هامبلي في منزله سانديجيت في ويتشور أندراش. الجنازة يوم الجمعة، ممنوع إحضار الزهور نزولاً على رغبة الأسرة.

"هل ترى يا جيمي؟ هذا هو الاسم وهذا هو المكان وهو طيب. بم تفسر هذا؟".

استغرقت الإجابة من جيمي لحظة أو اثنتين. كان صوته جادًا حينما قال أخيرًا في عدم ثقة:

"أعتقد أنها مجرد مصادفة غريبة لعينة".

"حقًا يا جيمي؟ أمي كذلك؟ أهذا هو كل ما في الأمر؟".

شرع لوك في السير للأمام والخلف مجددًا.

"إنها هي. أنصت يا جيمي. لقد ظلت السيدة المعجوز تهذي طويلاً بشأن ذهابها إلى سكوتلاند يارد لإبلاغهم عن مجموعة من حوادث القتل؛ فهناك قاتل طليق في قريتهم. فذلك هو ملخص ما أخبرتني به، وهو ينفذ عمليات قتل سرية متوالية".

قال جيمي: "إنك لم تجربني بأنها معتوهة".

"لم أعتقد أنها معتوهة".

"بالله عليك يا عزيزي، جرائم قتل بالجملة —".

قال لوك في نفاذ صبر:

"لا أعتقد أنها كانت مجنونة، بل ظننت فقط أنها تطلق العنان لخيالها مثلما تفعل السيدات العجائز في بعض الأحيان".

"حسنًا، نعم. ربما يكون هذا صحيحًا، ولكنها على الأرجح معتوهة كذلك، أنا واثق من هذا".

"لا يهم ماذا تعتقد يا جيمي. حاول أن تنصت إلى ما أخبرتك به الآن".

"حسنًا، حسنًا، ما الأمر".

"لقد كانت قصصية وأخبرتني باسم ضحية أو اثنتين ثم شرحت لي أن ما يورقها حقًا هو أنها تعلم الضحية التالية".

قال له جيمي متسرعًا إياه على مواصلة كلامه: "نعم، وماذا بعد؟".

"في بعض الأحيان يعلق اسم في رأسك لأحد الأسباب السخيفة؛ وهذا الاسم علق في رأسي لأتني فمت بالربط بينه

سأل جيمى: "كيف تتسر الأمر إذن؟".

استدار لوك فجأة.

"أفترض أن كل كلمة قالتها هذه المعجوز الشعطاء كانت صحيحة! أفترض أن هذه القصة الخيالية كانت هى الحقيقة".

"بالله عليك يا صديقى! سيكون ذلك أمراً غريباً حقاً! إن أموراً مثل هذه لا تحدث".

"ماذا تعرف عن قضية أبركرومبى؟ ألم ينج بجرائمه؟".

قال جيمى: "أكثر مما يعرف أى أحد: فأحد أصدقائى له ابن عم كان يعمل محققاً محلياً. وقد سمعت بعض المعلومات عن هذا الحادث منه: فهم اعتقلوا أبركرومبى من أجل إطفائه الطبيب البيطرى المحلى زرينجا، وبعد ذلك قاموا باستخراج جثة زوجته ووجدوها مليئة بنفس المادة. وهذا ليس كل ما فى الأمر، فما خفى كان أعظم: فقد أخبرنى صديقى أن هناك شكاً غير معلن أن أبركرومبى قد أفلت على الأقل بخمس عشرة جريمة قتل فى وقته. خمس عشرة!".

"تماماً. إذن فهذه الأمور تحدث".

"نعم، ولكنها لا تحدث كثيراً".

"كيف لك أن تعرف؟ إنها قد تحدث أكثر مما قد تعرف".

"هذا هو الشرطى الذى يتحدث! ألا يمكنك أن تتسنى أنك كنت شرطياً وأنك الآن تقاعدت؟".

قال لوك: "كنت شرطياً، وسوف أظل شرطياً، على ما أعتقد، الآن اسمعنى يا جيمى، إذا ما افترضنا أنه قبل أن

يجن جنون أبركرومبى للدرجة التى تجعل الشرطة تكشف جرائمه استطاعت سيدة عجوز ثرثرة أن تخمن ما سوف يفعله وعقدت العزم على أن تبلغ السلطات بهذا الأمر، فهل تعتقد أنهم قد ينصتون لها؟".

ابتسم جيمى:

"بالطبع لا!".

"تماماً، كانوا سيقولون إنها معتوهة، تماماً كما فعلت أنت! أو كانوا سيقولون: "إنها تتمتع بخيال خصب، وليس بوسمنا أن نقلع لها شيئاً"، كما قلت أنا! وجبتها يا جيمى كان كلانا سيكون قد حايد الصواب".

فكر جيمى فيما سمعه للحظة أو اثنتين، ثم قال:

"ما هو الوضع تماماً. كما يترأى لك؟".

قال لوك ببطء:

"القضية هى كما يلى. لقد سمعت قصة غير محتملة الحدوث، ولكنها ليست مستحيلة الحدوث، وثمة دليل - ألا وهو موت دكتور هامبلباى - يدعم هذه القصة. وهناك حقيقة دامنة أخرى: حيث كانت السيدة بنكرتون ذاهبة إلى سكوتلاند يارد بحكايتها غير المحتملة تلك، ولكنها لم تصل إلى هناك، فقد لقيت مصرعها حينما دهستها سيارة لم تتوقف".

اعترض جيمى.

"أنت لا تعلم إن كانت قد ذهبت للشرطة أم لا: فربما تكون قد لقيت مصرعها بعد خروجها من قسم الشرطة وليس قبل دخولها إياها".

"هل لديك أية خطة؟ أعني. لا بد أن يكون بجعبتك سبب يبرر ذهابك المفاجئ إلى هناك".  
 "نعم، أفترض ذلك".

"ليس هناك مجال للافتراض في أمر مثل هذا. هل تدرك كيف تكون مدينة ريفية إنجليزية صغيرة؟ إن أي واحد جديد يبرر من على بعد ميل".

قال لوك بعدما ابتسم فجأة: "سوف أتذكر. ماذا تقترح علي؟ سام؟ أنا لا أستطيع الرسم ناهيك عن التلوين".  
 اقترح جيمي: "يمكنك أن تكون فناناً عصرياً. في ذلك الحين لن يشكل هذا فارقاً".

ولكن لوك كان جاداً بخصوص هذا الأمر.

"مؤلف؟ هل يذهب المؤلفون إلى مزارع القرى الغريبة للتأليف؟ قد يفعلون ذلك. صياد سمك، ربما. ولكن سينبغي علي أن أتأكد إن كان هناك نهر قريب من المكان. مريض أمره الطبيب بالذهاب إلى الريف للاستفادة من الجو الصحي؟ لن يجدي هذا نفعاً، كما أن الجميع يذهبون إلى دور المسنين في أيامنا هذه. إن تلك الأفكار ليست جيدة. هيا يا جيمي ساعدني من فضلك. لا بد أن هناك سبباً منطقياً يجعل رجلاً غريباً يزور قرية إنجليزية؟".

قال جيمي:

"انتظر لحظة. أعطني هذه الجريدة مرة أخرى".

بعد أن أخذها رمتها سريعاً وأعلن في انتصار:

"هذا محتمل. ولكنني لا أعتقد هذا".

"إن هذا مجرد افتراض. لقد خلصت أنت إلى هذا، فأنت تؤمن بهذا. هذه اليلودراما".

هز لوك رأسه بعدة.

"لا. أنا لم أقل هذا. كل ما أقوله هو أنه توجد قضية تستلزم التحقيق".

"بمعنى آخر، أنت ذاهب إلى سكوتلاند يارد".

"لا. أنا لم أتوصل إلى هذا القرار بعد. ليس فعلياً. فكما

قلت، قد يكون موت هامبيلباي مجرد مصادفة".

"إذن. إذا سمحت لي بالسؤال. ما الذي تتوى فعله؟".

"أود الذهاب إلى هذا المكان ودراسة الأمر".

"إذن هذا هو ما تتوى القيام به؟".

"ألا توافقني على أن ذلك هو السبيل الوحيد لسبر أغوار الأمر؟".

حذر جيمي به ثم قال:

"هل أنت جاد بخصوص هذا الأمر يا لوك؟".

"بالطبع".

"ماذا لو أن الأمر كله مجرد وهم؟".

"سيكون هذا هو أفضل شيء يمكن حدوثه".

قطب جيمي حاجبيه قائلاً: "نعم بالطبع، ولكنك لا تعتمد

هذا، أليس كذلك؟".

"يا صديقي العزيز، إن لي عقلاً متفتحاً"، وظل جيمي

صامتاً للحظة أو اثنتين، ثم قال:

فى المكان (والذى كان ملكاً لعائلة بريدجيت بالمناسبة) وهو مشغول حالياً بتحويله إلى مبنى نموذجى ومثالى".

"واينة عمك هى سكرتيرته؟"

قال جيمى فى حزن: "كانت. لقد أصبحت أفضل حالاً الآن؛ فهى خطيبته حالياً".

قال لوك فى دهشة: "حقاً؟".

قال جيمى: "إنه صيد ثمين بالطبع؛ فليديه ثروة طائلة. لقد كانت بريدجيت واقعة فى حب شخص ما والذى جعلها تكف عن الإيمان بالرومانسية. أعتقد أن الأمر سينجح. فهى صارمة معه للغاية وهو لا يستطيع الاستغناء عنها".

"وإن يمكننى أن أقيم هناك؟"

أجاب جيمى سريعاً:

"سوف تقيم هناك. فأنت سوف تصبح ابن عم آخر. إن بريدجيت لديها الكثيرون بحيث لن يشكل واحد آخر فارقاً بالنسبة لها. سوف أرتب معها كل شيء؛ فمادمت أنا وهى صديقين مقربين، أما بالنسبة لسبب ذهابك إلى هناك، فهو السحر يا صديقى".

"السحر؟".

"الفولكلور، الخرافات المحلية. كل هذه الأشياء. إن ويتشود أندر أش مشهورة بهذه الأمور. إنها أحد الأماكن القليلة التى لا يزال يتجمع بها السحرة فى يوم السبت لممارسة سحرهم. فالساحرات كن يحرقن هناك حتى القرن الماضى. بالإضافة إلى كل أنواع الممارسات الأخرى. أنت تؤلف كتاباً، حسناً؟

"كنت أعلم هذا! لوك يا صديقى. باختصار، سوف أرتب لك كل شيء، الأمر فى غاية السهولة".

استدار لوك:

"ماذا؟".

وأصل جيمى حديثه ببعض الفخر:

"أعتقد أننى وجدت الحل! ويتشود أندر أش. بالطبع! هذا هو المكان".

"هل تعرف أحداً يعرف المحقق هناك؟".

"ليس هذه المرة. لدى ما هو أفضل من ذلك يا صديقى.

إن الله كما تعلم قد حبانى بالكثير من الممات وأولاد العم. فأبى هو أحد أفراد أسرة مكونة من ثلاثة عشر أخاً وأختاً. الآن اسمع هذا: إن أحد أبناء عمومتى يقطن فى ويتشود أندر أش".

"جيمى، أنت مدهش".

قال جيمى فى تواضع: "هذا رائع، أليس كذلك؟".

"حدثنى عنه".

"عنها. اسمها بريدجيت كونواى. طوال العامين الماضيين

كانت تعمل سكرتيرة لدى اللورد ويتفيلد".

"الرجل الذى يمتلك هذه الجريدة الأسبوعية القذرة؟".

"هذا صحيح. وهو رجل ضئيل قذر كذلك! مغروراً! لقد ولد

فى ويتشود أندر أش، وهو من النوعية المتكبرة الذى لا يكف عن إزعاجك بقصص عن مولده وتربيته وفخره بكونه رجلاً عاصمياً؛ فهو قد عاد إلى قريته واشترى المنزل الكبير الوحيد



"فقط تذكرت شيئاً قالته لى السيدة العجوز. لقد قلت لها إنه من الصعب ارتكاب العديد من جرائم القتل والإفلات بها. ولكنها أجابتني بأننى مخطئ. وأنه من السهل للغاية أن تقتل...". سكت ثم قال ببطء: "أشء إن كان هذا صحيحاً يا جيمى؟ أشء إن كان صحيحاً —".

"ما هو؟"

"أن يكون من السهل أن تقتل.....".

تربط بين عادات ماينج سترايتس والفولكلور الإنجليزي. أوجه الشبه وما إلى ذلك. أنت تعرف مثل هذه الأمور. اذهب وفى يدك دفتر ملاحظات واعقد لقاءات مع السكان الأكبر سناً بخصوص العادات والخرافات المحلية. إنهم معتادون على مثل هذه الأشياء هناك، وإن كنت تقيم فى أش مانور فذاك سيبرهن على هذا".

"ماذا عن اللورد ويتفيلد؟"

"سيكون على ما يرام. إنه غير متعلم وساذج للغاية. فهو يصدق فى الواقع الأشياء التى يقرأها فى صحفه. على أية حال سوف تتولى بريديجيت أمره. إن بريديجيت حاذقة. أؤكد لك ذلك".

أخذ لوك نفساً عميقاً.

"جيمى، يا صديقى القديم، يبدو أن الأمر سيكون سهلاً. أنت مدعش. إن كان يوسمك حقاً ترتيب الأمر مع ابنة عمك —".

"كل شئ سيكون على ما يرام، اترك الأمر لى".

"أنا ممن لك للغاية".

قال جيمى:

"كل ما أطلبه منك هو أن تشركنى فى الإثارة إذا نجحت

فى اكتشاف القتال".

ثم أضاف بجدية:

"ما الأمر؟"

قال لوك ببطء:

### الفصل ٣

## ساحرة بدون عصا مكنسة

١

كانت الشمس مشرقة حينما وصل لوك إلى التل ومنه إلى قرية ويتشود أندراش الريفية، كان قد اشترى سيارة ستاندرد سوالو مستعملة، والتي توقف بها على أعلى التل وأطلقا المحرك. كان هذا اليوم الصيفي دافئاً ومشمساً. بالأسفل كانت تستقر القرية التي لم يفسدها التطور الحديث. كانت ترقد ببراعة وسكينة أسفل أشعة الشمس. وتتكون في معظمها من شارع ممتد في غير اتساق والذي كان يمتد للأمام أسفل حافة منحدر آش ريديج.

بدأت القرية نائمة وهادئة. فكر لوك: "بالتأكيد أنا ممتوه. إن الأمر برمته هو مجرد خيال".

هل جاء إلى هنا بمفرده كي يعثر على قاتل. ببساطة بسبب ثرثرة سيدة عجوز ونعى قرأه في صحيفة؟  
هز رأسه.

البوابات ولوح جزءاً من طوب أحمر خلال الأشجار، ثم انحرف بالنظر ليصاّب بالذهول لرؤية كتلة ذات شرفات منقرجة مروعة ومتناظرة أمام ناظرية.

بينما كان يتفكر في هذا الكابوس أضاءت الشمس المكان. أصبح فجأة مدركاً لتهديد آش ريديج المفرض. كانت هناك دفقة رياح حادة مفاجئة، تلطم أوراق الشجر، وفي هذه اللحظة خرجت فتاة من ركن المنزل ذي الشرفات المنقرجة.

تطاير شعرها الأسود حول رأسها بفعل دفقة الرياح الفجائية مما جعل لوك يتذكر صورة كان قد رآها قبل ذلك. ساحرة ينفسون، الوجه الطويل الشاحب، الشعر الأسود الذي يطير نحو النجوم. كان بوسعه رؤية هذه الفتاة فوق مكينة تطير نحو القمر....

جاءت مباشرة نحوه.

"لا بد أنك لوك فيتزوليم. أنا بريديجيت كونواي."

صافح اليد الممدودة له. كان يمكنه الآن رؤيتها كما هي. وليس كما رآها في لحظة خيال. طويلة ونحيفة ذات وجه رقيق طويل ذي عظام وجنة غائرة وحاجبين أسودين ساخرين. وعينين سوداوين وشعر أسود، كانت تشبه محلولاً كيميائياً رقيقاً. لذاغاً وجميلاً.

كان قد رسم صورة في ذهنه أثناء رحلة عودته إلى إنجلترا - صورة فتاة إنجليزية متوردة الوجه أصابها حمرة الشمس. تربت على عنق جواد، وتغنّى لاقترلاع الحشائش الضاربة، وتجلس مادة يديها أمام مدفاة نارية. كانت رؤية داغمة وجميلة.

نتمتع قائلًا: "بالتأكيد مثل هذه الأمور لا تحدث. أم أنها تحدث. لوك، يا عزيزي، إن الأمر راجع لك كي تثبت إما أنك الأحمق رقم واحد في العالم، أو أن أنفك البيوليسي قد هادك إلى الرائحة الصحيحة".

أدار المحرك وقاد السيارة ببطء في الطريق المتعرج حتى دلف إلى الشارع الرئيسي.

إن ويتشود. كما سمع. تتكون في الأساس من شارع رئيسي واحد، وكانت هناك متاجر ومنازل جورجية صغيرة، أنيقة وأرستقراطية، ذات درجات بيضاء ومقارع أبواب مطلية، كما كانت هناك أكواخ رائحة ملحق بها حدائق زهور. وكانت حانة ذا بيلز أند موثلبي تستقر على بعد مسافة من الشارع. كانت توجد مساحة خضراء وبركة للبط يعلوهما منزل جورجي أنيق اعتقد لوك في البداية أنه وجهته. منزل آش مانور. ولكن عند الاقتراب رأى لافتة كبيرة تقول إنه المتحف والمكتبة، وبالأمام قليلاً كانت توجد مفارقة تاريخية، منزل أبيض عصري كبير، صارم وغير متناسق مع المكان المبهج من حوله. وقد علم لوك أن ذلك هو مبنى المؤسسة المحلية ونادى الرجال.

كان هذا هو الوقت الذي توقف فيه وسأل عن مكان وجهته.

أخبره أحدهم أن آش مانور على بعد نصف ميل للأمام. سوف يرى البوابات على يمينه.

استمر لوك في طريقه، فوجد البوابات بسهولة. كانت مصنوعة من حديد مطاوع جديد ومتقن. قاد سيارته عبر

أجاثا كريستى

ذات أرفف كتب ومقاعد مريحة؛ وحيث كانت توجد طاولة شاي بالقرب من النافذة والتي كان يجلس قبالتها شخصان. قالت:

"جوردن، هذا هولوك. أحد أبناء عمومتي".

كان اللورد ويتفيلد رجلاً ضئيلاً ذا رأس شبه أصلع. كان وجهه مستديراً ومخلصاً وذا أنف ناتئ وعينين تشبهان نبتة غيب الثعلب. كان يرتدى ملابس ريفية ليست مهندمة؛ فكانت لا تتواءم مع جسمه وتصل على الأكثر حتى معدته. قام بتحية لوك بحرارة.

"أنا سعيد لرؤيتك. سعيد للغاية. لقد عدت لتوك من الشرق كما سمعت. أليس كذلك؟ إنه مكان مثير. لقد أخبرتنى بريدجيت بأنك تُولف كتاباً، يقولون إن العديد من الكتب يتم تأليفها في هذه الأيام، ولكننى أقول لا. فهناك دوماً مكان لكتاب جيد".

قالت بريدجيت: "هذه هى عمى السيدة أنستروثر". صاح لوك السيدة متوسطة العمر ذات الفم القبيح. كانت السيدة أنستروثر. كما علم لوك سريعاً. تشق البستة؛ فهى لا تتحدث قط فى أى موضوع آخر، فكان عقلها مشغولاً دوماً بالتفكير فى احتمالات نمو أحد النباتات بشكل جيد فى المكان الذى تنوى زراعته به.

بعد انتهاء عملية التعارف قالت:

"أتعلم يا جوردون، إن المكان المثالى لنبات الروكيرى لابد أن يكون خلف حديقة الزهور مباشرة، وبهذه الطريقة

الآن، لم يعرف إن كانت بريدجيت كونواى قد حازت على إعجابه أم لا. ولكنه أدرك أن هذه الصورة السرية قد تمزقت وتحطمت، وأصبحت بلا معنى وغبية. قال:

"كيف حالك؟ لابد أن أعترض عن إقحام نفسى عليك بهذا الشكل، ولكن قال لى جيمى إنك لن تمنى".  
"لا: نحن لا نمانع بالمره. إننا سعداء". ابتسمت ابتسامة هجائية عريضة جلبت حواف فمها الطويل حتى منتصف وجنتيها، "أنا وجيمى نؤازر بعضنا البعض دوماً، وإن كنت تُولف كتاباً عن الفولكلور، فهذا هو المكان المناسب لتأليفه؛ فهنا توجد جميع أنواع الخرافات والأماكن الأخذة للألباب".  
قال لوك: "مدهش".

مضيا معاً تجاه المنزل، واختلس لوك نظرة أخرى ناحيته. رأى آثار ما كان ذات يوم منزلاً على طراز منازل الملكة آن والذى كان يكسوه زخارف رائعة. تذكر أن جيمى أخبره أن المنزل كان ذات يوم ملكاً لعائلة بريدجيت، كانت تلك. كما فكر فى حزن. هى أيام المنزل العصبية، وقد اندهش حينما استرق النظر إلى هيئتها ويديها الجميلتين.

كان يعتقد أنها فى الثامنة والعشرين أو التاسعة والعشرين من عمرها. كانت ذكية كذلك. كانت أحد هؤلاء الذين لا تعرف عنهم شيئاً حتى يقرروا هم أن تعرف....

فى الداخل كان المنزل مريحاً وذا ذوق جيد. ذوق مصمم ديكور من الطراز الأول. قادته بريدجيت كونواى إلى غرفة

عملت في هذا المتجر حينما كنت صغيراً. لقد صنعت نفسى بنفسى يا سيد فيتزوليم. ولقد عقدت العزم على الخروج من هذا المستنقع. وبالفعل خرجت من المستنقع المتأثرة والعمل بكبد. وقيل هذا عون الله. هذه هي الأشياء التى ساعدت على التجراح الأشياء التى جعلتلى ما أصبحت عليه الآن".

وهكذا غرق لوك فى تفاصيل مجاهدة عن حياة اللورد ويتفيلد والذى أردف فى نصر قائلاً:

"وهأنذا وما هو العالم يفتح ذراعيه لى كى يعلم كيف وصلت إلى هذه المنزل! أنا لمست خجولاً من بدايتى. لا يا سيدى. لقد عدت إلى حيث ولدت. أعلم ما الذى يوجد مكان متجر أبى الآن؟ مبنى راق قمت أنا ببنائه وزخرفته. مؤسسة بوير كلوب، كل شيء بها عصرى وعلى أحدث طراز. لقد قمت بتوظيف أفضل مهندس معمارى فى البلدة لا بد أن أعترف أنه قام بعمل عظيم. إنه يبدو كإصلاحية أو سجن بالنسبة لى، ولكنهم يقولون إنه لا بأس به. لذا فلا بد أن يكون كذلك".

قالت بريديجيت: "ابتهج، فأنت فعلت ما يحلو لك بهذا المنزل". ضحك اللورد ويتفيلد فى تقدير.

"نعم. لقد أرادوا إضفاء لمستهم الخاصة هنا أيضاً! أن يعمرأ به نفس ما فعلوه بالمبنى. قلت لهم لا، أنا سوف أعيش فى هذا المكان، وأريد شيئاً يعكس كم الأموال التى أمتلكها! حينما كان أحد المهندسين المعماريين لا يقوم بما أريده أطرده منى بأخر. وقد استوعب المهندس الذى أتيت به فى النهاية ما يريد ونفذته جيداً".

"أتعرف أحدًا من سكان هذه البلدة؟".

هز لوك رأسه، ثم فجأة وبسبب شعور جازم أنه كلما بدأ السمي مبكرًا وراء ما أتى من أجله، كان ذلك أفضل. أضاف: "على الأقل هناك رجل هنا وعدت بتفقد حاله. وهو صديق لأحد أصدقائى، رجل يدعى هاميلباى. إنه طيب".

تململ اللورد ويتفيلد فى مقعده: "أه! دكتور هاميلباى؟ إنه أمر مؤسف حقاً".

"ما هو الأمر المؤسف؟".

قال اللورد ويتفيلد: "لقد مات منذ أسبوعين".

قال لوك: "يا إلهى! أنا أسف لأجل هذا".

قال اللورد ويتفيلد: "لا أعتقد أنك كنت ستهتم لأمره، هذا الأحقر العنيد المزعج مشوش الذهن".

قالت بريديجيت: "إنه يعنى أنه لم يكن متفقا مع جورودين".

قال اللورد ويتفيلد: "بشأن إمداد المياه لدينا. أؤكد لك يا سيد فيتزوليم أنتى رجل يسعى وراء تحقيق المنفعة العامة؛ فأنا أهتم بصالح هذه البلدة. فقد ولدت هنا. نعم ولدت فى هذه البلدة".

أدرك لوك ببعض المראה أنهم قد تركوا موضوع دكتور هاميلباى وعادوا لموضوع اللورد ويتفيلد.

أضاف الرجل النبيل: "وأنا لا أخجل من هذا ولا أهتم بمن يعلم هذه المعلومة؛ فأنا لا أملك أيًا من مزاياك الطبيعية. فكان أبى يمتلك متجر أحذية. نعم، متجر أحذية بسيطاً. وقد

قالت بريديجيت: "لقد نفذ أسوأ أفكار خيالك".

قال اللورد ويتفيلد: "كانت تود لو تركت المكان كما هو. لا جدوى من الحياة في الماضي يا عزيزتي. إن آل جورج المعجزة لا يفقهون شيئاً. أنا لم أكن أرغب في منزل بسيط من الطوب الأحمر. كنت دوماً أتخيل أنني أعيش في قلعة. والآن لدى واحدة!" ثم أضاف قائلاً: "أعرف أن ذوقى ليس رفيع المستوى، لذا فقد وكلت شركة جيدة بتولى أمر الجزء الداخلى، ولابد أن أعترف أنهم أحسنوا صنفاً. بالرغم من أن بعض الأجزاء كثيبة".

قال لوك وهو يجد صعوبة في إيجاد الكلمات: "حسناً إنه لشئ رائع حقاً أن تعرف ماذا تريد".

قال اللورد ويتفيلد وهو يضحك: "والذي أحصل عليه عادة كذلك".

ذكرته بريديجيت قائلة: "ولكنك لم تحقق مبتغاك تقريباً فيما يتعلق بمخطط الماء".

قال اللورد ويتفيلد: "أه. هذا كان هامبلباى أحمق. إن هؤلاء الرجال المعجزة أغبياء حقاً، إنهم لا ينصتون إلى المنطق".

تجراً لوك على أن يقول: "كان دكتور هامبلباى رجلاً صريحاً، أليس كذلك؟ يمكننى الجزم بأنه أصبح له الكثير من الأعداء بسبب هذا".

قال اللورد ويتفيلد في رزائة وهو يحك أنفه: "لا، لا، لا. أعتقد أن هذا صحيح. أليس كذلك يا بريديجيت؟".

قالت بريديجيت: "كان الجميع يحيونه على ما أعتقد، أنا لا حينما جاء ليتفحص كاحلى ذات مرة، ولكننى رأيته حيناً لطيفاً".

عترف اللورد ويتفيلد: "نعم، كان محبوباً من الجميع. برغم من أنني أعرف شخصاً أو شخصين يعقثانه. يا له من حارس".

شخص أو شخصان من سكان هذه البلدة؟

يود اللورد ويتفيلد.

قال: "هناك الكثير من المداوات والتأمّرات الصغيرة في مثل هذا".

قال لوك: "نعم، أعتقد هذا". كان متردداً وغير واثق من حذوته التالية.

سأل: "ما نوع الناس الذين يقطنون مكاناً مثل هذا؟" كان سؤالاً ضعيفاً إلى حد ما، ولكنه حصل على إجابة مرضية.

قالت بريديجيت: "أزامل في الغالب. بنات وأخوات وزوجات حالي الدين. نساء الأطباء كذلك، نحو ست نساء لكل رجل".

جازف لوك: "ولكن هناك بعض الرجال؟".

"أه، نعم، هناك السيد أيوبت المحامى ودكتور توماس الشاب نريك دكتور هامبلباى والسيد ويك رجل الدين. ومن يوجد جيف يا جوردون؟ أه نعم، السيد إيلمورثى صاحب متجر خلع وهو رجل لطيف للغاية أيضاً والراشد هورتون وكلايه سودج".

أو شيء من هذا القبيل. ولم ينتبه لهذا؛ مما سبب العفن. لقد مات خلال ثلاثة أيام".

قالت بريديجيت: "هذا هو حال الأطباء. وهم بالطبع معرضون للمدوى، على ما أعتقد، إذا لم يتوخوا الحذر. كان الأمر محزنًا، لقد انفطر فؤاد زوجته".

قال اللورد ويتفيلد في هدوء: "لا جدوى من الاعتراض على مشيئة الله".

## ٢

لوك نفسه لاحقًا حينما كان يرتدى معطفه لتناول العشاء: "ولكن هل كانت وفاته طبيعية؟". تعفن الدم ربما. لكنه موت مجنيًا بالرغم من ذلك.

وفي تلك اللحظة دوى صدى كلمات بريديجيت كونهواى فى رأسه:

"كانت هناك الكثير من حالات الوفاة على مدار العام - صى".

قال لوك: "هناك شخص آخر ذكر لى أصدقائى أنه كان يعيش هنا، قالوا لى إنها سيدة عجوز لطيفة ولكنها تتحدث كثيرًا".

ضحكت بريديجيت: "إنها صفة تتسحب على نصف سكان القرية".

"ما هو اسمها يا ترى؟ أه، نعم، بنكرتون".

قال اللورد ويتفيلد وهو يضحك ضحكة جافة:

"حقًا، إنك تعمس الحظ حقًا لقد ماتت هى الأخرى. دهستها سيارة مؤخرًا فى لندن، وقد ماتت على الفور".

قال لوك ممامزحًا: "يبدو أن لديكم الكثير من الوفيات هنا".

شمخ اللورد ويتفيلد بذاته على الفور.

"إطلاقًا، إنها أحد أكثر الأماكن الصحية فى إنجلترا ولا يمكنك احتساب الحوادث؛ فهى قد تحدث لأى أحد".

لكن بريديجيت كونهواى قالت فى جدية:

"فى الواقع يا جوردون، كانت هناك الكثير من حالات الوفاة على مدار العام الماضى؛ فهناك دومًا جنازات".

"هذا محض هراء يا عزيزتى".

قال لوك:

"هل مات دكتور هامبلباى بسبب حادثة كذلك؟".

هز اللورد ويتفيلد رأسه قائلاً:

"لا، لا. لقد مات دكتور هامبلباى إثر إصابته بمرض تعفن الدم. شأنه شأن أى طبيب آخر. قام بحك إصبعه بظفر قدر

THE GHOST 92  
THE GHOST 92  
THE GHOST 92  
THE GHOST 92  
THE GHOST 92  
THE GHOST 92  
THE GHOST 92  
THE GHOST 92  
THE GHOST 92  
THE GHOST 92  
THE GHOST 92  
THE GHOST 92  
THE GHOST 92  
THE GHOST 92  
THE GHOST 92

#### الفصل ٤

### لوك يعزز تقدماً

وضع لوك خطته بحرص واستعد لتنفيذها دون مزيد من  
حيلة حينما نزل لتناول الإفطار في صباح اليوم التالي.  
ثم تكن العمة المحبة للبستنة موجودة. ولكن اللورد ويتفيلد  
كان يأكل الكلاوى ويحتسى القهوة. أما بريديجيت كونواى فقد  
نهت من تناول طعامها، وكانت تقف قبالة النافذة وتنظر  
خارجها.

بعد تبادل تحية الصباح وجلس لوك أمام صحن مليء عن  
حره بالببيض واللحم قال:  
"لا بد أن أذهب إلى العمل. أصعب شيء هو أن تستحث  
ناس على الكلام. أنت تعلم ماذا أفقد. أنا لا أتحدث  
عن أشخاص مثلك ومثل. أه. بريديجيت". (تذكر في الوقت  
لمناسب ألا يقول الأنسة كونواى). "إنك سوف تخبرنى بأى  
شيء تعرفه ولكن المشكلة هي أنك لن تعرف الأشياء التى أود  
معرفة. وتلك الأشياء هي الخرافات المحلية. إنك لن تصدق

كم الخرافات التي لا تزال توجد في أنحاء متفرقة من العالم: فعلى سبيل المثال، هناك قرية في ديفونشاير اضطر رجل الدين بها أن يهدم نصيباً حجرياً عمودياً يوجد إلى جوار دار العبادة؛ لأن الناس واطلبوا على الطواف حوله كلما مات أحدهم. إنه لأمر عجيب حقاً كيفية استمرار بعض الطقوس الوثنية".

قال اللورد ويتفيلد: "أنت محق. التعليم، هذا هو ما يحتاج إليه الناس. هل أخبرتك أنني قمت ببناء مكتبة جميلة هنا؟ لقد كان المبنى الذي أنشأتها به هو قصر مالك العربة القديمة. كان معروضاً للبيع بثمن بخس. الآن أصبح إحدى أفضل المكتبات".

عمد لوك إلى إدارة كفة الحوار بحيث تصب في اتجاه إنجازات اللورد ويتفيلد.

قال بحرارة: "رائع! يا له من إنجاز مذهل! أنت بدون شك أدركت مدى الجهل المتأصل جذوره في الماضي والمتنشر هنا. بالطبع. من وجهة نظري. هذا هو ما أريده تماماً. العادات القديمة. حكايات المجاز. تلميحات عن الطقوس القديمة مثل...".

هنا كان لوك يسرد حرفياً ورقة كان قد أعدها مسبقاً لهذا الموقف.

أنهى كلامه قائلاً: "وحالات الوفاة هي جل ما أرغبه؛ فطقوس وعبادات الدفن عادة ما تبقى أكثر من غيرها. علاوة على ذلك. ولسبب أو لآخر. يجب أهل القرى دومًا الحديث عن المتوفين".

وافقته بريديجيت من مكانها عند النافذة: "إنهم يستمعون... نجائز".

واصل لوك كلامه: "أعتقد أن تلك ستكون نقطة البداية التي سأنتقل منها. فإن أمكنني الحصول على قائمة بأسماء المتوفين حديثاً من دار العبادة والذهاب إلى أقربائهم والانخراط في حوار معهم، سوف أتوصل بدون شك إلى أول الخيط. وإلى ما أسعى إليه. من هو أفضل شخص يمكنني أخذ هذه المعلومات منه. رجل الدين؟"

قالت بريديجيت: "قد يهتم السيد ويك كثيرًا بموضوع مثل هذا: فهو رجل لطيف ويهوى جمع الأشياء الأثرية: حيث يمكنه مدارك بالكثير على ما أعتقد".

انتاب لوك خوف فجائي تمنى خلاله ألا يكون رجل الدين حذراً بارعاً للأشياء الأثرية بحيث يكشف نواياه الحقيقية. قال لوك:

"جيد. أعتقد أنك لا تعرفين الذين ماتوا العام الماضي".

تمتعت بريديجيت:

"دعني أتذكر. كارتر بالطبع. كان مالك سفن متارز؛ ذلك إلهي القذر الذي يوجد عند النهر".

قال اللورد ويتفيلد: "مهجى ثمل، أحد هؤلاء الاشتراكيين الوحشيين المؤذنين، إنه خلاص جيد بالنسبة له".

واصلت بريديجيت كلامها: "والسيدة روز، الفسالة. وصغير تومي بيرس - كان صبيًا كريهاً إن صح التعبير. أم - بنضع هذه الفتاة أمي، ما كان اسمها الثاني؟"

تغيرت نبرة صوتها قليلاً عند نطقها بالاسم الأخير.  
قال لوك "أمى؟".

"أمى جييس. كانت تعمل خادمة هنا ثم انتقلت إلى منزل السيدة وينفليت. لقد أجرت الشرطة تحقيقاً بشأن وفاتها".  
"ماذا؟".

قال اللورد ويتنيلد "إنها فتاة غبية قامت بأخذ زجاجة مكان أخرى فى الظلام".

قالت بريديجيت: "لقد أخذت زجاجة طلاء القبعات على أنها زجاجة خليط دواء للسعال".

رفع لوك حاجبيه!

"إنها مأساة حقيقية".

قالت بريديجيت:

"كان هناك اعتقاد أنها فعلت ذلك عن عمد؛ فقد تشاجرت مع شاب ما".

كانت تتحدث ببطء. وفى تردد إلى حد ما.

سادت فترة صمت، وشعر لوك غريزياً بوجود مشاعر لم يتم الإفصاح عنها تنقل الهواء بالرفة.

فكر بينه وبين نفسه:

"أمى جييس؟ نعم، هذا هو أحد الأسماء التى أتت السيدة بنكرتون المجوز على ذكرها".

وهى قد ذكرت اسم فتى صغير كذلك - تومى كذا - والذى تحدثت عنه بالسوء (وهو الرأى الذى يبدو أنها تتشارك فيه مع بريديجيت). ونعم، كان واقعاً من أنها ذكرت اسم كارتر كذلك.

قال مماًزحاً وهو ينهض:

"إن التحدث بهذا الشكل يجعلنى أشعر بأننى جثث للنش من القبور فقط، إن عادات الزواج مثيرة أيضاً. ولكنها أصعب من الحديث بشأنها".

قالت بريديجيت بعدما ارتفعت شفتاها قليلاً: "أعتقد أن هذا صحيح".

واصل لوك حديثه بحماسة: "وهناك موضوعات أخرى مثيرة مثل تمنى المرض للآخرين أو سحر الإصابة بالعين: من هذه الأشياء عادة ما توجد بالأماكن المتمسكة بالعادات. تخاليف القديمة، هل سمعنا أية ثثرة عن أمور من هذا قبل هنا؟".

هز اللورد ويتنيلد رأسه ببطء، وقالت بريديجيت كونواى:

"إننا لا نسمع عن أمور من هذا القبيل -".

عرف لوك ما سوف تقوله قبل أن تنهى عبارتها.

"لا شك أن على التوغل داخل أجواء الطبقات الاجتماعية لأقل للحصول على ما أبقى. سوف أذهب إلى مقر رجل الدين، وأرى ما يمكننى الحصول عليه هناك، وبعد ذلك ربما أזור سنن ستارز، أليس ذلك هو اسمها؟ وماذا عن الصبي الصغير ذى العادات السيئة؟ ألم يترك أى أقرباء منتحيين؟".

"بلى، السيدة بيرس صاحبة متجر سجائر وضعف فى مدى ستريت".

قال لوك: "الابد من الرضوخ لقدر الله، ولا جدل فى هذا. حسناً، سأذهب الآن".

تحركت بريدجيت من عند النافذة بخفة وسرعة.  
قالت: "أعتقد أنني سأأتي ممل إن لم يكن لديك مانع  
بالطبع".

"بالطبع لا".  
قال هذه العبارة الأخيرة بأقصى درجة ممكنة من الود،  
ولكنه تساءل إن كانت قد لاحظت أنه للحظة شعر ببعض  
الفرح.

كان ليصبح من الأسهل بالنسبة له أن يتولى أمر رجل  
دين يهوى القطع الأثرية دون وهوف فتاة ذكية يقظة إلى  
جواره.

فكر بينه وبين نفسه: "آه، حسناً. على أن أؤدي دوري بإقتناع  
شديد".

قالت بريدجيت:  
"هلا انتظرت قليلاً يا لوك ريثما أغير حذائي؟".

إن ترددها لاسمه بكل هذا السهولة بث فيه شعوراً غريباً  
بالدفع. ومع ذلك ماذا غير هذا كان يمكنها أن تتأديه؟ فطالما  
أنها وافقت على مخطط جيمي وهي أنها ابنة عمه فليس  
بإمكانها أن تتأديه السيد فيتزوليم. قال لنفسه بسرعة وفي  
ذعر: "تري ما رأيها في كل هذا؟ يا إلهي! ماذا تعتقد؟".

من الغريب أن هذا لم يقلقه من قبل: فابنة عم جيمي كانت  
مجرد فكرة تجريدية ملائمة. وسيلة لفاية. إنه لم يضعها  
في الحساب بالمرّة، فقط تقبل القول الفصل لصديقه: "إن  
بريدجيت لا بأس بها".

نقد رسم لها صورة في مخيلته. هذا إن كان قد رسم لها  
صورة من الأسماك. كمسكوتيرة شعراء ضئيلة الحجم ذكية  
من فيه الكفاية كي تأمر قلب رجل غنى.

كانه بدلاً من ذلك اكتشف أنها قوية وحاذقة تتمتع بذكاء  
خاص. وهو لم يكن لديه أدنى فكرة عن رأيها فيه: فقال  
نفسه: إنها ليست شخصاً يسهل خداعه.  
"أنا مستعدة الآن".

انضمت إليه في هدوء حتى إنه لم يسمعها وهي تقترب.  
لم تستطع أن ترتدي قبعة، ولم تكن هناك شبكة على شعرها، وأثناء  
خروجها من المنزل هبت رياح من حول المبنى الضخم ذي  
شرفات المنفرجة بعثرت شعرها الأسود الطويل فجأة حول  
وجهها.

قالت وهي تبتسم:  
"أنت تحتاج إلى لأريك الطريق".  
أجابها بحرص: "أنت كريمة للغاية".  
تساءل إن كان قد لاحظ على وجهها ابتسامة سخرية  
سريعة.

بعد أن نظر إلى الشرفات المنفرجة خلفه، قال في ضيق:  
"يا له من شيء بغيض! ألا يستطيع أحد إيقافه؟".  
أجابته بريدجيت: "إن منزل الرجل الإنجليزي هو قلعة.  
وهذا هو الحال مع جوردون! إنه يعيشه".

كان مدرّكاً أن المحوطة ليست مناسبة، ولكنه لم يستطع  
إمسك لسانه: فقال:

"إنه منزلك القديم، أليس كذلك؟ هل يستهويك رؤيته بهذا الحال الآن؟"

نظرت إليه ثم رمقته بشكل مرح.

تمتعت قائلة: "أبض أن أدمر تلك الصورة الدرامية التي كونتها، ولكنني في الواقع تركت هذا المنزل حينما كنت في الثانية والنصف من عمري، لذا فكما ترى فإن دافع المنزل القديم لا يتوافر لدى. أنا حتى لا أتذكر هذا المكان."

قال لوك: "أنت محقة. اغفري لي استخدامي لمثل هذه اللغة السينمائية".

ضحكت ثم أردفت قائلة:

"الحقيقة نادرًا ما تكون رومانسية".

دوى فجأة في صوتها ازدراء تشويه المرارة أصابه بالفزع. توردت وجنتاه ثم أدرك فجأة أن هذا الازدراء ليس موجهاً إليه. كان ازدراءً خاصاً بها ومرارة خاصة بها، فطن لوك أن عليه الصمت، ولكنه فكر كثيرًا في بريديت كونواي.

بعد خمس دقائق وصل إلى دار العبادة ومنها إلى مقر رجل الدين المحقق: حيث وجدا رجل الدين في مقده.

كان ألفريد ويك رجلاً ضئيل الحجم أحذب الظهر ذا عيني زرقاوين لطيفتين وذهن شارد، ولكنه كان دمث الأخلاق، بدا سعيدًا، ولكن متفاجئًا من الزيارة بعض الشيء.

قالت بريديت: "إن السيد هيتزوليم يقيم معنا في منزل آش مانور، وهو يريد استشارتك بشأن كتاب يؤلفه".

أدار السيد ويك عينيه اللطيفتين المندمشتين تجاه الرجل الأصغر سنًا، وبدأ لوك في شرح الأمر له.

كان متوترًا للغاية، أولاً؛ لأن هذا الرجل لديه بدون شك مزيد من المعرفة بالفولكلور والعادات والطقوس المتعلقة بالخرافات أكثر من تلك التي حصل عليها أحد الأشخاص بشكل سريع من قراءة مجموعة من الكتب العشوائية، وثانيًا، كان متوترًا في بريديت كونواي تقف إلى جواره وتحدث.

وقد شعر لوك بالراحة حينما اكتشف أن اهتمام السيد الرئيس ينصب على الآثار الرومانية، وقد اعترف برقة به لا يعرف الكثير عن فولكلور المصور الوسطى والسحر. وقد أتى على ذكر عناصر بعضها في تاريخ ويتشود، وعرض أن يخذ لوك إلى سلسلة صخور معينة عند التل حيث المكان الذي يتقنون إنهم كانوا يعتقدون به الساحرات، ولكنه تأسف؛ لأنه ليس بإمكانه أن يمدد بأية معلومات خاصة من جانبه.

بعد أن ارتاح كثيرًا، تظاهر لوك بالإحباط، وبعد ذلك بدأ في طرح تساؤلات عن الخرافات المتعلقة بالموت.

هز السيد ويك رأسه برقة:

"أخشى أنني سأكون آخر شخص يمكنه أن يعلم عن مثل هذه الأمور؛ فأبناء دار العبادة يحرسون على عدم ذكر أي شيء غير ديني أمامي".

"هذا صحيح بالطبع".

"ولكنني واثق أنه مازالت هناك الكثير من الخرافات حية؛ فالمجتمعات القروية هذه متخلفة للغاية".

تحدث لوك بجرأة:

"لقد طلبت من الآتسة كونواى قائمة بأسماء جميع الوفيات التى يمكنها تذكرهم؛ فأنا ظننت أنه يمكننى التوصل إلى شيء ما بهذه الطريقة. أعتقد أنه بوسعك إمدادى بقائمة حتى أستطيع اقتناص الاحتمالات".

"نعم، نعم، يمكننى تدبر هذا. إن جايلز. الخادم الخاص بنا وهو رجل صالح ولكنه أصم مع الأسف. يمكنه مساعدتك فى هذا الصدد. دعنى أر الآن. كان هناك ربيع غادر وشتاء صعب وبعد ذلك العديد من الحوادث. وكانت هناك دائرة من الحظ التمس". قال لوك: "فى بعض الأحيان تنتج دائرة الحظ التمس عن وجود شخص معين".

"نعم، نعم، ولكننى لا أعتقد أنه كان هناك أية أشخاص غرباء هنا. لا أحد، لا أحد تجوم حوله الطنون بأى شكل من الأشكال. كما أنتى لم أسمع بأية شائمة عن شيء كهذا، ولكننى أكرر مجدداً أنه ربما تكون هناك واحدة لم تصل إلى مسامعى. دعنى أر. مؤخراً كان لدينا دكتور هامبلباى والمسكينة لافينيا بنكروتون. كان رجلاً طيباً دكتور هامبلباى هذا...".

قاطعته بريدجيت:

"السيد فينروليم يعرف أصدقاء له".

"حقاً؟ هذا أمر محزن للغاية. إن الكثيرين يفقدونه بشدة. كان رجلاً له العديد من الأصدقاء".

قال لوك: "ولكنه بالتأكيد كان رجلاً له العديد من الأعداء كذلك". ثم أضاف بسرعة: "أنا فقط أردت ما سمعت أصدقاؤى

يتنونه".

تهدد السيد لوك.

"كان رجلاً يتحدث بما يجول فى خاطره. ويمكننى القول أنه لم يكن يتوخى الحذر فيما يقوله...". ثم هز رأسه قائلاً: "وهذا يثير حنق الكثيرين. ولكنه كان ذا شعبية كبيرة بين الطبقات الأكثر فقراً".

قال لوك فى لامبالاة:

"أعلم أنتى طالما شعرت أن أكثر الحقائق بفضاً فى هذه حياة هو حقيقة أن كل وفاة تعنى مكسباً ما لشخص ما. وأنا لا أحدث فقط عن الناحية المادية".  
وأما رجل الدين فى تدبر.

"أفهم ما تعنى؛ فتحن نقراً فى نعى ما أن الجميع يشعرون بالحزن لوفاة شخص ما، ولكننى أخشى أن ذلك نادراً ما يكون صحيحاً، وفى حالة دكتور هامبلباى، يعرف الجميع أن يضع شريكه دكتور توماس قد تحسن كثيراً بسبب وفاة دكتور هامبلباى".

"كيف هذا؟"

"أنا أؤمن بأن توماس هو طبيب كفؤ حقاً. فكان هامبلباى يؤكد ذلك دوماً، ولكنه لم يتكيف مع المكان جيداً؛ فكان يعيش فى ظل دكتور هامبلباى الذى كان يتمتع بجاذبية كبيرة، فكان توماس يبدو كالتشيع فى وجوده؛ فهو لم يستطع إبهار مرضاه قط، وأنا أظن أن هذا الأمر كان يؤرقه كثيراً وزاد من حاله سوءاً. فقد جملة أكثر عصبية وعقد لسانه أكثر، وفى

الواقع أنا لاحظت فارقاً مذهلاً بالفعل؛ فهو أصبح أكثر ثقة بنفسه وازدادت شخصيته قوة؛ فقد تجددت ثقته بنفسه؛ فهو وهامبلباى لم يكونا على وفاق، فكان توماس يؤيد استخدام طرق جديدة فى العلاج، لكن دكتور هامبلباى كان يفضل الاستمرار فى استخدام الطرق التقليدية. وقد نشبت بينهما الكثير من الخلافات. بخصوص هذا الشأن وبخصوص شأن آخر أكثر خصوصية. ولكنى أعتقد أنه لا ينبغي على الانخراط فى مثل هذه التهمة -".

قالت بريدجيت برقة ووضوح:

"ولكننى أعتقد أن السيد فيتزوليم يريد منك أن تتخرد فى التهمة!"

نظر إليها لوك سريعاً بارتباك.

هز السيد ويك رأسه فى شك ثم واصل التمسك فى استكار: "أخشى أن أتعلم الاهتمام كثيراً بشئون جيرانى. إن روز هامبلباى هى فتاة جميلة للغاية. ولا عجب أن جيفرى توماس قد هام بها حباً. وبالطبع كان رأى هامبلباى فى الموضوع منطقيًا ومستساغًا. الفتاة صغيرة للغاية ومدفونة هنا وليس متاحًا أمامها فرصة لرؤية رجال آخرين".

قال لوك: "هل اعترضى طريقهما؟"

"نعم، قال إنهما صغيران للغاية، وبالطبع يكره الشباب أن يخبرهم أحد بذلك؛ وبذلك كانت العلاقة بين الرجلين تتسم بكثير من البرود، ولكننى واثق من أن دكتور توماس قد حزن كثيراً لموت شريكه غير المتوقع".

"تعفن الدم، أخبرنى اللورد ويتفيلد بذلك".

"نعم. فقط خدش صغير تعرض للعدوى. إن الأطباء يجابهون مخاطر كبيرة أثناء مزاولتهم لمهنتهم يا سيد فيتزوليم".

قال لوك: "هذا صحيح".

أجفل السيد ويك فجأة.

قال: "أخشى أننى انحرفت كثيراً عن الموضوع الذى كنا نتحدث عنه. لقد أصبحت رجلاً عجوزاً ثرثاراً على ما يبدو. كنا نتحدث عن استمرار وجود العادات الوثنية وحالات الوفاة التى حدثت مؤخرًا. كانت هناك كذلك لافينيا بنكرتون. واحدة من السيدات اللاتى كن يقدمن مساعدات كبيرة لدار العبادة. ثم هناك تلك الفتاة المسكينة، أمى جيبس. وربما تكتشف شيئاً بخصوصها أثناء بحثك يا سيد فيتزوليم، فكان هناك شك كما تعلم أنها ربما تكون انحرفت. وهناك أمور مريبة إلى حد ما متعلقة بموتها تلك. وهناك خالة. والتى أخشى أنها ليست سيدة محترمة وليست ذات علاقة وثيقة بابنة أختها. ولكنها كثيرة الكلام".

قال لوك: "عظيم".

"ثم هناك تومى بيرس. كان مشتركاً بفريق الإنشاد ذات يوم. كان ذا صوت جميل. ملائكى للغاية. ولكن الولد نفسه لا يمت للملائكة بصله على ما أخشى؛ فقد اضطربنا لأن نتخلص منه فى النهاية؛ لأنه جعل غيره من الصبية ينتهجون تصرفات سيئة للغاية. الصبى المسكين، ويبدو أنه لم

"السيدة بنكرتون. هل تذكر؟ السيدة التي أتيت على كرها لتوى، تلك التي ماتت في حادث سيارة مؤخراً. المرأة كئينة كانت في غاية الحزن. أمر مؤسفاً كانت قد حصلت على تصريح للقيام بعمليات قطع لبعض النباتات، وعثرت على حصى معدداً حيث سقط".

قال لوك وهو يفكر: "لا بد أنها كانت مفاجأة غير سارة عما".

قال الرجل المعجوز وهو يهز رأسه: "إنه لأمر مؤسف للغاية أن تنتهي حياة أحدهم ميكراً بهذا الشكل، إن أخطاء تومي ربما تعود في الأساس لنشاطه المفرط".

قالت بريديجت: "كان فتى مستأسداً ومقرزاً، وأنت تعلم ذلك يا سيد ويك: قطعاً لما قام بتعذيب القطط. وتضليل الجراء، وقرص غيره من الفئ".

"أعلم، أعلم". هز السيد ويك رأسه بحزن، "ولكنك تعلمين يا آنسة كونواي أن القسوة لا تكون فطرية على الدوام؛ وذلك يكون راجعاً لحقيقة بطء عملية نضج الخيال. ولعل هذا هو السبب أنك إذا رأيت رجلاً ناضجاً بعقلية طفل تدركين أن القسوة والدهاء المتأصلين في أحد المعتوهين ربما يكونان غائبين عن إدراكه؛ فافتقار النضج في أحد الأماكن. كما أومن - هو السبب الرئيسي وراء الكثير من القسوة والنوحشية الفظيعة في العالم اليوم؛ فلا بد أن يتخلل المرء عن تلك الأمور الطفولية —".

هز رأسه ومد يديه.

يحبه أحد في أي مكان: فقد تم طرده من مكتب البريد حيث حصلنا له على وظيفة فتى التفراف، كما عمل في مكتب السيد أبوت لفترة ولكن سرعان ما تم طرده كذلك. لأنه عبث ببعض الأوراق السرية على ما أعتقد، وبعد ذلك بالطبع عمل بمنزل آش مانور، أليس كذلك يا آنسة كونواي، كعامل في الحديقة، واضطر اللورد ويتفيلد إلى طرده لوقاحته الشديدة. لقد أسفت للغاية لأجل والدته. فهي سيدة محترمة وتعمل بكد. وكانت السيدة ويتفيلد عطوفة للغاية؛ حيث إنها دبرت له عملاً كاملاً تنظيف للزجاج، وقد عارض اللورد ويتفيلد الأمر في البداية ولكنه أذعن في النهاية. في الواقع إنه لأمر محزن أنه فعل ذلك".

"ماذا؟"

"لأن تلك هي الطريقة التي لقي بها مصرعه؛ فكان ينظف النوافذ العلوية للمكتبة (المبنى القديم كما تعلم) وأقدم على فعل غاية في السخف؛ حيث أخذ يرقص على حافة النافذة، أو فعل شيئاً من هذا القبيل. وبالتالي فقد توازنه، أو أنه أصيب بالدوار ثم سقط. شيء مروء وهو لم يستمد وعيه قط. ومات بعد ساعات قليلة من نقله إلى المستشفى".

سأل لوك باهتمام: "هل رآه أي أحد وهو يسقط؟"

"لا، فقد كان على جانب المبنى المواجه للحديقة. وليس بالجانب الأمامي للمنزل. وهم يقولون إنه ظل في مكانه نحو نصف ساعة قبل أن يجده أحد".

"من وجده؟"

قالت بريدجيت بصوت أصبح أجش فجأة:

"نعم، أنت محق. أنا أعلم ماذا تمنى. إن الرجل الذى ينتهج تصرفات طفولية يقع ضمن فئة الأشخاص الأكثر خطورة فى العالم...".

نظر إليها لوك ببعض الفضول، كان مقتنعاً أنها كانت تقصد شخصاً بعينه، وبالرغم من أن اللورد ویتفيلد كان طفولياً للغاية فى بعض المناحي إلا أنه لم يكن يعتقد أنها تتحدث عنه؛ فكان اللورد ویتفيلد سخيلاً إلى حد ما، ولكنه لم يكن مخيفاً بالتأكيد.

تساءل لوك فيتزوليم كثيراً عن الشخص الذى تفكر فيه بريدجيت!

## الفصل ٥

### زيارة إلى السيدة وينفيلت

تم السيد ويك ببضعة أسماء أخرى لنفسه.

"دعنى أر الآن. السيدة روز المسكينة، وبيل العجوز، وطفل كنز، وهارى كارتر. وليس جميعهم من أتباعى كما تعرف؛ السيدة روز وكارتر كانا متشقين. وهذه التعويذة الباردة هى - رس - أودت بحياة بن ستانبرى العجوز فى النهاية. وكان فى النهاية والتسعين من عمره".

قالت بريدجيت: "وماتت أمى جيبس فى أبريل".

"نعم، الفتاة المسكينة. يا له من خطأ مؤسف".

نظر لوك أمامه ليجد أن بريدجيت تراقبه، إلا أنها أشاحت وجهها سريعاً، فقال لنفسه وهو يشعر بالانزعاج: "بعض شىء هنا لا أعرفه، شىء متعلق بهذه الفتاة أمى جيبس".

وحينما تركا رجل الدين وخرجا من المكان قال:

"من وماذا كانت تلك المدعوة أمى جيبس؟".

"هذا هو ابن عمي، السيد فيتزوليم، والذي يقيم في منزل -  
- سر. وهو هنا من أجل تأليف كتاب، هذا هو السيد أبوت".  
نظر لوك إلى السيد أبوت ببعض الاهتمام: فهذا هو المحامي  
- الذي وظف تومي بيرس.

لكن لوك لديه رأى مسبق غير منطقي إلى حد ما بخصوص  
- حدين بوجه عام. والقائم على الحقيقة القائلة بأن  
- محاسبين يتم تجنيدهم من بين صفوفهم. بالإضافة إلى أن  
- -هم الحريصة في عدم إلزام أنفسهم بشيء كانت تزعم  
- -ج. لكن السيد أبوت لم يكن يمت بصلة للشكل التقليدي  
- محامي؛ فلم يكن نحيفاً أو هزيلاً أو مزموماً الشفتين. فكان  
- -حلاً ضخماً متورداً الوجه يرتدي حلة أنيقة ويتسم بالود  
- -سيد والإصرار في التعبير عن العاطفة. كانت هناك بعض  
- -شجاعة حول عينيه، والعينان نفسيهما كانتا أكثر ذكاء مما  
- -ف يلاحظ المرء عرضاً من نظرة أولى سريعة.  
"أتؤلف كتاباً؟" رواية؟

قالت بريديجيت: "هولكلور".

قال المحامي: "لقد أتيت إذن إلى المكان المناسب، إن هذه  
- -بذرة هي مكان مثير وشيق حقاً من العالم".  
قال لوك: "هكذا سمعت، بل أجرؤ على القول بأنه في  
- -إمكانك مساعدتي بعض الشيء؛ فلا بد أنك ترى أشياء  
- -وتصرفات قديمة مثيرة للفضول. أو تعرف بعض العادات  
- -المثيرة التي لاتزال قائمة".  
"حسنًا، أنا أعلم بشأن هذا. ربما. ربما."

استغرقت الإجابة من بريديجيت دقيقة أو اثنتين.

ثم قالت بنبرة لاحظ فيها لوك الارتباك:

"كانت أمي إحدى أقل الخادِمات اللاتي رأيتهن كفاءة".

"ولهذا تم صرفها من الخدمة؟"

"لا. لقد خرجت ليلاً بعد ساعات العمل نعتبت مع شاب ما،  
وجوردون يمتق آراء شديدة الأخلاقية؛ لذا فقد قام بتحذيرها  
ولكنها كانت شديدة الوقاحة".

سأل لوك: "هل كانت فتاة جميلة؟"

"جميلة للغاية".

"إنها الفتاة التي ابتلعت طلاء القبعات بدلاً من خليط  
شراب السعال عن طريق الخطأ؟"

"نعم".

جازف لوك قائلاً: "يا له من تصرف غبي".

"غبي للغاية".

"هل كانت غبية؟"

"لا، بل كانت فتاة حادة الذكاء".

استرق لوك نظرة إليها. كان مرتبكاً. كانت تدلّى بإجاباتها  
بنبرة محايدة، دون تأكيد أو حتى الكثير من الاهتمام. لكنه شعر  
أن وراء كلماتها كان هناك شيء لم تصفه في شكل كلمات.  
في هذه اللحظة توقفت بريديجيت لتتحدث إلى رجل طويل  
والذي خلق قبمته وقام بتحيتها بحرارة.

بعد أن تبادلوا بضع كلمات مع الرجل، قدمت بريديجيت  
لوك له.

غير لوك الموضوع ببراعة.  
اعتقد أن الطبيب المحلي هو الأكثر دراية بهذه الأمور؛  
أخصباء يسمعون الكثير من المرضى الفقراء الذين يمالجونهم.  
في أنواع الخرافات والسحر. على الأرجح الشراب السحري  
في هذه الأشياء الأخرى.

"لا بد أن تذهب إلى توماس، إنه رجل طيب وعصري، ولكنه  
يحب هامبيلاي العجوز المسكين في شيء."  
"كان رجعيًا بعض الشيء، أليس كذلك؟"  
"كان متعندًا وعنيديًا للغاية."  
سألته بريديجيت: "لقد نشب بينهما شجار حاد بشأن  
محظوظ المياه، أليس كذلك؟"

مرة أخرى خضب وجه أحمر وجه أبوت.  
قال بجد: "إن هامبيلاي كان يقف عقبة في طريق التقدم.  
تعارض المخططة، واتسم ما قاله بالوقاحة الشديدة كذلك.  
لا ينتبه لما يقوله؛ فبعض ما قاله لي كان موجبًا لإقامة  
عوى."

تمتعت بريديجيت: "ولكن المحاميين لا يلجئون أبدًا للقانون،  
ليس كذلك؟ فهم أذكى من هذا؟"

ضحك أبوت بإفراط. لقد تبدد غضبه سريعًا كما بدأ.  
"أنت ذكية للغاية يا آنسة بريديجيت؛ ولم يجانبك الصواب  
تخيرًا. إن أمثالنا ممن يعملون في القانون يعرفون الكثير عنه،  
ها، حسنًا، لا بد أن أمضى. هاتقني إن اعتقدت أنك بحاجة  
لساعدتي بأي شكل من الأشكال، يا سيد -"

قال لوك: "إنهم يؤمنون كثيرًا بالأشباح هنا؟"  
"فيما يتعلق بهذا، فأنا لا أعرف. أنا حقًا لا أعرف."  
"ولا تعلم حتى يمازل تسكنها الأشباح؟"  
"لا. لا أعلم شيئًا من هذا القبيل."  
"إن هناك خرافة الصبي بالطبخ. وفاة صبي صغير، حينما  
تتسم بالوحشية. تجعله دومًا يحوم ويسير. وهذا لا يحدث إن  
كانت فتاة هي التي توفيت. هذا مثير."  
قال السيد أبوت: "إطلاقًا. لم أسمع بهذا قط."  
وبما أن لوك قد اخترع هذا لتوه، فإنه لم يكن باعثًا على  
الدهشة على الإطلاق.

"يبدو أن هناك صبيًا هنا. تومي كذا. كان يعمل في مكتبك  
في أحد الأيام. إن لدى ما يدفعني للاعتقاد بأنهم يؤمنون بأن  
روحه تجوب المكان."

تحول وجه السيد أبوت الأحمر إلى اللون القرمزي.  
"تومي بيرس؟ إنه حتى عديم النفع، ومتطفل، ومؤذ."  
"إن الأرواح دائمًا ما تتسم بأنها مؤذية، والمواطنون  
الصالحون المثقيدون بالقانون نادرًا ما يزعجون العالم بعد  
تركهم إياه."

"من رآه. ما هذه الحكاية؟"  
قال لوك: "من الصعب تتبع مصدر هذه الحكايات؛ فلن  
يخبر الناس إلى المأوى ويدلون بتصريح، إنها فقط شائنة  
سمعتها. كي أكون صريحًا."  
"نعم، نعم، أعتقد أنك محق."

ولقد دفعت بريدجيت البوابة وتقدمت نحو الدرجات. وبينما كانت تقفل، انفتح الباب الأمامي وخرجت سيده عجز.

كانت صورة مثالية. كما اعتقد لوك. للمرأة الراقية المعجوز. فكان جسدها النحيل يكسوه معطف من التويد وتورة، وكانت ترتدي قميصاً رمادياً حريرياً مزخرفاً بيروش حجرى. كانت قيمتها تستقر بطريقة مربعة فوق رأسها حسن الشكل، وكان وجهها لطيفاً وعيناها. عبر نظارتها. ذكيتين. وقد ذكرت لوك بهذه العنزات السوداء الرشيقة التى يراها المرء فى اليونان. كان يعينها بعض الدهشة والاستغراب.

قالت بريدجيت: "صباح الخير يا سيده وينفليت. هذا هو السيد فيتزوليم". انحنى لوك، ثم أردفت قائلة: "إنه يؤلف كتاباً عن الموت والعادات القروية والأمور المخيفة بوجه عام". قالت السيدة وينفليت: "يا إلهى! يا له من موضوع مثير". ابتسمت بشكل مشجع له.

ذكرته بالسيدة بنكرتون. قالت بريدجيت ببرة صوت لاحظ لوك ثانياً بطريقة فضولية أنها محايدة: "ظننت أنك قد تخبرينه بشئ عن أمى". قالت وينفليت: "آه. عن أمى؟ نعم، عن أمى جيبس". لاحظ وجود نصر جديد فى تعبيرها. بدت وكأنها تكون رأيًا عنه.

عادت إلى داخل الدرفة بعد ذلك، وكأنها توصلت إلى قرار.

قال لوك: "فيتزوليم، شكرًا لك، سأفعل".

أثناء مضيها قدمًا، قالت بريدجيت:

"لقد لاحظت أن أسلوبك هو الإلقاء بتصريحات وترقب رد فعل الآخرين عليها".

قال لوك: "إن أسلوبى لا يكون دومًا صادقًا إن كنت تقصدى هذا؟".

"لاحظت ذلك".

تعمل بعض الشئ وتردد فيما عليه قوله بعد ذلك، ولكن قبل أن يستطيع الكلام قالت:

"إن كنت تريد معرفة المزيد عن أمى جيبس، فإنه يمكننى أخذك إلى شخص فى وسعه مساعدتك". "من هو؟".

"السيدة وينفليت. لقد ذهبت أمى إليها بعد أن تركت مانور آش. لقد ماتت هناك".

"آه، أنفهم ذلك". كان مصدومًا بعض الشئ. "حسنًا أشكرك كثيرًا".

"إنها تقطن هنا".

كانا يعبران المحيط الأخضر للقرية، وبعدما أومأت برأسها ناحية المنزل الجورجى الكبير الذى لاحظ لوك فى اليوم السابق، قالت بريدجيت: "هذا هو وتش هول. لقد أصبح مكتبة الآن".

كان ملحقاتًا بالمكتبة منزل صغير بدا مثل منزل دمية بالمقارنة. كانت درجاته ناصعة البياض بشكل مدهش، وكانت مقابضه تتوهج، ونافضته بياضاً وأنيقة.

سأل لوك: "ألم يكن هناك شك في أنها انتحرت؟".

هزت السيدة وينفليت رأسها.

"لا، أنا لم أصدق هذا للحظة. إن أمي لم تكن من هذا طراز".

سأل لوك ببيروء: "ومن أي طراز كانت؟ أود لو تصارحيني - رأيك عنها".

قالت السيدة وينفليت:

"حسنًا، بالطبع، إنها لم تكن خادمة ماهرة بالمرة، لكن سره يشعر بالامتنان في يومنا هذا إن حصل على أي خادمين من الأساس، وكانت مهمة جدًا في عملها وتود الخروج دائمًا حسنًا، بالطبع هي كانت صغيرة، والفتيات كلهن على هذا حال في يومنا هذا. لا يبدو أنهن يدركن أن وقتهن هو ملك لسيدهن".

بدأ لوك متعاطفًا وتابعت السيدة وينفليت كلامها:

"إنها لم تكن من نوع الفتيات الذي أهتم بشأنه؛ فهي من النوع الجريء بالرغم من أنني لا ينبغي أن أتحدث عن أمور عتل هذه الآن بما أنها رحلت عن عالمنا، فأنا أشعر أنها لم تكن تحترم الأخلاقيات الدينية. بالرغم من أنني لا أظن أن ذلك سيب منطقي لإخفاء الحقيقة".

أوما لوك، لقد أدرك أن السيدة وينفليت تختلف عن السيدة بنكرتون في كونها تتمتع بعقل راجح وطريقة تفكير أفضل.

واصلت السيدة وينفليت كلامها: "كانت تحب نفسها كثيرًا، والسيد إليسورثي، صاحب محل قطع أثري ولكنه رجل نبيل في

قالت: "ادخلا. يمكنني الخروج في وقت لاحق"، ثم أجابت على اعتراض من لوك: "لا، لا، ليس هناك شيء مُلح على فعله. فقط بعض التسوق المنزلي غير المهم".

كانت غرفة الاستقبال شديدة النظافة وتروح منها رائحة خفيفة لخرامى محروق. كانت هناك بعض الصحنون الصينية المزدانة بصور رعاة ورابعيات الغنم فوق رف المستوفد والذين كانوا يتسمون بشكل مبهيج. وكانت هناك ثلاث رسومات مائية واثنان مشفولتان بالإبرة وثلاث صور مطرزة على الجدار. كما كان يوجد بعض الصور لما بدا بوضوح أنه صور لأبناء أخ وأخت وبعض الأثاث الجيد. بالإضافة إلى طاولة شيبندائية، وبعض الطاولات الصغيرة المصنوعة من الخشب الأطلساني. وأريكة فيكتورية شنيعة وغير مريحة.

طلبت السيدة وينفليت من ضيوفها الجلوس، وقالت معتذرة:

"معتذرة إنني لا أدخن؛ لذا ليس لدى سجاثر، ولكن تقضلا بالتدخين إن كنتما ترغبان بذلك".

رفض لوك، ولكن بريدجيت سرعان ما أشعلت سيجارة. بينما كانت تجلس منتصبية في مقعد ذي ذراعين منحوتتين أخذت السيدة وينفليت تتفحص ضيفتها للحظة أو اثنتين قبل أن تبعد ناظرها عنها. وكأنها أصبحت راضية وهي تقول: "تريد أن تعرف بشأن هذه الفتاة المسكينة أمي؟ إن الحادث بأكمله كان مؤسفًا للغاية وأحزنني بشدة، إنه خطأ مأساوي حقًا".

فأخذتها كانت مفتوحة فقد دخل بسهولة وفتح الباب، يا للفتاة المسكينة! كان الأمر بشعاً، لم يستطيعوا القيام بأى شيء من أجلها، وماتت في المستشفى بعد بضعة ساعات".

"وماذا كان هو، طلاء قبعات؟"

"نعم، قالوا إنه شيء يسمى حامض الأساليك. كانت الزجاجة في نفس حجم زجاجة شراب السعال. كان الشراب يوجد فوق طاولتها، أما طلاء القبعات فإلى جوار فراشها، لا بد من التقطت الزجاجة الخطأ ووضعتها إلى جوارها في الظلام كي تأخذ منها جرعة في حالة إذا ازدادت حالتها سوءاً. تلك كانت هي النظرية التي توصلوا إليها في التحقيق".

سكتت السيدة وينفليت، نظرت عيناها اللتان تشبهان عيني العنزة إليه، وأدرك هو أن هناك مغزى معيناً يكمن وراءهما. كان يساوره شعور بأن هناك جزءاً من الحكاية لم تتطرق إليه. وشعور أقوى أنها ولسبب ما أرادت منه إدراك ذلك.

سادت فترة صمت. فترة صمت طويلة وصعبة، وشعر لوك وكأنه معتل لا يعرف الكلمات التي عليه قولها، قال في ضعف:

"وأنت لا تتعدين أنها انتحرت؟"

قالت السيدة وينفليت بسرعة:

"بالطبع لا، فإن أرادت الفتاة الانتحار كان يمكنها أن تنثر شيئاً ما لأجل ذلك، وليست تلك الزجاجة التي كانت تمتلكها منذ سنوات، وعلى أية حال وكما أخبرتك، فإنها لم تكن من هذا النوع".

قال لوك في برود: "إن من رأيك؟"

الواقع. يشتغل على سبيل الهواية في رسم اللوحات المائية، وقد رسم صورة أو اثنتين لرأس الفتاة. واعتقد، كما تعلم، أنه ربما يكون قد أوحى له بأفكار: فهي شرعت في الشجار مع الشاب الذي كانت مخطوبة له. جيم هارفي. إنه يعمل ميكانيكياً بورشة التصليح ومغرم بها للغاية".

سكتت السيدة وينفليت ثم واصلت كلامها.

"أنا لن أنسى أبداً هذه الليلة المقيتة. كانت أمي معتلة المزاج. فكانت مصابة بسعال سيئ أو شيء من هذا القبيل (إنها تلك الجوارب الحريرية الرخيصة السخيفة التي يرتديها والأحذية ذات النعل الورقية، لا بد أن يصبن بنزلات برد) فذهبت إلى الطبيب في فترة بعد الظهيرة من هذا اليوم".

سأل لوك بسرعة:

"دكتور هامبلبي أي دكتور توماس؟"

"دكتور توماس، وقد أعطاه زجاجة دواء السعال التي أتت بها إلى المنزل، إنه دواء غير مضر، وهو خليط مصنوع من مواد خام كما اعتقد. وقد ذهبت إلى الفراش مبكراً ولا بد أنها كانت في الواحدة صباحاً حينما بدأت الضوضاء مع صرخة مختنقة بغيضة. نهضت وذهبت إلى باب حجرتها ولكنه كان موصداً من الداخل. ناديت عليها ولكنني لم أحصل على إجابة. كان الطاهى ممي وكنا مفزوعين للغاية. بعد ذلك ذهبنا إلى الباب الأمامي ولحسن الحظ وجدنا ريد (الشرطي لدينا) يسير في طريقه المعتاد، فناديناه عليه، فأنحرف حول الجزء الخلفي للمنزل واستطاع التسلق فوق سطح المنزل. وبما أن

قالت السيدة وينفليت:

"رأيت أنه كان حظاً تهماً".

زمت شفتيها ونظرت إليه بجديّة.

أثناء شعور لوك أن عليه أن يقول شيئاً متوقفاً، حدث انحراف في الأحداث، فكان هناك خدش على الباب ومواء حزين.

نهضت السيدة وينفليت وذهبت لتفتح الباب، فدخل منه قمل فارسي يرتجالي ضخّم. توقف ونظر في عدم استحسان للضيف، وقفز على ذراع مقعد السيدة وينفليت.

حادثته السيدة وينفليت بصوت مهدد:

"مرحباً يا ونكي بو. أين كان عزيزي ونكي بو طوال الصباح؟"

لامس الاسم وترّا في الذاكرة، أين سمع شيئاً عن قمل فارسي يدعى ونكي بو؟ قال:

"هذا قمل جميل للغاية، هل تعتين به منذ فترة طويلة؟"

هزت السيدة وينفليت رأسها.

"لا، لا، كان ملكاً لصديقة قديمة لي، السيدة بنكروتون. لقد دهستها إحدى هذه السيارات البشعة، وبالطبع لم أستطع أن أدع ونكي بو يذهب إلى غرباء. فكانت لافيتا لتستاء للغاية؛ فهي كانت مغرمة به، كما أنه جميل جداً، أليس كذلك؟"

أبدى لوك إعجاباً شديداً بالقمل.

قالت السيدة وينفليت: "احذر من أذنيه؛ فقد كانت تؤلمانه مؤخراً".

مرر لوك يده على القمل، بعذر.

نهضت بريدجيت قائلة:

"لا بد أن نعضى".

صافحت السيدة وينفليت لوك،

وقالت: "ربما أراك ثانية قريباً".

قال لوك في بهجة: "أتمنى هذا".

ظن أنها تبدو مرتبكة ومحبطة إلى حد ما، نقلت عينيها سريديجيت، كانت نظرة سريعة تحمل في ملياتها استساراً. شعر لوك أن هناك بعض التقاهم بين السيدتين تم استبعاده به. وقد أشعره هذا بالاستياء، ولكنه وعد نفسه بأنه سيمسح عر هذا الأمر قبل مضي وقت طويل.

خرجت السيدة وينفليت معها، وقف لوك لحظة على قمة الدرجات وأخذ ينظر بإعجاب إلى بهاء وجمال المساحة حضراء وبركة البطل.

قال: "إنه مكان لا يزال نقياً".

أضاء وجه السيدة وينفليت.

قالت بجديّة: "هذا صحيح، إن المكان مازال كما أذكره منذ كنت طفلة حيث كنا نعيش في المكتبة كما تعلم، ولكن حينما ريتها أخى لم يهتم كثيراً بالعيش بها. في الواقع لم نستطع تكيد مصروفاتها وعرضناها للبيع، وقد قدم لنا مقاول عرضاً وعقد مزم. كما أذكر - على "تعمية الأرض"، تلك كانت عبارته. بحسن الحظ، تدخل اللورد ويتفيلد واشترى المكان وأنقذه. فدف حول المنزل إلى مكتبة ومتحف. ولم يغير به شيئاً تقريباً.

وأنا أعمل كأمينة مكتبة مرتين أو ثلاثاً أسبوعياً . بدون أجر بالطبع . ولا يمكننى أن أخبرك عن مدى سعادتى عند تواجدى بمنزلى القديم وأنا أعرف أنه لن يتعرض للتخريب . وهو بدون شك مكان رائع . لا بد أن تزور متحفنا الصغير فى أحد الأيام يا سيد فيتزوليم؛ إنه يحتوى على بعض المعروضات المحلية المشوقة".

"بالتأكيد سأحاول القيام بذلك يا سيدة وينفليت".  
قالت السيدة وينفليت: "لقد أسدى اللورد ويتفيلد ويتشودود الكثير من النفع، ويحزننى أن هناك أشخاصاً ناكرين للجميل حقاً".

زمت شفيتها معاً . لم يطرح لوك فى بادئة ثم عن الحكمة أية أسئلة، وودعها ثانية.

وحيثما دلفا خارج البوابة، قالت بريدجيت:  
"هل تود إجراء المزيد من الأبحاث أم تريد العودة إلى المنزل من خلال طريق النهر؟ إنها تشمية رائعة".

وافق لوك على الفور على التمشية؛ فهو لم يرغب فى إجراء مزيد من التحقيقات أثناء وقوف بريدجيت كونواى إلى جواره.  
قال:

"العودة إلى المنزل من خلال طريق النهر بكل تأكيد".  
ساراً خلال الشارع الرئيسى، وكان واحد من المنازل الأخيرة قد علق فوقه لافتة مزخرفة بحروف ذهبية قديمة تشكل كلمة "بازار"، توقف لوك ونظر خلال إحدى النوافذ داخل الأعماق الباردة.

قال: "هذا صحن أترى لطيف هناك، وسيحظى بإعجاب حدى عماتى وأتساءل كم ثمنه؟".  
"هلا دخلنا ورأينا؟".

"إن لم يكن لديك مانع؛ فأنا أحب التجول فى متاجر التحف التاريخية؛ ففى بعض الأحيان يحصل المرء على صفقة جيدة".  
قالت بريدجيت فى جفاف: "لا أعتقد أنك قد تتجع فى سمك هذا هنا . إن إيلسورثى يعرف قيمة معروضاته بدقة . كذلك هذا".

كان الباب مفتوحاً، وفى الردهة كانت هناك مقاعد وآرائك سربنت يستقر فوقها أوان صينية وفخارية، وكانت هناك حترتان مملوءتان بالبضائع على كل جانب.

ذهب لوك إلى الغرفة التى على اليسار وأمسك بالصحن الأترى . وفى الوقت ذاته أتى شخص غير واضح المعالم من سخرة الغرفة حيث كان يجلس على مقعد من طراز كوين آن مصنوع من خشب الجوز.

"مرحباً يا أنسة كونواى، أنا سعيد بلقائك".  
"صباح الخير يا سيد إيلسورثى".

كان السيد إيلسورثى شاباً يافعاً يرتدى حلة خمرية اللون، قد ذا وجه طويل شاحب وفم أنثوى وشعر أسود طويل كشعر سائين ومشية متبغثرة.

قدمت بريدجيت لوك له؛ مما جعله ينقل اهتمامه للوافد الجديد على الفور.

"إنه صحن إنجليزي قديم أصلى. جميل، أليس كذلك؟ أنا أحب معروضاتي للغاية وأبض بيدها؛ فطالما حملت بأن أعيش فى قرية وأمتلك متجرًا صغيرًا بها. إن ويتشود هو مكان رائع حقًا؛ فجوها مميز، إن كنت تعلم ما أعنى".

تمتعت بريديجيت: "تلائم الحالة المزاجية لفنان".

استدار ناحيتها إليسورثى بيديه البيضاءوين الطويلتين. "لا، أرجوك يا أنسة كونواى، ليست هذه المباراة الشنيعة. لا تخبرينى أننى فنان وموهوب. فلا يمكننى تحمل هذا. فكما تعلمين أنا لا أتاخر فى التويد المغزول يدويًا والأواني الفخارية؛ فأنا مجرد تاجر، تاجر لا أكثر".

قال لوك: "ولكنك فنان حقيقى، ألا ترسم الصور المائية؟".

صاح السيد إليسورثى وهو يصفق بيديه معًا: "الآن، من أخبرك بهذا؟ إن هذا المكان مدهش حقًا. فلا يستطيع أحد الإبقاء على سر به. وهذا هو ما أحبه بشأنه؛ فالجو هنا يختلف عن جو المدينة تمامًا والذى يتسم بدمم التدخل فى شؤون الغير! إن النعمية والمكر والفضائح تد كلها أشياء جميلة إن تقبلها المرء بصدر رحب".

اكتفى لوك بالإجابة عن سؤال السيد إليسورثى ولم يبد اهتمامًا بالجزء المتبقى من ملاحظاته. "أخبرتكم السيدة وينفليت أنك رسمت عدة صور للفاتة. آمى جيبس".

قال السيد إليسورثى: "آه، نعم"، وأخذ خطوة للخلف ووازن من الشراب كان قد تأرجح، قام بتثبيتته بحرص، قال: "من قمت بذلك؟ آه، نعم، أعتقد أن هذا صحيح".

يذا أنه فقد رباطة جأشه بعض الشيء.

قالت بريديجيت: "كانت فتاة جميلة".

استعاد السيد إليسورثى ثقته بنفسه.

سأل: "أتمتدين ذلك؟ كانت عادية للغاية، طالما اعتقدت من وجه كلامه إلى لوك: "إن كنت تريد الصحن، فإن لدى سحنتين اثنتين منقوشا عليهما صور لطيور. إنهما جميلان".

أبدى لوك بعض الاهتمام بالصحنين ثم سأل عن سعر صحن.

قال له إليسورثى رقمًا.

قال لوك: "شكرًا لك، ولكننى لا أظن أننى أريد حرامك".

قال إليسورثى: "أنا دائماً أشعر بالسعادة حينما لا أنتم متفقة. من حقًا، أليس كذلك؟ اسمع، سوف أخفض لك السعر جنيهاً. تريد البضاعة، يمكننى رؤية هذا. إن هذا يشكل فارقًا كبيرًا من لى. وبالرغم من كل شيء، فإنك فى متجر".

قال لوك: "لا، أشكرك".

صاحبهما السيد إليسورثى حتى الباب وهو يلوح بيديه. "لديين قيعيتين للغاية، هكذا ظن لوك. فقد كانا رماديتين من منهما بيضاوين.

قال حينما ابتعدا عن المكان: "إنها بضاعة قذرة".

قالت بريديجيت: "بل هو شخص ذو عقلية قذرة وعادات قذرة".

"لماذا أتى إلى مكان مثل هذا؟"

"أؤمن أنه يشتغل في السحر الأسود، ليس الأعمال التدنيسية ولكن أشياء مقاربة لهذا، وقد ساعدته سمعة هذا المكان على هذا".

قال لوك في دهشة: "يا إلهي! أعتقد أنه الشخص الذي أريده. لا بد أن أتحدث معه بهذا الشأن. كان لا بد لي أن أتحدث معه في هذا الموضوع".

قالت بريديجيت: "أعتقد هذا؟ إنه يعلم الكثير عن هذا الموضوع".

قال لوك في تملل:

"سوف أزوره في يوم آخر".

لم تجب بريديجيت، لقد أصبعا خارج البلدة الآن، ثم انحرفا ليتبعيا طريقاً للمشاة حتى وصلا للنهر.

هناك مرا برجل ضئيل الحجم ذي شارب متصلب وعينين بارزتين، كان بصحبته ثلاثة كلاب بولدوج والتي كان يصيح بها بصوت أجش: "نيرو، تعالي هنا، نيللي، اتركي هذا، أسقطيه. أوجسش، من فضلك...".

سكت ليرفع قبعته لبريديجيت، وهدق إلى لوك بفصول بالغ وواصل مسيرته وتنظيفه لحيواناته.

قال لوك: "الرائد هورتون وكلايه انبولدوج؟".

"هذا صحيح".

"آلم تقابل جميع الشخصيات المهمة في ويتشود هذا الصباح؟"

"نعم".

قال لوك متذكراً في حزن كلمات جيمي لوريمر: "أنا أشعر بالتطفل، أعتقد أن الناس في القرى الإنجليزية يميزون الغرباء من مسافة ميل".

قالت بريديجيت: "إن الرائد هورتون يقتل دوماً في إخفاء شعوره بالفصول: فهو يهدق إلى الغرباء".

قال لوك بقسوة: "إنه من ذلك النوع من الرجال الذي يمكنك الجزم بأنه رائد شرطة في أي مكان".

قالت بريديجيت فجأة: "هلا جلسنا على الضفة قليلاً، فمزال لدينا متسع من الوقت".

جلسا على جذع شجرة مقطوع، واصلت بريديجيت كلامها: "نعم، الرائد هورتون ذو هيئة عسكرية وسلوكيات حازمة. وأنت لن تصدق قط أنه كان زوجاً تهيمن عليه زوجته منذ عام واحد فقط".

"ماذا؟ هذا الرجل؟"

"نعم، كان متزوجاً من أبض النساء اللاتي سبق ورأيتهن في حياتي، وهي كانت غنية كذلك ولم تتردد لحظة في التأكيد على هذه الحقيقة على الملأ".

"يا له من وحش مسكين، ذلك الذي يدعى هورتون".



"كان شديد اللطف معها . فكان يفصل دوماً بين عمله كشرطى وبين دوره كزوج . أنا شخصياً أتعجب لماذا لم يحطم رأسها بفأس".

"إنها لم تكن محبوبية، على ما أعتقد".

"كان الجميع يبغضونها، فكانت تزدرى جوردون وتتعامل معى بتمالٍ، وقد كانت تثير سخط واستياء الجميع أينما حلت".

"ولكننى أعتقد أنه من رحمة الله أنه قدر لها الخروج من هنا".

"نعم، منذ حوالى عام بسبب التهاب معدة حاد، وقد حولت حياة زوجها ودكتور توماس واثنين من الممرضات إلى جحيم حقيقى، ولكنها ماتت بعد ذلك، بعدها تحسنت حالة الكلاب البولدوج على الفور".

"كلاب أذكاء".

سابت فترة صمت، كانت بريديجت تمبث بالأعشاب الطويلة. قلب لوك إزاء الضفة المقابلة فى شروق، مرة أخرى هيمنت عليه طبيعة مهمته المشابهة للعلم، ترى ماذا كان حقيقةً وماذا كان مجرد خيال من بين كل ما سمعه؟ أليس هذا أمرًا شديد الصعوبة أن تمحص شخصية كل شخص جديد تقابله باعتباره قاتلاً محتملاً؟ رأى أن هذه الفكرة تتطوى على شىء مخز.

قال لنفسه: "تبًا لكل هذا. لقد ظللت أعمل رجل شرطة لفترة طويلة للغاية".

وقد أفاق من شروده على صدمة: فكان صوت بريديجت بارد الواضح يعادله.

قالت: "يا سيد فيتزوليم، هلا أخبرتنى عن العيب حقيقى الذى جاء بك إلى هنا؟".

## الفصل ٦

### طلاء القبعات

نن لوڪ على وشك إشعال سيجارته بعود ثقاب، ولكن المفاجأة  
ساجعة من ملاحظتها شلت يده للحظة، وظل بلا حراك  
حظة أو اثنتين حتى احترق عود الثقاب وحرق أصابعه.  
قال لوڪ وهو يرمى عود الثقاب ويهز رأسه في عنف:  
"للعنة! عذراً، لقد صدمتني بشدة" ابتسم في كآبة.  
"حقاً؟"

تتهد قائلًا: "نعم. آه، حسنًا، أعتقد أن أى شخص يتمتع  
بكاء حقيقى كان لابد له أن يكشف أمرى! إنك لم تصدقنا  
حظة فى قصة قيامى بتأليف كتاب عن الفولكلور؟".  
"ليس بعد أن رأيتك".  
"كنت تصدقنيها حتى ذلك الحين؟".  
"نعم".

قال لوڪ منتقدًا: "إنها لم تكن قصة محبوبكة. أعنى أن  
أى رجل قد يرغب فى تأليف كتاب، ولكن مسألة إتيانى إلى

هنا كابن عم لك هي التي جعلتك تشكين فيّ، أليس كذلك؟".

هرت بريديجيت رأسها.

"لا، كان لدى تفسير لهذا. أعني ظننت أن لدى تفسيرًا لهذا؛ فقد اعتقدت أنك معسور للغاية، فالعديد من أصدقاء جيمي وأصدقائي يسمعون بهذه الصفة، وقد ظننت أنه اقترح عليك مسألة ابن العم هذه كي تحفظ كرامتك".

قال لوك: "الكنني حينما وصلت أوحى مظهرى بأننى رجل ثرى مما أدهش هذا التفسير".

ابتسمت ابتسامة صغيرة.

قالت: "لا، لا، لم يكن الأمر كذلك. كل ما فى الأمر أنك كنت لا تتواءم مع ما كنت تدعيه".

"لا أمثلك ما يكفى من الذكاء لتأليف كتاب؟ لا أعبر عن مشاعري؟ أنا أعلم هذا".

"لا، يمكنك تأليف كتاب. ولكن ليس هذه النوعية من الكتب. الخرافات القديمة والتفقيب فى الماضى. أنا لم أفتح بهذا. فأنت لست من نوعية الأشخاص الذين يهتمون بالماضى. ولا حتى بالمستقبل. فقط الحاضر".

"آه، أنتهم ذلك". جمد وجهه. "تبا. لقد جعلتني أشعر بالتوتر منذ اليوم الذى أتيت فيه إلى هنا: فأنت تبدين ذكية للغاية".

قالت بريديجيت بجفاف: "أنا آسفة، ماذا كنت تتوقع؟".

"حسنًا، أنا لم أفكر فى هذا الأمر كثيرًا بالفعل".

تكنها واصلت كلامها بهدوء:

"فتاة لعوب صغيرة تتمتع بما يكفى من الذكاء كي توقع سيرها فى شباكها؟".

أصدر لوك ضوضاء تتم عن الارتباك؛ فبادلته نظرة باردة برحة.

"أنا أفهم هذا، لا بأس، أنا لست مستاءة".

اختار لوك الوقاحة.

"حسنًا، ربما كانت فكرتى عنك قريبة قليلًا مما قلته؛ لكننى لم أفكر فيك كثيرًا".

قالت ببطء:

"أعلم أنك لم تكن لتفعل ذلك؛ فأنت لا تعبر السور حتى تصل إليه".

ولكن لوك كان يشعر بالحنوط.

"الآن ما من شك لدى أننى لم أحسن أداء دورى هل كشف جورد ويتقليد أمرى كذلك؟".

"لا، لا. فإذا قلت إنك أتيت إلى هنا كي تدرس عادات خفافس المائية وتكتب عنها رسالة، فذلك سيكون لا بأس به -ى جوردون؛ فهو يصدق أى شيء".

"لا بأس؛ فأنا لم أكن مقنعًا بالمرّة لقد فضحت أمرى خنقياً ما".

قالت بريديجيت: "لقد قيدت أسلوبك، كنت أرى هذا. ياخشى أننى كنت أستمع بهذا".

"بالطبع وجدته معتملاً فانساء الذكيات عادة ما يكن قاسيات وذوات دم بارد".

تمتمت بريدجيت:

"لا بد أن ينهل المرء من كل الأمور التي تمتعه بقدر استطاعته في هذه الحياة". سكنت للحظة ثم قالت: "لم آتيت إلى بلدنا يا سيد فيتزوليم؟".

وهكذا عادا مجدداً إلى السؤال الأصلي. كان لوك يعلم أن هذا سوف يحدث. وفي اللحظات الأخيرة الماضية كان يحاول اتخاذ قرار بشأن إجابة هذا السؤال، فنظر إليها الآن وتقابلت عيناها. كانت عيناها ذكيتين يتغللها استفسار وقد قابلتا عينيه بتحديد ثابت وهادئ، كان بهما جاذبية لم يتوقع إيجادها فيهما.

قال لوك: "سيكون من الأفضل على ما اعتقد ألا أتو على مسامحك مزيداً من الأكاذيب".

"هذا صحيح".

"لكن الحقيقة مربكة... اسمعي هل توصلت لتفسير خاص بك. أعني هل خطرت لك أية أفكار عن سبب وجودي هنا؟".

أومات ببطء وهي مستقرقة في التفكير.

"ما كان تفسيرك؟ هلا أخبرتي؟ اعتقد أن ذلك قد يساعدني بشكل ما".

قالت بريدجيت بهدوء:

"إن التفسير الذي لدى أن مجيئك إلى هنا له علاقة بموت هذه الفتاة أمي جيبس".

هذا هو إذن! هذا هو ما رأيته. واستشعرته. كلما ذكر سبب كنت أعلم أن هناك شيئاً ما. إذن تمتعدين أنتي آتيت سبب؟".

جيبس هذا صحيحاً؟".

نكس ما".

سكت وقطب حاجبيه، فجلست الفتاة إلى جواره صامته - بدون حراك، لم تقل شيئاً كي لا تقطع حبل أفكاره.

توصل إلى قراره.

عند آتيت إلى هنا كي أبدأ مطاردة مثيرة والتي تأسست - افتراض خيالي وربما مخيف وميلودرامي، وأمى جيبس - جزء من الأمر: فأنا أود أن أعرف كيف ماتت بالضبط".

نعم. اعتقدت هذا".

يكن دك من كل هذا. لماذا اعتقدت هذا؟ ماذا في موتها - تمامك؟".

قالت بريدجيت:

نقد ارتبعت في الأمر منذ البداية. ولهذا اصططحتك لرؤية سيدة وينفليت".

لماذا؟".

"لأنها تشاركتني نفس هذا الرأي".

"آه". استعاد لوك ذكريات لقاء مع هذه السيدة سريعاً. فهم التلميحات الضمنية لهذه السيدة المجوز الذكية.

ب تشاركك الرأي بأن الأمر ينطوي على شيء مريب؟".

أومات بريدجيت.

"ماذا بالضبط؟"

"طلاء القبعات كبداية".

"ماذا تقصدين بطلاء القبعات؟"

"حسناً، منذ نحو عشرين عاماً مضت كان الناس يطلون القبعات بالفعل؛ ففى أحد المواسم يكون لديك قبعة وردية وفى الموسم التالى تجلب طلاء قبعات لتصبح لديك قبعة زرقاء داكنة، ثم تجلب ربما زجاجة أخرى ويصبح لديك قبعة سوداء! ولكن الآن القبعات رخيصة. أشياء تلقى بها فى القمامة حينما تنتهى موضتها".

"حتى هتيات من طبقة أمى جيبس؟"

"إن احتمال قيامى بطلاء قبعة يفوق احتمال قيامها هى بأمر مماثل! لا أحد يقتصد الآن، وهناك أمر آخر؛ لقد كان طلاء قبعات أحمر اللون".

"إذن؟"

"أمى كانت صهباء. لون الجزر".

"تقصدين أن اللونين لا يتماشيان؟"

أومأت بريدجيت موافقة.

"أنت لن تردى قبعة قرمزية إن كان لديك شعر جزرى اللون، إنه أحد الأشياء التى لن يستوعبها الرجال، لكن -".

قاطعتها لوك باقتناع قوى.

"لا - الرجال لن يستوعبوا هذا، إن كل ما قلته يوضح الصورة أمامى أكثر فأكثر".

قالت بريدجيت:

لجيمى لديه بعض الأصدقاء غريبى الأطوار فى ستريلاند يارد. أنت لست -".

فل لوك بسرعة:

"لست محققاً رسمياً. كما أنتى لست محققاً خاصاً. لى يملك مكتباً فى شارع بيكى وما إلى ذلك. أنا كما أنت جيمى تماماً. شرطى متقاعد من الشرق، وأنا أبحث فى هذا الأمر بسبب شيء غريب حدث فى القطار إلى لندن".

حكى لها باختصار عن حوارها مع السيدة بنكرتون والأحداث -جة التى أتت به إلى ويتشود.

على كلامه قائلاً: "لذا كما ترين، الأمر عجيب! أنا أبحث عن رجل بعينه. قاتل سري. رجل هنا فى ويتشود، والذي ربما - ذائع الصيت ومحترماً. وإن كانت السيدة بنكرتون محقة - محقة والسيدة. ما اسمها. محقة. فإن هذا الرجل قتل - جيبس".

فلت بريدجيت: "أفهم هذا".

يمكن أن يكون الفاعل قد دلف إلى غرفتها من الخارج. - هذا صحيحاً؟"

فلت بريدجيت ببطء: "أعتقد هذا. إن الشرطى ريد سلق - فذهنا من خارج المنزل، فكانت النافذة مفتوحة. كان - مرشاقاً بعض الشيء، ولكن أى رجل يتمتع بقدر من اللياقة -هته القيام بذلك بسهولة".

"وبعد أن قام بذلك ماذا فعل؟"

قالت بريديجيت: "لقد كانت حاذقة للغاية. إن معظم هؤلاء سيدات العجائز الثريات يكن حادَات كالأطافر فى بعض - حتى. قلت إنها ذكرت أسماء أخرى؟".  
أوماً لوك.

"نعم. صبى صغير. هذا كان تومى بيرس. وقد تذكرت سمه حينما سمعته، وأنا واثق من أنها أنت على ذكر كارتر بضاً".

قالت بريديجيت وهى مستغرقة فى التفكير: "كارتر وتومى بيرس وأمى جيبس ودكتور هامبلى. كما قلت تماماً. إنه أمر يصعب تصديقه: فمن قد يرغب فى قتل كل هؤلاء الأشخاص؟ فيه يختلفون عن بعضهم تماماً".

قال لوك:

"هل لديك أية فكرة ممن قد يرغب فى قتل أمى جيبس؟".  
هزت بريديجيت رأسها.  
"ليس لدى فكرة".

"ماذا عن الرجل الذى يدعى كارتر؟ كيف مات بالثانسة؟".  
"سقط فى النهر وغرق. كان فى طريق عودته للمنزل. كانت ليلة ضبابية وكان ثملاً للفاية. كان هناك جسر مشاة - سور من جهة واحدة فقط، وقد اتفق الجميع على أن قدمه قد زلت".

"لكن يمكن أن يكون أحدهم قد دفعه كذلك؟".

"نعم".

"وضع زجاجة طلاء القبعات مكان زجاجة شراب السعال".

"متمنياً أن تقوم بما فعلته بالضبط. تستيقظ وتشربه فيعتقد الجميع أنها ارتكبت خطأ أو انتحرت؟".  
"نعم".

"لم يشك أحد فيما يطلقون عليه فى الكتب" جريمة قتل أثناء التحقيق؟".  
"لا".

"الرجال مجدداً، على ما أعتقد. فمسألة طلاء القبعات لم يتطرق إليها أحد؟".  
"لا".

"لكلك فكرت بها".

"نعم".

"وبالنسبة للسيدة وينفليت؟ هل ناقشتما الأمر معاً؟".

ابتسمت بريديجيت هى وهن:

"لا، لا. ليس بالطريقة التى تمنىها. أعنى أننا لم نتحدث صراحة عن أى شيء. أنا لا أعلم فى الواقع ما تعتقده العجوز، كل ما أظنه أنها تشعر بالقلق. وتزداد قلقاً. إنها ذكية للغاية كما تعلم، فقد ارتادت جيرتون أو أرادت هذا، وكانت متفوقة حينما كانت صغيرة: فهى لا تملك هذا العقل المشوش الذى يمتلكه معظم سكان هذه البلدة".

قال لوك: "كانت السيدة بىكرتون تملك عقلاً مشوشاً على ما أعتقد، ولهذا السبب لم أصدق شيئاً من قصتها فى البداية".

"ويمكن أن يكون أحدهم قد دفع تومي الصغير المتوحش حينما كان يتظلم النافذة؟"

"مرة أخرى، نعم."

"إذن فقد خلصنا إلى أنه من السهل التخلص من ثلاثة أشخاص دون أن يحوم حول الفاعل أدنى شك."

قالت بريديجيت: "لقد شككت السيدة بنكروتون."

"نعم، هذا صحيح، رحمها الله، إنها لم تخش أن يتهمها أحد بالميلودرامية أو تخيل أشياء."

"كثيراً ما أخبرتني أن العالم هو مكان يملؤه الشر."

"وكنتم تكتمين فقط بالتبسم بتسامح على ما أعتقد؟"

"بطريقة متعالية؟"

"أي شخص يستطيع تصديق ستة أشياء مستحيلة قبل الإفطار يفوز في هذه اللعبة."

أومات بريديجيت،

قال لوك:

"أعتقد أنه لا جدوى من سؤالك لك إن كانت تصاورك أية شكوك؟ فلا يوجد أحد بعينه في ويتشورود يثير في نفسك الريبة أو يمتلك عينيْن شاحبتين غريبتين. أو ضحكة غريبة مجنونة."

"كل من قابلتهم في ويتشورود يبدو لي راجح العقل ومحترمين وأسمياء للغاية."

قال لوك: "كنت أخشى أن تقول لي هذا."

قالت بريديجيت:

"من تعتقد أن هذا الرجل مجنون تماماً؟"

عم. أعتقد هذا، معتموه بالفعل ولكنه ماهر كذلك. آخر حصص يمكنك الشك فيه. على الأرجح أحد أعضاء المجتمع - برين كمدبير بك."

"سيد جونز؟ لا يمكنني أن أنخيل قيامه بعملية قتل مدعى؟"

"إذن هو في الغالب الرجل الذي نبعت عنه."

قالت بريديجيت: "قد يكون أي أحد. الجزار أو البقال أو - من المزرعة أو عامل إصلاح الطريق أو الشخص الذي يوصل -"

س."

"ربما. نعم. ولكنني أعتقد أن الاحتمالات تقتصر على فئة -"

س."

"لماذا؟"

"تحدثت السيدة بنكروتون عن النظرة التي توجد في عينيه حينما يخطئ لقتل ضحيته التالية: فمن الطريقة التي تحدثت

في تولد لدى الانطباع. وهو مجرد انطباع. أن الرجل الذي تحدثت عنها يناظرها على الأقل في المستوى الاجتماعي،

بالطبع من الممكن أن أكون مخطئاً."

"أنت محق على الأرجح! إن هذه الفروق الدقيقة في حوار لا تحتمل التخمين، وهي من الأشياء التي لا يخطئ المرء

بشأنها."

قال لوك: "أتعلمين، أنا أشعر براحة غامرة: لأنك تعرفين الكثير وتشاركينني رأيي."

أنا أعتقد معك على أن ذلك سيقيد أسلوبك بشكل أقل. وأنا أستطيع على الأرجح مساعدتك".  
 "إن مساعدتك ستكون بالفة القيمة بالنسبة لى. أنت تريدان كشف النقاب عن هذا اللقز؟".  
 "بالطبع".

قال لوك بعدما ساوره شعور مفاجئ بسيط بالإحراج:  
 "ماذا عن اللورد ويتفيلد؟ هل تعتدين؟".  
 قالت بريديجيت: "فى الأحوال الطبيعية نحن لا نخبر جوردون بأى شىء".  
 "أتقصدين أنه لن يصدق هذا؟".

"لا، سوف يصدق! إن جوردون يصدق أى شىء فهو سوف يشعر بالسعادة على الأرجح ويصر على أن يجب نصف دستة من موظفيه الشباب النابهين البلدة! إنه سوف يعشق الأمر".  
 قال لوك: "هذا إذن يحتم علينا عدم إخباره".  
 "نعم، لا يمكننا السماح له باغتمام مثل هذه المتع الصغيرة على ما أخشى".

نظر لوك إليها. بدا أنه على وشك أن يقول شيئاً ما لكنه غير رآيه. نظر بدلاً من ذلك إلى ماعته.  
 قالت بريديجيت: "نعم، لا بد أن نعود إلى المنزل".  
 نهضت. ساد بينهما ارتباك مفاجئ. كما لو أن كلمات لوك التى لم يَطلق بها حامت فى الهواء ووَتَرَتَهُ.  
 سارا إلى المنزل فى صمت.

## الفصل ٧ الاحتمالات

حس لوك فى فراشه. كان فى وقت الغداء قد خاض استجواباً من السيدة أنستروثر بشأن الزهور التى يزرعها فى حديقته فى ماينج سترايتس. أخبرته بعد ذلك عن نوع الزهور الذى سينمو بشكل جيد هناك. واستمع كذلك إلى المزيد من موضوع صائح إلى الشباب من حياتى" بلسان اللورد ويتفيلد. الآن سيح وحده أخيراً.  
 أخذ ورقة وكتب مجموعة من الأسماء كما يلى:

دكتور توماس  
 السيد آيوت  
 الرائد هورتون  
 السيد إيلمورثى  
 السيد ويلك  
 "سيد جونز  
 صديق آهى

الجزار، الخباز، صانع الشمعدان، إلخ.

بعد ذلك أخذ ورقة أخرى وعنوانها بكلمة "الضحايا".  
وتحت العنوان كتب:

أمي جيبس:

تسمعت

تومي بيرس:

تم دفعه خارج النافذة

هاري كارتير:

تم دفعه من فوق جسر الأشاة (شمل؟)

معاملي مخدرات؟).

دكتور هاميلباي:

تسمم في الدم

السيدة بنكرتون:

دهستها سيارة

أضاف:

السيدة روز؟

بن المجوز؟

وبعد فترة كتب:

السيدة هورتون؟

تأمل قوائمهم ودخن قليلاً ثم التحق قلمه مجدداً.

دكتور توماس: دليل الإدانة ضده.

دافع قوي في حالة دكتور هاميلباي. طريقة قتل ملائمة. تسمم

بالجرثيم. زارته أمي جيبس في فترة بعد ظهيرة يوم موتها

(هل يوجد شيء بينهما؟ ابتزاز؟)

تومي بيرس؟ لا علاقة معروفة بينهما (هل علم تومي بوجود

علاقة بينه وبين أمي جيبس؟).

هاري كارتير؟ لا علاقة معروفة بينهما.

هل كان دكتور توماس غائباً عن ويتشود في يوم ذهاب السيدة

بنكرتون إلى لندن؟

تتهدد لوك وكتب عنواناً جديداً:

السيد أبوت: دليل الإدانة ضده.

(شعور داخلي بأن النحاس هو شخص مشير للريبة. حكم مسبق

على الأرجح). شخصيته. شخص متورد الوجه، ولطيف، إلخ

. ستكون بدون شك شخصية مثيرة للريبة في إحدى الروايات

. ينصبب الشك دوماً على الرجل متورد الوجه المخادع.

الامتراض: هذه ليست رواية ولكن حياة واقعية.

دافعه لقتل دكتور هاميلباي. عداوة واضحة بينهما: فهو تحدى

أبوت: وهذا دافع كاف بالنسبة لعقل مشوش، وقد استطاعت

السيدة بنكرتون بسهولة أن تلحق هذه العداوة.

تومي بيرس؟ قام تومي بالعبث في أوراق أبوت، هل عثر على

شيء لم يكن ينبغي له العثور عليه؟

هاري كارتير؟ لا توجد علاقة معروفة بينهما.

أمي جيبس؟ لا توجد علاقة معروفة بينهما. إن طلاء القبعات

هو طريقة مناسبة للقتل ثلاثين عقلياً أبوت. عقلية عتيقة

الطراز. هل كان أبوت متغيباً عن القرية يوم مقتل السيدة

بنكرتون؟

الرائد هورتون: دليل الإدانة ضده.

لا علاقة معروفة بينه وبين أمى جيبس أو تومى بيرس أو كارتير.

ماذا عن السيدة هورتون؟ يبدو أنها ماتت بسبب تسمم الزرنيخ. لو كان هذا صحيحاً، فإن حالات القتل الأخرى ربما تكون ناتجة عن هذا. الابتزاز؟ ملحوظة. فإن توماس هو الطبيب المالح (تجده أماليح الاتهام ناحية توماس مجدداً).

السيد إيلسورثي: دليل الإدانة ضده.

بضائع قذرة. متورط في السر الأسود. ربما يكون قاتلاً متعطشاً للدماء. تربطه علاقة مع أمى جيبس. أى علاقة بينه وبين تومى بيرس؟ كارتير؟ لا توجد علاقة معروفة. هامبليباي؟ ربما يكون قد اكتشف حالة إيلسورثي العقلية. السيدة بنكرتون؟ هل كان إيلسورثي متفانياً عن ويتشود يوم مقتل السيدة بنكرتون؟

السيد ويلك: دليل الإدانة ضده.

احتمال بعيد، جنون ديني محتمل؟ شعور مختل بأنه موكل من الله للقتل؟ رجل الدين المعجز عادة ما يكون هو القاتل في الروايات. لكن (كالسابق) هذه هي الحياة الواقعية. ملحوظة. كارتير وتومى وأمى جميعهم شخصيات غير محبوبة. ومن الأفضل التخلص منهم من الحياة الدنيا بقضاء إلهي؟

السيد جونز.

معلومات. لا يوجد.

صديق أمى.

لديه دافع قوي لقتل أمى. ولكن احتمال أن يكون هو قاتل جميع الضحايا بعيد بوجه عام.

الأخرون؟

لا يعرفهم.

قرأ ما كتبه.

حد ذلك هز رأسه.

نعم برقة:

هذا سخيف! كم كان إقليدس يضع نظرياته بطريقة لطيفة".

سوف قوائمهم وحرقها.

في نفسه:

إن هذه المهمة لن تكون سهلة".

## الفصل ٨

### دكتور توماس

تكا دكتور توماس للخلف في مقعده ومرار يد الرقيقة في  
نعره الأصفر الكثيف. كان شاباً ذا مظهر خادع: فبالرغم من  
أنه تعدى الثلاثين إلا أن نظره خاطفة له قد تقود إلى الاعتقاد  
أنه في أوائل العشرينات إن لم يكن في سنوات المراهقة:  
شعره الأصفر الجامح الكثيف وتعبير الفزع الخفيف على  
وجهه وبشرته الوردية والبيضاء، كلها عناصر تضافرت لتعطيه  
مظهر صبي المدرسة الذي لا يقاوم. وبالرغم من مظهره غير  
التواضع إلا أن تشخيصه لحالة لوك. ركية مصابة بالروماتيزم  
تطابق تماماً وبدقة مع التشخيص الذي أدلى له به طبيبه  
المتخصص الشهير في شارع هارلي منذ أسبوع واحد مضى.  
قال لوك: "شكراً لك، حسناً، أنا أشعر بالراحة: لأنك تمنتد  
أن العلاج الكهربى سيتولى الأمر: فأنا لا أريد أن أصبح قعيداً  
في سنى هذه".  
ابتسم دكتور توماس بشكل صبيانى.

"آه، أعتقد أنك لست معرضًا لأى خطر من هذا القبيل يا سيد فيتزوليم".

قال لوك: "حسنًا، لقد أزعجت عبثًا من فوق كاهلى. كنت أفكر فى الذهاب إلى متخصص ما. ولكننى واثق أنه ما من حاجة لذلك الآن".

ابتسم دكتور توماس ثانية.

"اذهب إن كان فى هذا راحة لك؛ فبالرغم من كل شيء فهو تصرف مديد أن تطلب نصيحة متخصص".

"لا، لا، أنا أثق بك تمامًا".

"بصراحة، إن حالتى لا تتطوى على أى تعقيد، فإن عملت بنصيحتى، فأنا واثق أنك لن تجابه أية متاعب بعد ذلك".

"لقد طمأنتنى للغاية أيها الطبيب؛ فأنا ظننت أننى ربما أصاب بالتهاب المفاصل ليم تقييدى بعد ذلك بالأربطة وأصبح عاجزًا عن الحركة".

هز دكتور توماس رأسه، بينما نعلو وجهه ابتسامة تسامح خفيفة.

قال لوك بسرعة:

"إن الرجال عادة ما يسيطر عليهم الفزع بهذه الطريقة. أعتقد أنك معتاد على هذا؟ فأنا شخصيًا أظن أن الطبيب لابد أن يشعر بأنه ساحر بالنسبة لمرضاه".

"لكن عنصر الإيمان بالله له دخل كبير باعتقاد مثل هذا".

"أعلم هذا، إن عبارة "الطبيب قال ذلك" يرددها الآخرون بكل تبجيل واحترام".

رفع دكتور توماس كتفيه.

تتمم ممانحًا: "لو كان المرضى يعلمون فقط...".

ثم قال:

"أنت تؤلف كتابًا عن السحر، أليس كذلك يا سيد فيتزوليم؟".

سأل لوك بدهشة مبالغ فيها ومفتعلة إلى حد ما: "الآن

كيف علمت هذا؟".

بدا دكتور توماس سعيدًا.

"يا سيدى العزيز، إن الأخبار تنتشر بسرعة كبيرة فى مكان كهذا؛ فحقن ليس لدينا الكثير للحدث بشأنه".

"إن المكان هنا يتسم بالمبالغة كذلك؛ فأنت سوف تسمع أثنى أقوم بتحضير الأرواح المحلية وأنافس ساحرة إندور".

"من الغريب أن تقول شيئًا كهذا".

"أنا؟".

"حسنًا، إن الشائعة التى سمعتها أنك قمت بتحضير روح تومى بيرس".

"بيرس؟ بيرس؟ هل ذاك هو الصبى الذى سقط من اثناذة؟".

"نعم".

"أنا لا أدرى كيف. آه بالطبع. لقد سألت عنه ذات مرة عرضيًا ذلك المحامى، ما اسمه؟ أبوت".

"نعم، إن القصة مصدرها أبوت".

"أنت لا تمنى أننى حولت محاميًا متعجر الفؤاد إلى شخص

يؤمن بالأشباح؟".

"أنت تؤمن بالأشباح إذن؟"

"إن نبرة صوتك توحي بأنك لا تؤمن بها أيها الطبيب. لا، أنا لا أقول إنني أؤمن بالأشباح. لكنني أعرف أن ثمة ظواهر مشيرة للفضول تحدث في حالة الموت المفاجئ أو العنيف، ولكن اهتمامي ينصب أكثر على الخرافات المتعددة المرتبطة بحالات الموت المتسمة بالنف. أن الرجل المقتول على سبيل المثال لا يستطيع الراحة في قبره، وثمة اعتقاد مثير أن دم الرجل المقتول يتدفق إن قام قاتله بلمسه. أسألك عن مصدر مثل هذا الاعتقاد؟"

قال توماس: "هذا مثير، ولكن لا أعتقد أن الكثير من الناس يتذكرون هذا حاليًا".

"أكثر مما قد تتفقد، بالطبع أنا لا أعتقد أن العديد من جرائم القتل وقعت هنا. لذا فمن الصعب الحكم على هذه الأمور".  
كان لوك يتسهم وهو يتحدث بينما تستقر عيناه في لامبالاة على وجه الشخص الآخر. ولكن دكتور توماس بدا غير قلق وابتسم بدوره.

"لا، لا أعتقد أن جريمة قتل حدثت هنا منذ. منذ العديد من السنوات. وبالتأكيد ليس أثناء وجودي في البلدة".

"بالتأكيد، فهذه بلدة مسالمة وتعمها السكينة؛ فهي لا تعرف عن الأعمال العنيفة والوحشية شيئًا، إلا إذا قام أحدهم بدفع تومي. ماذا كان اسمه. من النافذة".

ضحك لوك، مرة أخرى أجابه دكتور توماس بابتسامة. ابتسامة طبية مليئة بالسعادة الصبيانية.

قال: "إن العديد من الناس كانوا يرغبون في قطع رقبة هذا الصبي، ولكنني لا أعتقد أن أحدهم قد يجرؤ على دفعه خارج النافذة".

"يبدو أنه كان طفلًا كريهاً. وربما رأى القاتل أن التخلص منه بمثابة الواجب الوطني".

"من المؤسف أن المرء لا يستطيع تطبيق هذه النظرية كثيرًا".  
قال لوك: "طالما ظننت أن قتل عدد من الناس من شأنه أن يكون مفيدًا للمجتمع. فالتثيرة على سبيل المثال يجب إنهاؤها بشراب مسكر مسموم. وهناك النساء اللاتي يتدفقن إليك ويمزقن أعز صديقاتهن إرباً بأنسنتهن. وهناك المعاجز التمامات، وهناك العنيدون ممن يعارضون التقدم، فإن تم التخلص من كل هؤلاء ببساطة، ستكون قد أسديت الحياة الاجتماعية معروفًا كبيرًا".

اتسمت بابتسامة دكتور توماس الصغيرة لتصبح ابتسامة عريضة.

"في الواقع، أنت تشجع الجريمة على نطاق واسع؟"

قال لوك: "بل الإبادة المتسمة بحسن التمييز. ألا توافقني الرأي بأن ذلك سيكون مفيدًا؟".  
"آه، بدون شك".

قال لوك: "ولكنك لست جادًا، الآن أنا أصبحت جادًا. فأنا لا أملك حس احترام حياة الإنسان الذي يمتلكه الرجل الإنجليزي العادي؛ فأى شخص يمثل عقبة في سبيل التقدم لابد من التخلص منه. هذا هو رأيي".

"نعم، إنه هو. أنا لم يسبق لى التعرف عليه، ولكن ابنته  
سمى الأنسة كونواى كانت تتحدث عنه. يبدو أنه كان غداً  
حقيقياً".

قال الطبيب: "حسناً، كان مكبراً، هذا شيء معروف، كما  
أنه كان يسوء معاملة زوجته ويقسو على ابنته. كان مؤدياً  
مساكناً وعلى خلاف مع معظم سكان البلدة".  
"فى الواقع لقد أصبح العالم أفضل بدونهم؟"  
"نعم. أوافقك الرأى".

"وإن حدث ودفعه أحدهم فى النهر عوضاً أن يتركه يتع  
من تلقاء نفسه، فإن هذا الشخص سيكون قد أسدى المجتمع  
خدمة؟".

قال دكتور توماس بحفاف:

"تلك النظرية التى تتادى بها، هل قمت بتطبيقها فى ماينج  
سترايتس؟ أعتقد هذا هو المكان الذى قلت إنك جئت منه".  
ضحك لوك.

"لا، لا، إنها لا تزال نظرية بالنسبة لى ولم تصل إلى حد  
تطبيق".

"لا، لا، لا يبدو لى أنك تتصرف كقاتل".

"لماذا؟ لقد كنت صريحاً بما فيه الكفاية وكشفت لك عن  
فكارى".

"تماماً. كنت صريحاً للغاية".

"أعنى أننى إن كنت من ذلك النوع من الرجال الذى يسعى  
لتطبيق العدالة بنفسه ما كنت لأعلن عن أفكارى؟".

بعد أن مرر يده خلال شعره الأصفر القصير قال دكتور  
توماس:

"نعم، ولكن من باستطاعته تنصيب نفسه حكماً على  
الإبقاء على حياة وإنهاء أخرى؟".

اعترف لوك قائلاً: "إن هذا هو ممكن الصعوبة بالطبع".  
"إن أحد رجال الدين المتشددين سوف يعتبر أن منادياً  
بالشيوعية لا يجب أن يعيش. وأحد المنادين بالشيوعية سوف  
يحكم على أحد رجال الدين بالموت بوصفه مروجاً للخرافات،  
والطبيب سوف يرغب فى موت غير الأصحاء، ومعارض  
الحروب سوف يدين الجندي، وهكذا".

قال لوك: "يمكن تقليد عالم كحكم. شخص يتسم بعدم  
الانحياز وفى نفس الوقت يكون ذا عقلية شديدة التخصص.  
طبيب على سبيل المثال. وإذا اتفقنا على ذلك فأنت سوف تكون  
نعم الحكم أيها الطبيب".  
"أن أقرر من يجب أن يموت؟".  
"نعم".

هز دكتور توماس رأسه.

"إن وظيفتى هى أن أجعل غير الصالح صالحاً، وأنا أعترف  
أنها وظيفة شديدة الصعوبة معظم الوقت".  
قال لوك: "فقط على سبيل التحوار: لنأخذ الراحل هارى  
كارتر مثلاً لنا ...".

قال دكتور توماس بجدّة:

"كارتر؟ هل تمنى مالك سفن ستارز؟".

"هذا ما قصدته".

"لكن ربما اعتبر الأمر كشيء مثل التبشير. ربما يكون هذا الموضوع قد أصابني بالهوس".

"حتى لو كان هذا صحيحًا، فإن حس حماية الذات لديك سيكون نشطًا".

"في الواقع، إن أردت البحث عن قاتل، فابحث عن هذا الرجل الذي لا يبدو أن باستطاعته إيداء ذبابة".

قال دكتور توماس: "هذه المقولة مبالغ فيها بعض الشيء، لكن بها شيء من الحقيقة".

قال لوك فجأة:

"أخبرني - فأنا أود أن أعرف - هل سبق أن عرفت رجلاً كنت وثقًا أنه قاتل؟"

قال دكتور توماس بجدّة:

"يا له من سؤال غريب".

"حقًا على أية حال، عادة ما يصادف الطبيب الكثير من الشخصيات الغريبة. ومن الأفضل أن يكون باستطاعته التعرف على أعراض مرض النزوع إلى القتل في مرحلة مبكرة قبل أن تتفاقم وتحدث كارثة".

قال توماس بانزعاج:

"إنك تملك فكرة الإنسان العادي عن الشخص النازع إلى القتل - رجل يجري مسعورًا وفي يده سكين، رجل يزيد من فمه، لكن دعني أؤكد لك أنه من أصعب الأمور في العالم أن تتعرف على مثل هذا الشخص النازع إلى القتل: فهو قد يبدو مثل أي

شخص آخر - رجل قد يشعر بالخوف بسهولة أو الذي ربما يخبرك أن له أعداء. لا أكثر من هذا، رجل هادئ غير مؤذ".

"هل هذا صحيح؟"

"بالطبع هو صحيح. إن المجنون النزاع إلى القتل عادة ما يقتل (حسبما يعتقد) دفاعًا عن نفسه، ولكن بالطبع العديد من القتلة هم أشخاص أسوياء مثلي ومثلك".

"لقد أثرت في نفسي الفزع أيها الطبيب؛ تخيل لو أنك كتشفت بعد ذلك أنني قمت بقتل خمس أو ست ضحايا".

ابتسم دكتور توماس.

"لا أعتقد هذا يا سيد فيتزوليم".

"حقًا؟ سوف أود لك هذه المجاملة. لا أعتقد أنه من الممكن أن تكون قد قتلت خمس أو ست ضحايا كذلك".

قال دكتور توماس ببهجة:

"أنت لا تحسب ضحايا مهنتي".

ضحك كلا الرجلين.

نهض لوك مودعًا.

قال معترضًا: "أخشى أنني أخذت الكثير من وقتك".

"أنا لست مشغولًا في الواقع، إن ويتشود هي مكان صحي في الحقيقة. أنا سعيد لأنني تحدثت مع شخص من العالم

خارجي".

قال لوك: "كنت أَسْأَلُ - ثم سكت.

"ماذا؟"

"إن حديثنا عن الجريمة ذكرنى بأن لدى كتاباً يمكننى أن  
أترك إياه، بما أنك مهتم بهذا الموضوع! إنه ترجمة للكتاب  
الذى كروزهامر "الدونية والجريمة".  
قال لوك: "شكراً لك".

مرر دكتور توماس إصبعه خلال رف وأخرج الكتاب الذى  
بحث عنه.

"ها هو. بعض النظريات التى توجد به مفضعة حقاً .  
تضع هى جميعاً نظريات ولكنها مثيرة حقاً . الحياة المبكرة  
- منهيلد على سبيل المثال، فرانكفورت الجزار كما يطلقون  
عليه، والفصل الذى يحكى عن أن هيلم مربية الأطفال القاتلة  
شديد التشويق".

قال لوك: "لقد قتلت نحو دسنة من أطفال تحت رعايتها  
تس أن تشك بها السلطات على ما أعتقد".

أوماً دكتور توماس.

"نعم. كانت صاحبة شخصية شديدة الطيبة وتعشق  
للأطفال، وتبدو مقطوعة القلب من الظاهر عند وفاة كل طفل.  
علم النفس مذهل حقاً".

قال لوك: "المذهل هو كيف ينجو مثل هؤلاء الأشخاص  
منهم".

كان عند عتبة العيادة الآن، وقد ذهب معه دكتور توماس.  
قال دكتور توماس: "إنه ليس مذهلاً فى الواقع. إن الأمر  
سهل كما تعرف".

"ما هو السهل؟"

"أخبرتني الأنسة كونواى حينما أرسلتني إليك كم أنك  
رجل. حسناً. شديد الرقى. أنساءل إن كنت تشعر بأنك مدفون  
هنا؟ فليس هناك فرص لتنمية أية مواهب هنا".

"لا، إن الممارسة العامة هى بداية جيدة. إنها تجربة لا  
تقدر بقيمة".

"لكنك لن تكون سعيداً إن ظللت مدفوناً بهذه الطريقة  
طوال حياتك. إن شريكك السابق. دكتور هامبلاى. كان رجلاً  
غير طموح حسبما سمعت. لقد ظل هنا طوال سنوات طويلة،  
أليس كذلك؟"

"طوال حياته تقريباً".

"كان راجح العقل ولكن عتيق الطراز كما سمعت".

قال دكتور توماس:

"كان صعب المراس فى بعض الأحيان... متشككاً للغاية فى  
الاختراعات الحديثة، ولكنه كان نموذجاً جيداً لمدرسة الأطباء  
القديمة".

قال لوك معازحاً:

"سمعت أنه ترك ابنة جميلة للغاية".

كان سعيداً لرؤية وجه دكتور توماس الوردى الشاحب يتحول  
إلى اللون القرمزى.

قال: "نعم، هذا صحيح".

حذق إليه لوك بمطلف. كان سعيداً لحقيقة محوه دكتور  
توماس من قائمة المشتبه بهم.

استعاد الأخير لون بشرته الطبيعى وقال فجأة:



"أن تفلت بفعلتك". كان يبتسم مجدداً، قتل الابتسامة الصببانية الساحرة مصنفًا: "إن كنت حريصاً، وعلى المرء أن يكون حريصاً دوماً. هذا هو كل ما يتطلبه الأمر فالرجل الحاذق يحرص على ألا يرتكب خطأ، وهو ليس بحاجة لأكثر من هذا".

ابتسم ودخل المنزل.

وقف لوك يحقق بالدرجات.

كان هناك شيء ينم عن التعالى في ابتسامة الطبيب. خلال حوارهما كان يشعر لوك أنه رجل ناضج للغاية وأن دكتور توماس هو مجرد شاب ذكي.

لكن للحظة شعر أن هذا قد انعكس: فابتسامة الطبيب كانت تشبه ابتسامة رجل ناضج مخضبة بذكاء طفل.

## الفصل ٩

### السيدة بيرس تتحدث

عبر متجر الصغير بالشارع الرئيسي اشترى لوك عبوة سجائر. سبعة اليوم من "جود تشير"، تلك الجريدة الأسبوعية حسيرة التي تمد اللورد ويتفيلد بجزء لا بأس به من عائدته لاسمى. بعد أن استطلع أخبار منافسات كرة القدم أعلن أنها متأوهاً أنه فشل لتوه في كسب مائة وعشرين جنيهًا. وقد عذفت معه السيدة بيرس على الفور وأخبرته عن إحباطات مثله يتعرض لها زوجها. وبعد أن ترسخت بينهما هذه مراقبة الودية لم يجد لوك صعوبة في إطالة الحوار.

قالت زوجة السيد بيرس: "إن السيد بيرس يجب كرة ضخم كثيرًا؛ فهو يقرأ أخبارها أولاً في الجرائد، وكما ذكرت منذ أصيب بكثير من الإحباطات، ولكنني أرى أنه ليس في وسع جميع الفوز. وأنت لا يمكنك تغيير حظك".

اتفق معها لوك في آرائها هذه، وتقدم خطوة للأمام بسهولة حينما رد المذولة العميقة التي تنيد بأن المصائب لا تأتي فرادى.

تهتدت السيدة بيرس: "نعم يا سيدى، أنا أعرف هذا حذ المعرفة، وحينما تكون المرأة متزوجة ولديها ثمانية أطفال - ستة منهم أحياء يرزقون واثنان تواريا تحت الثرى - حسناً، فإنها تعلم فى ذلك الحين معنى كلمة مصائب".  
قال لوك: "أعتقد أن هذا صحيح بلا شك، تقولين مات اثنان من أطفالك؟".

قالت السيدة بيرس بشيء يشبه البهجة التى يشوبها الحزن: "أحدهما توفى منذ أقل من شهر".  
"يا إلهى! هذا محزن حقاً".

"لم يكن الأمر محزناً فقط يا سيدى، بل كان بمثابة الصدمة . هذا ما كان عليه الأمر، صدمة حقيقية! لقد جن جنونى حينما سمعت بالأمر، فأنا لم أتوقع أن يحدث شيء من هذا القبيل لتومى فحينما تنجب طفلاً بسبب لك الكثير من المشكلات لا يخطر فى بالك أبداً أنه قد يموت. أما إيمما حين فكانت مخلوقة صغيرة جميلة، كان الآخرون يقولون لى: "إنك لن تتكبدى أى عناء فى تربيته"، "إنها أفضل من أن تعيش فى هذا العالم". وقد كان مد صحيحاً يا سيدى: فقد اصطفاها الله ليموت صغيرة".

واسأها لوك وناضل للعودة من موضوع وفاة الملاك إيمما جين إلى وفاة تومى الذى لم يكن يعرف شيئاً عن الملائكة.  
قال: "لقد مات ابنك مؤخراً، فى حادث؟".

"نعم يا سيدى فى حادث، كان ينظف زجاج هذا المنزل الذى حولوه إلى مكتبة الآن ولابد أنه فقد اقترانه وسقط. من أعلى النافذة. هذا ما حدث".

أسهت السيدة بيرس فى سرد كل تفاصيل الحادث. قال لوك فى لا مبالاة: "أتم يقل أحدهم أنه راه يرقص فوق حافة النافذة؟".  
قالت السيدة بيرس إن الأولاد سيظلون أولاداً. ولكن بدون شك هذا الرائد المزعج لم يدع أمراً كهذا لحاله.  
"الرائد هورتون؟".

"نعم يا سيدى: ذلك الرجل صاحب الكلاب البولودوج. فيعد الحادث استقل كل فرصة ليتحدث عن مدى طيش تومى - وبالطبع يبين هذا أنه إن كان قد طرأ شيء مفاجئ أهزعه فإن ذلك كان ليوقعه بسهولة. النشاط المفرط يا سيدى، تلك كانت مشكلة تومى. كان يسبب لى كثيراً من المشكلات". أنهت كلامها قائلة: "ولكن هذا هو كل ما فى الأمر. نشاط مفرط، لا شيء سوى نشاط مفرط، ويمكن لأى طفل أن يتسم بمثل هذه الصفة. إنه لم يكن مؤذياً على الإطلاق كما يمكنك أن تعتقد".

"لا، لا، أنا واثق من أنه لم يكن مؤذياً، ولكن فى بعض الأحيان يا سيدة بيرس ينسى الرجال متوسطو العمر الوقورون أنهم كانوا أطفالاً".

تهتدت السيدة بيرس قائلة:

"أنت محق تماماً يا سيدى. أنا فقط أتمنى أن يشعر بعض الرجال - ممن أستطيع أن أذكر لك أسماءهم ولكننى لن أقبل - بالأسى لأنهم قسوا على الطفل، فقط بسبب قرد نشاطه".

"هذا صحيح يا سيدى. هذا كان رأى والذي يشاركنى إياه سيد بيرس. بالإضافة إلى أن تومى لم يقرأ الكثير كذلك".  
سأل لوك: "ماذا كانت هذه الأوراق. وصية؟"

كان يمتد (وهو اعتقاد فى محله على الأرجح) أن طرح سؤال عن ماهية الوثيقة من شأنه أن يجعل السيدة بيرس تراجع عن مواصلة الحوار. ولكن هذا السؤال المباشر وجد حجة فورية.

"لا يا سيدى، لم تكن وثيقة من هذا النوع. لم تكن شيئاً مهماً. فقط خطاب خاص. من سيدة. وتومى لم ير حتى من كانت هذه السيدة. لقد أثار كل هذه الجلبة مقابل لا شيء. هذا هو رأى".

قال لوك: "لابد أن السيد آيوت من نوعية الرجال الذين يتناون بسهولة".

"حسنًا، يبدو هذا، أليس كذلك؟ بالرغم من أنه. كما سبق ذكرت. يكون لطيفًا على الدوام عند التحدث معه. قد أثنى على مزج أو يردد كلامًا لطيفًا، ولكنه صحيح أنتى سمعت أنه يصبح صعب المراس إذا وقفت فى وجهه، وكان هو ودكتور هاميلباى على خلاف، قبل وفاة الطبيب مباشرة. ولكن ما من أحد تحدث عن السيد آيوت بالسوء بعد ذلك؛ فبمجرد أن يموت أحدهم لا يجب أحد أن يفكر أنه قال فى حقه كلمات قاسية لا سبيل لاستردادها".

هز لوك رأسه فى حزن وتمتم:

"هذا صحيح. هذا صحيح".

سأل لوك بابتسامة متسامحة: "لقد كان يمارس بعض الحيل مع مرءوسيه؟"

أجابت السيدة بيرس على الفور:

"لقد كان يلهو فقط يا سيدى. هذا هو كل ما فى الأمر؛ فكان تومى بارعًا فى التقليد. كان يجعلنا نضحك من قلبنا حينما يمشى متبخترًا وهو يتظاهر بأنه السيد إبلسورثى فى متجر التحف الخاص به. أو حينما يقلد السيد هويس المجوز. وهو كان يقلد سيده فى الحديقة بينما يضحك البستانيان حينما أثنى السيد فجأة وطرده تومى على الفور. وهذا كان متوقعًا بالطبع ولا بأس به، ولكن سيده رق لحاله بعد ذلك وساعده فى الحصول على وظيفة أخرى".

قال لوك: "ولكن الآخرين لم يكونوا رحيب الصدر بهذه الطريقة، أليس كذلك؟"

"بلى يا سيدى. وأنا لئن أذكر أسماء. وأنت لئن تصدق أبدًا أن تصرفات كهذه قد تصدر من السيد آيوت، رغم سلوكياته الحانية وكلماته المسوغة".

"هل وقع تومى فى مشكلة معه؟"

قالت السيدة بيرس:

"أنا واثقة أن الصبى لم يكن يقصد أى أذى ... وعلى أية حال، إن كانت الأوراق خاصة ولا يجب أن يطلع عليها أحد، فما كان يجب إلقاؤها على الطاولة. هذا هو رأى".

قال لوك: "هذا صحيح. يجب حفظ الأوراق الخاصة فى مكتب المحامى بالخزانة".

قال: "يبدو السيد أبوت وكأنه من النوع الذى يحب الفتيات الحسنات".

قالت السيدة بيرس: "هكذا هو حال الرجال. إنهم لا يعنون شيئاً بذلك. فقط كلمة أو اثنتان أثناء اللقاءات العابرة، ولكن بناء الطبقة العليا هم أبناء الطبقة العليا، وبالتالي يلاحظ جميع الأمر. وهذا لا يحدث سوى فى مكان هادئ مثل هذا".

قال لوك: "إنه مكان ساحر للغاية. لا يزال شديد النقاء". "هذا هو دوماً ما يقوله الفنانون والرسامون، ولكنى أعتقد أننا متخلفون عن الركب بعض الشيء؛ فليس هناك مبان جميلة هنا على سبيل المثال، أما فى آشفيل ف لديهم العديد من المباني الجديدة، بعضها ذو أسطح خضراء وزجاج ملون على النوافذ".

هر لوك كتحية.

قال: "لديكم مؤسسة كبيرة جديدة هنا".

قالت السيدة بيرس دون كثير من الحماسة: "إنهم يقولون إنه مبنى جميل للغاية. بالطبع مالكة قدم الكثير للمكان. إن نواياه حسنة: نحن جميعاً نعرف هذا".

قال لوك مماًزحاً: "ولكنك لا تمتددين أن مجهوداته ناجحة للغاية؟".

"حسناً بالطبع يا سيدى إنه ليس من أبناء الطبقة العليا. ليس مثل السيدة وينفليت والأنسة كونواى؛ فكان والد اللورد ويتفيلد يملك متجر أحذية على بعد بضعة بنايات فقط من هنا. وأمى تتذكر جورودون راج حينما كان يعمل فى المتجر. تتذكره

واصل كلامه قائلاً:

"يا لها من مصادفة غريبة! كلمات قاسية يوجهها لدكتور هامبلباى ويموت دكتور هامبلباى. معاملة قاسية ياملها لابنك تومى ويموت الطفل! أعتقد أن تجربة مزدوجة مثل هذه من شأنها أن تجعل السيد أبوت أكثر حرصاً فيما يقول فى المستقبل".

قالت السيدة بيرس: "وهارى كارتر أيضاً فى سفن ستازر. فقد دار بينهما حوار حاد للغاية قبل أسبوع من ذهاب كارتر وقمره فى النهر. ولكن لا يمكن إلقاء اللوم على أبوت فى هذا. فكان كارتر هو الطرف المسيء؛ حيث ذهب إلى منزل أبوت شلاً وسبه بأقذع الشتائم بأعلى صوته. أما السيدة كارتر المسكينة والتي عانت كثيراً فلا بد أنها شعرت بالراحة لوهاة كارتر".

"كان لديه ابنة كذلك. صحيح؟".

قالت السيدة بيرس: "آه. أنا لا أحب التهمة مطلقاً".

كان ذلك غير متوقع ولكن مبشر. فتح لوك أذنيه وانتظر فاستطردت:

"لقد تحدث الناس كثيراً عن هذا الأمر. إن لوسى كارتر هى فتاة جميلة بطريقتها الخاصة، ولولا الفارق فى المنزل الاجتماعية ما كان أحد لاحظ شيئاً. لكن سررت شائعات والتي تأكدت. خاصة بعد ذهاب كارتر مباشرة إلى منزله وهو يصيح ويسب".

قام لوك بجمع التضمينات الموجودة بهذا الكلام المربك إلى حد ما.

محتمل! هذا هو كل ما أستطيع أن أقوله. هذا محتمل! لكن هذا ليس جيداً بما فيه الكفاية!"

أسرع لوك في خطاه وهو ينظر حوله في سخط مفاجئ.  
"هذه القرية الملعونة - إنها تثير أعصابى. هادئة للغاية ومسالمة للغاية. بريئة للغاية. وبالرغم من ذلك يجوبها هذا القتال المجنون طوال الوقت. أم هل أنا المجنون؟ هل كانت لافينيا بنكرتون مجنونة؟ بالرغم من كل شيء. يمكن للأمر برعته أن يكون مجرد مصادفة. نعم، موت هامبلباى وكل..."

نظر خلفه إلى امتداد الشارع الرئيسى ليهاجمه شعور قوى بدمم الواقعية.

قال لنفسه:

"هذه الأشياء لا تحدث..."

بعد ذلك رفع عينيه نحو الخط المقطب لأش ريدج. وعلى الفور تبددت اللاواقعية. كان أش ريدج حقيقياً. وقد شهد أشياء غريبة. السحر والقسوة والتعطش للدماء وطغوس شريرة وضيطنانية...

أجفل. كان هناك شخصان يسيران بجانب التلال. تعرف عليهما بسهولة. بيريجيت وايلسورثى. كان الشاب يومئ بهاتين اليدين القبيحتين المثيرتين للفضول. كانت رأسه مائلة نحو بيريجيت. بدا كشخصين فى حلم. كان يشعر أن قدميهما لا تصدران أية أصوات أثناء قفزهما مثل القطط من مرج إلى مرج. رأى شعرها الأسود ينسدل خلف ظهرها بينما تداعبه الرياح. مرة أخرى أسره سحرها الغريب.

جيداً. بالطبع أصبح سيذا الآن ورجلاً ميسور الحال، ولكن الأمر يختلف، أليس كذلك؟"

قال لوك: "بلى، أنت محقة بالطبع".

قالت السيدة بيرس: "سوف تقفر لى تحدثنى فى هذا الأمر يا سيدى. فأنا أعلم بالطبع أنك تقيم فى المانور وتؤلف كتاباً، ولكنك ابن عم الأنسة بيريجيت. أنا أعلم ذلك. وهذا مختلف. نحن سعداء للغاية لأنها ستصبح سيده أش مانور مرة أخرى".

قال لوك: "نعم. أنا واثق من هذا".

دفع ثمن سجاثره والجريدة بسرعة.

قال لنفسه:

"العامل الشخصى. لا بد من إبقاء هذا بعيداً تياً، أنا هنا للبحث عن مجرم. ما دخلى أنا من تتزوج هذه الساحرة ذات الشعر الأسود أو من لا تتزوج؟ إنها لم تأت إلى هنا..."

سار ببطء عبر الشارع، ويعد بذل بعض المجهود أبعد بيريجيت عن تفكيره.

قال لنفسه: "الآن، دليل الإدانة ضد أبوت. لقد قمت بالربط بينه وبين ثلاث ضحايا. كان على خلاف مع هامبلباى، وعلى خلاف مع كارتر، وعلى خلاف مع تومى بيرس. ماذا عن الفتاة أمى جيبس؟ ما كان هذا الخطاب الخاص الذى رآه هذا الفتى القمى؟ هل علم ممن كان؟ أم أنه لم يعرف؟ ربما لم يخبر أمه أنه يعرف، ولكنه إذا افترضنا أنه كان يعرف. ماذا لو افترضنا أن أبوت شعر أنه من الضروري أن يخبره. هذا

قال لنفسه: "أنا مسحور، هذه هي الحقيقة، أنا مسحور".  
وقف ساكنًا بينما يسرى شعور غريب بالتمثيل في جسده.  
قال لنفسه في حزن:  
"من يمكنه رفع السحر عني؟ لا أحد".

## الفصل ١٠

### روز هامبلباي

سمع صوتًا رقيقًا خلفه جعله يستدير بحدة؛ حيث كانت هناك فتاة تقف وراءه، فتاة جميلة للغاية ذات شعر بني يتجمد حول أذنيها، وعينين زرقاوين داكنتين بهما نظرة خوف. تورد وجهها خجلًا بعض الشيء قبل أن تتحدث.  
قالت: "إنك السيد فيتزوليم، أليس كذلك؟".  
"نعم، أنا —".  
"أنا روز هامبلباي. أخبرتني بريدجيت بأنك تعرف — أنك تعرف بعض الأشخاص الذين يعرفون والدي".  
تورد وجهه لوك هو الآخر بعض الشيء.  
قال في ضعف: "كان ذلك منذ وقت طويل مضى. كانوا يعرفونه حينما كان شابًا، قبل أن يتزوج".  
"آه، نعم".  
بدت روز هامبلباي خائبة الأمل بعض الشيء، لكنها واصلت كلامها قائلة:

وبعد ذلك فى هذا اليوم . قيل أن تذهب إلى المدينة مباشرة كانت تتصرف بغرابة وهى ترتعد . أنا أعتقد يا سيد فيتزوليم أنها أحد هؤلاء الذين يمتلكون بصيرة قوية . أعتقد أنها كانت تعلم أن ثمة شيئاً سوف يحدث لها . ولابد أنها كانت تعلم أن شيئاً سوف يحدث لأبى كذلك . إنه شيء مخيف حقاً .

اقتربت منه خطوة .

قال لوك : "هناك أوقات يستطيع فيها المرء التنبؤ بالمستقبل . ولا يكون ذلك شيئاً غريباً على الدوام ."

"لا ، أعتقد أن هذا طبيعى فى الواقع . مجرد ملكة لا يمتلكها الكثيرون . ومع ذلك فإن ذلك يلقىنى -"

قال لوك برفق : "لا يجب أن تلقى . تذكرى أن كل هذا انتهى الآن . لا فائدة من البكاء على الماضى . لابد أن تفكرى فى المستقبل ."

"أعلم هذا . لكن هناك المزيد ، كما تعلم...." . ترددت روز : "فهناك أمر له علاقة بابنة عمك ."

"ابنة عمى ؟ بريدجيت ؟"

"نعم . كانت السيدة بنكرتون قلقة بشأنها . كانت دوماً تطرح على أسئلة . أعتقد أنها كانت خائفة عليها أيضاً ."

استدار لوك بعدة ، وفحص التل بعينيه . ساوره شعور غير منطقى بالخوف ، كانت بريدجيت وحدها مع ذلك الرجل صاحب اليدين الرماديتين المتعنتين ؟ خيال . إنه مجرد خيال ! إن إليسورثى هو مجرد هاو غير مؤذ يمتلك أحد المتاجر .

قالت روز وكأنها تقرأ أفكاره :

"هل تحب السيد إليسورثى ؟"

"بالقطع لا ."

"إن جيفرى . دكتور توماس ، لا يحبه كذلك ."

"ماذا عنك ؟"

"لا ، لا ، أعتقد أنه بغيض ."

اقتربت قليلاً : "هناك الكثير من الشائعات حوله : فقد قيل إنه يمارس طقوساً غريبة فى مرج الساحرات . ينضم إليه العديد من أصدقائه الذين يأتون من لندن . وهم أشخاص ذوو شكل مخيف وغريب . وكان تومى بيرس بمثابة المعاون لهم ."

قال لوك بعدة : "تومى بيرس ؟"

"نعم . كان لديه مدرعة وغفارة ."

"متى كان هذا ؟"

"آه . منذ وقت مضى . أعتقد أن ذلك كان فى مارس ."

"يبدو أن تومى بيرس يشترك فى كل ما يحدث بالقرية ."

قالت روز :

"كان فضولياً بشكل سخيف . كان يجب أن يعرف دوماً كل ما يحدث ."

قال لوك فى تهجم : "وهو على الأرجح قد عرف الكثير فى النهاية ."

تقبلت روز كلماته كما هى .

"كان فتى كريهاً ؛ فكان يحب تعذيب الدبابير واغاطة الكلاب ."

"إنه من ذلك النوع من الصبية ممن لا يحزن أحد على وفاتهم !"

"لا بد أن أذهب الآن، إن لم يكن لديك شيء لتقبله. أغنى إن استطعت ذلك. فلتقم بزيارتنا. فأنى سوف ترغب فى رؤيتك؛ لأنك كنت تعرف أصدقاء لأبى منذ وقت طويل مضى". سارت بالطريق ببطء. كان رأسها مائلاً بعض الشيء كما لو أن بعض الثقل من الهم أو الارتباك يسقطها لأسفل. وقف لوك ينظر إليها، اجتاحه شعور مفاجئ بالقلق. شعر برغبة فى احتوائها وحمايتها.

مم؟ وبعد أن طرح على نفسه هذا السؤال، هز رأسه فى نفاذ صبر لحظى إزاء نفسه. كان صحيحاً أن روز هامبلباى فقدت أباهم مؤخراً، ولكن والدتها لا تزال على قيد الحياة، كما أنها مخطوبة لشاب وسيم كفيل بحمايتها. إذن لماذا يشعر. هو لوك فيتزوليم. بهذا الشعور القوي لتوفير الحماية؟ لقد عاودته تلك النزعة القديمة إلى التأثر بالماطلة ثانية.

الرجل الموفر للحماية تلك النزعة التى ازدهرت فى العصر الفيكتورى، وازدادت قوة فى العصر الإدواردى، والتى لا تزال حية حتى الآن بالرغم مما يطلق عليه صديقنا اللورد ويتفيلد الحياة العصرية السريعة والمعمومة.

قال لنفسه أثناء سيره تجاه تل آش ريديج الذى يلوح فى الأفق: "أنا ممجّب بهذه الفتاة. إنها تستحق شخصاً أفضل من ذلك المدعو توماس. هذا الشيطان البارد المتعالى".

عاودته ذكرى ابتسامة الطبيب الأخيرة على درجات عيادته. إنه ممّنت بنفسه بدون شك! راض عن نفسه للغاية!

"لا، لا أعتقد هذا. كان الأمر شديد الصعوبة على والدته".

"أعتقد أنه قد تبقى لها خمسة أطفال لمواساتها، إنها امرأة ثرثارة حقاً".

"إنها تتحدث كثيراً، أليس كذلك؟".

"بعد شراء عبوة سجائر منها، أشعر أننى أعرف تاريخ كل من بالمكان!".

قالت روز فى حزن:

"إن ذلك هو أسوأ شيء فى مكان كهذا. الجميع يعرفون كل شيء عن الجميع".

قال لوك: "لا، لا".

نظرت إليه مندهشة.

قال لوك بحكمة:

"لا أحد يعلم الحقيقة الكاملة عن أى شخص آخر".

تجهّم وجه روز. ارتعدت لإرادياً.

قالت ببطء: "لا. أعتقد أن هذا صحيح".

قال لوك: "ولا حتى عن أقرب وأعز الناس إليه".

"ولا حتى —". سكنت: "آه. أعتقد أنك محق. ولكننى أتمنى

ألا تقول أشياء مفزعة مثل هذه يا سيد فيتزوليم".

"هل يفزعك ما أقوله؟".

أومأت برأسها ببطء.

بعد ذلك استدارت فجأة.

العديد من وسائل التسلية السارة فقط إن امتلك المرء حاسة التمييز. أنا أستمع بحياتي يا سيد فيتزويليم".

قال لوك: "وهكذا أنا".

قال السيد إليسورثى بنبرة سخرية: "العقل السليم فى الجسم السليم، أنا واثق من أنك تؤمن بهذا".

قال لوك: "إن هناك أموراً أسوأ من ذلك".

"يا عزيزى إن العقل السليم هو أحد أكثر مصادر الإزعاج المدحشة، فلا بد أن يكون المرء مجنوناً. مجنوناً بشكل جميل. منحرفاً، فاسداً بعض الشيء. وفى ذلك الحين يرى الحياة من منظور جديد تماماً".

اقترح لوك: "حول المجذوم؟".

"آه، جيد جداً، جيد جداً. ملاحظة ذكية لكن ثمة شيء ما بها، كما تعلم. زاوية مثيرة للرؤية، ولكن لا يجب على تأخيرك. أنت تمارس التمرينات. لابد على المرء أن يمارس التمرينات. روح المدرسة العامة".

قال لوك: "حسناً"، ثم أوماً له إيماء جافة ومضى قدماً. قال لنفسه:

"لقد أصبحت شخصاً خيالياً ليعننا. إن الفتى هو مجرد أحقق لا أكثر".

لكن شعوراً بالتوتر سرى فى قدميه بسرعة. هل تلك الابتسامة الغريبة الماكرة التى تتم عن الانتصار على وجه إليسورثى كانت نتاج خياله، وماذا عن انطباعه التالى بأنه محاطاً بإسفنجة لحظة ما رآه أتياً نحوه؟ ما معنى هذا؟

أفاق لوك من تخیلاته على وقع الأقدام الآتية من أمامه. فتطرق للأعلى ليرى السيد إليسورثى يمشى عائداً من التل. كانت عيناه مثبتتين على الأرض وكان يبتسم لنفسه. أفرع تعبير وجهه هذا لوك للقاءة. كان إليسورثى لا يمشى وإنما يشب. وكأننا هناك شيطان يرقص داخل عقله. كانت ابتسامته عبارة عن التواء سرى لشفتيه. كان يشوبها خبث جدل لا ينبئ بخير على الإطلاق.

توقف لوك، وقد كان إليسورثى على مقربة منه حينما رفع رأسه أخيراً. تقابلت عيناه الماكرتان والوثابتان مع عيني الرجل الآخر قبل أن يتعرف عليه. وبعد ذلك. أو هكذا بدا للوك. طرأ عليه تغيير كلى: فهذا الرجل الذى بدا منذ دقيقة مضت كراقص يبدو الآن كشاب متمزمت.

"آه، سيد فيتزويليم، صباح الخير".

قال لوك: "صباح الخير. هل كنت تتأمل جمال الطبيعة؟".

طارت يدا السيد إليسورثى الطويلتان الشاحبتان فى الهواء فى استنكار.

"لا، لا، لا يا عزيزى. أنا أمقت الطبيعة؛ فهى باعثة على الأسى وخالية من أى خيال وفضلة. طالما اعتقدت أن المرء ليس بإمكانه الاستمتاع بالحياة إلى أن يضع الطبيعة فى نصابها الصحيح".

"وكيف تقترح القيام بذلك؟".

قال السيد إليسورثى: "هناك عدة طرق للقيام بذلك! فى مكان مثل هذا، تلك البقعة الريفية الجميلة، يمكن إيجاد

وفي قلب متزايد قال لنفسه:

"بريدجيت؟ هل هي بخير؟ لقد أتيا إلى هنا معاً وعاد هو وحده".

أسرع في خطاه. كانت الشمس قد سطعت أثناء حديثه مع روز هامبلباي. لكنها الآن غابت ثانية. كانت السماء كثيية ومخيفة، وكانت الرياح تهب في صورة نفخات صغيرة مضطربة مفاجئة. كان الأمر يبدو وكأنه غادر الحياة العادية ليدخل هذا العالم المسحور، هذا العالم الذي ظل مطوقاً له منذ مجيئه إلى ويتشود.

انحرف عن أحد المنعطفات ووصل إلى التل المستوى للشعب الأخضر الذي كان مرثياً له من الأسفل والذي كان يدعى - كما سمع - مرج الساحرات. كانت تلك الشعائر تقام هنا، هنا كانت الساحرات تعقد جلسات العريضة في ليالي ولبرجيس والهالوين.

وفي ذلك الحين اجتاحه شعور سريع بالارتياح: فقد كانت بريدجيت هنا. كانت تجلس وهي تسند ظهرها إلى صخرة بجانب التل. كانت مقوسة الجسم ورأسها بين يديها.

سار سريعاً نحوها. كانت تجلس فوق هضبة خضراء وجميلة.

قال:

"بريدجيت؟"

رفعت رأسها ببطء من بين يديها. أزعجه وجهها. بدت وكأنها تعود من عالم بعيد، وكأنها تلاقي صموية في التأقلم مع عالمنا الحالي.

قال لوك. بشكل غير ملائم للموقف:

"أنت. أنت بخير، أليس كذلك؟"

مضت دقيقة أو اثنتان قبل أن تجيب. كما لو أنها لم تعد بعد من ذلك العالم المستوحذ عليها. شعر لوك أن كلماته عليها أن تسافر طريقاً طويلاً قبل أن تصل إليها.

بعد ذلك قالت:

"بالطبع أنا بخير. لماذا لا أكون بخير؟"

كان صوتها حاداً وعدائياً بعض الشيء.

ابتسم لوك قائلاً:

"يا ليتني أعرف. لقد انتابني القلق إزاءك فجأة".

"لماذا؟"

"أعتقد أن ذلك بسبب الجو الميلودرامي الذي أعيش به حالياً. إنه يجعلني أرى الأشياء خارج نصابها الصحيح: فإن غبت عن ناظري طوال ساعة أو ساعتين سوف أفترض تلقائياً أن الشيء التالي هو أنني سأعثر على جثتك المملوطة بالدماء في مصرف ما؛ فذلك هو ما يحدث في المسرحيات والروايات".

قالت بريدجيت: "إن بطلنة الرواية لا تموت أبداً".

"لا. لكن —"

سكت لوك. في الوقت المناسب.

"ماذا كنت ستقول؟"

"لا شيء".

شكر الله لأنه سكت في الوقت المناسب: فلا يمكن أن يقول رجل لشابة جذابة: "ولكنك لست البطلنة".

واصلت بريديت كلامها:

"إنهن يخطفن أو يسجن أو يتركن ليموتن فى غرف الناز أو يفرقن فى القبو. إنهن دومًا فى خطر ولكتهن لا يمتن أبدًا".

قال لوك: "ولا حتى يذبلن".

واصل كلامه:

"إذن هذا هو مرج الساحرات؟".

"نعم".

نظر إليها.

قال برفق: "أنت تحتاجين فقط إلى عصا مكنمة".

"شكرًا لك، قال لى السيد إبلسورثى نفس الشيء".

قال لوك: "لقد قابلته لتوى".

"هل تحدثت إليه؟".

"نعم، أعتقد أنه حاول مضايقتى".

"وهل نجح فى ذلك؟".

"إن أساليبه صبيانية بعض الشيء". سكت ثم واصل

حديثه فجأة: "إنه رجل غريب، فى لحظة تعتقدين أنه فوضوى

. وفجأة يتساءل المرء إن كان هناك ما هو أكثر من ذلك فى

هذا الرجل".

نظرت إليه بريديت.

"أشعرت بهذا أيضًا؟".

"أنت توافقينى الرأى إذن؟".

"نعم".

انتظر لوك.

قالت بريديت:

"هناك شىء غريب بشأنه. كنت أَسْأَل كما تعلم... وقد

ظللت مستيقظة طوال الليل أمس أَعْتَصِر عقلى بخصوص

الأمر برمته، وبدا لى أنه إن كان هناك قاتل طليق فلا بد لى

أن أعرف من هو أعنى بما أننى أقطن هنا. ظللت أفكر وأفكر

ثم خطرت لى فكرة - إن كان هناك قاتل بالبلدة فلا بد أن يكون

مجنونًا".

بعد أن فكر فيما قاله دكتور توماس، سأل لوك:

"أنت لا تعتقدين أن القاتل يمكن أن يكون شخصًا سويًا

مثلك ومثلى؟".

"ليس هذا القاتل: فكما يبدو لى، هذا القاتل لابد أن يكون

مجنونًا. وهذا، كما ترى، قادنى مباشرة إلى إبلسورثى: فمن

بين كل سكان هذه البلدة هو الشخص الوحيد الذى يتسم

بغربة الأطوار. إنه غريب، لا يمكنك إنكار هذا".

قال لوك فى شك:

"إن هناك الكثيرين من شاكلته، هاوين، ومتكفين. وهم

عادة ما لا يكونون مؤذنين".

"نعم، ولكننى أعتقد أنه يوجد أكثر من ذلك، إن لديه يدين

قذرتين للغاية".

"هل لاحظت ذلك؟ لقد لاحظتهما أيضًا".

"إنهما ليسا بيضاوين. إنهما خضراوان".

"إنهما يولدان لدى المرء هذا الانطباع، ولكن لا يمكن اتهام

رجل بالقتل فقط بسبب لون يديه".

"هذا صحيح. ما نريد هو دليل".

قال لوك في تذر: "دليل الشيء الوحيد الذي ينقصنا. إن الرجل حريص للغاية. قاتل حريصاً معنوه حريصاً".

قالت بريديت: "كنت أحاول المساعدة".

"أتعنين مع السيد إليسورثي؟"

"نعم. ظننت أنني بوسعى تولى أمره بشكل أفضل منك.

وقد نجحت في مسعاه".

"أخبريني".

"حسناً، يبدو لي أن له مجموعة أصعاب خاصة به. زمرة من الأصدقاء الكريهين، إنهم يأتون إلى هنا من وقت لآخر للاحتفال".

"هل تقصدين أنهم يمارسون طقوس عربية غير شرعية؟"

"أنا لا أعلم شيئاً عن شرعيتها ولكنها بدون شك طقوس عربية. في الواقع إنها تبدو سخيفة وصيبانية للغاية".

"أعتقد أنهم يعبدون الشيطان ويؤدون رقصات فاحشة".

"شيء من هذا القبيل".

قال لوك: "أنا أعلم شيئاً عن هذا الأمر. لقد شارك تومي بيرس في إحدى حفلاتهم. كان معاوناً لهم. وكانت لديه غفارة حمراء".

"إذن كان يعلم بهذا الأمر؟"

"نعم. وربما يفسر هذا موته".

"هل تعني أنه تحدث عن هذا الأمر؟"

"أو ربما يكون قد أقدم على محاولة ابتزاز".

قالت بريديت بتمعن:

"أعلم أن الأمر يبدو خيالياً. ولكنه لا يبدو خيالياً للغاية إن وضعنا إليسورثي. ولا أحد سواء. في الصورة".

"لا، أنا أتفق معك. فالأمر يبدو معه محتملاً بدلاً من كونه

غير واقعي بشكل مضحك".

قالت بريديت: "ونحن لدينا صلة بين اثنين من الضحايا.

تومي بيرس وأمي جيبس".

"ماذا عن صاحب الملهى وهامبلباي؟"

"حتى الآن لا توجد صلة واضحة".

"لا توجد صلة واضحة حتى الآن بين إليسورثي وصاحب

الملهى، هذا صحيح. ولكنني أتخيل أنه لديه دافع للتخلص من هامبلباي: فقد كان طبيباً وربما اكتشف شذوذه".

"نعم، هذا محتمل".

بعد ذلك ضحكت بريديت.

"لقد أدت دوري ببراعة هذا الصباح: فيبدو أن مؤهلاتي

النفسية كبيرة كما يبدو. وحينما أخبرته أن إحدى جدات

جداتي نجت بأعجوبة من الحرق؛ لأنها كانت ساحرة حلق

رصيدي لديه في السماء. أعتقد أنه سيدعوني للمشاركة في

طقوس العريضة في المرة التالية عند اجتماعهم لممارسة تلك

الألعاب الشيطانية".

قال لوك:

"بحق السماء يا بريديت. كوني حريصة".

نظرت إليه في دهشة. نهضت.

"لقد قابلت ابنة هامبلياي لتوى. كنا نتحدث عن السيدة بنكرتون، وأخبرتني ابنة هامبلياي أن السيدة بنكرتون كان يساورها قلق بشأنك."

أثناء نهوضها تجمدت بريدجيت في مكانها بلا حراك.

"ما هذا؟ السيدة بنكرتون. قلقة. إزائي؟"

"هذا هو ما قالته روز هامبلياي."

"روز هامبلياي قالت هذا؟"

"نعم."

"ماذا قالت أيضًا؟"

"لا شيء؟"

"هل أنت واثق من هذا؟"

"تمام الثقة."

سادت فترة صمت، ثم قالت بريدجيت: "حسنًا،

"كانت السيدة بنكرتون قلقة من أجل هامبلياي وقد مات،

وهي كما سمعت كانت قلقة عليك -"

ضحكت بريدجيت، وقفت وهزت رأسها مما جعل شعرها

الأسود الطويل يطير حول رأسها.

قالت: "لا تقلق."

## الفصل ١١

### الحياة العائلية للرائد هورتون

اتكأ لوك في مقعده بالجانب الآخر من مكتب مدير البنك قائلاً:

"حسنًا، يبدو هذا مريضًا للغاية. أخشى أنني أخذت الكثير من وقتك."

لوح السيد جونز بيده في استنكار، وكان يملو وجهه الممتلئ الصغير الداكن تعبیر سعيد.

"لا عليك يا سيد فيتزوليم، إن هذه بلدة هادئة كما تعلم. ونحن نسعد دومًا حينما نرى غريبًا."

قال لوك: "إنه مكان مذهل من العالم، وملء بالخرافات."

تهدد السيد جونز قائلاً: إنه قد مضى وقت طويل قبل أن يستطيع التعليم معو الخرافات"، أشار لوك إلى أنه يعتقد أن التعليم أصبح مكلفًا للغاية الآن، وقد شعر السيد جونز بالصدمة لهذا التصريح.

طرق موظف الباب ودخل حاملاً بعض الأوراق، فأعطاه لوك عينتى توقيعات وأخذ دفتر شيكات ثم نهض قائلاً: "أنا سعيد لأننى انتهيت من هذا الأمر، لقد حالفنى الحظ فى سباق الديربى هذا العام. ماذا عنك؟".

قال السيد جونز وهو يبتسم إنه لا يهوى الرهانات. وقد أضاف أن السيدة جونز لها آراء قوية للغاية فيما يخص موضوع سباق الجياد.

"إذن أفترض أنك لم تذهب إلى سباق الديربى؟".

"فى الواقع لا".

"هل يذهب إليه أحد من سكان هذه البلدة؟".

"لقد ذهب الرائد هورتون. إنه يعشق السباقات. والسيد آيوت عادة ما يأخذ إجازة من عمله يوم السباق، ولكنه لم يسبق له أن ربح".

قال لوك: "لا أعتقد أن الكثيرين يحققون الفوز فى مثل هذه السباقات"، ثم غادر بعد أن قاما بتوديع بعضهما البعض.

أشعل سيجارة أثناء خروجه من البنك، ولأنه تطابق مع نظرية: "المشتبه الأقل احتمالاً" لم يجد لوك داعياً لأن يبتى السيد جونز على قائمة المشتبه بهم: فمدير البنك لم يُبدِ أية ردود أفعال مرعبة إزاء أسئلة لوك الاختبارية، وقد بدأ من المستحيل بالنسبة للوك أن يتخيله كقاتل. علاوة على ذلك، فهو لم يكن متقياً عن البلدة يوم سباق الديربى، وبالمصادفة لم تكن زيارة لوك للبنك غير مجدية، فهو قد تعرف على معلومتين صغيرتين: فكل من الرائد هورتون والسيد آيوت. المحامى. كان

قال: "إن اللورد ويتفيلد قدم الكثير لهذا المكان. لقد أدرك المساوئ التى عانى فى ظلها حينما كان طفلاً، وعقد العزم على أن يوفر لشباب اليوم ظروفًا أفضل".

قال لوك: "لكن هذه المساوئ المبكرة لم تمنعه من تكوين ثروة كبيرة".

"لا، لا بد أنه كان يتمتع بقدره خاصة، مقدرة عظيمة".

قال لوك: "أو حاله الحظ؟".

بدا السيد جونز مصدوماً.

قال لوك: "لا يمكن لأحد إنكار دور الحظ، ولنأخذ أحد القتلة مثلاً لنا، لماذا يتجو قاتل ناجح بفعلته؟ هل لأنه يتمتع بمقدرة خاصة؟ أم أن ذلك بسبب الحظ؟".

اعترف السيد جونز أن ذلك يرجع للحظ على الأرجح. واصل لوك كلامه:

"هذا الرجل كارتر صاحب الحانة على سبيل المثال، لقد كان يثمل ست ليال فى الأسبوع على الأرجح. ومع ذلك ففى إحدى الليالى سقط من فوق جسر المشاة ليترقى فى النهر. إنه الحظ مجددًا؟".

قال مدير البنك: "لكن الحظ كان حليف البعض الآخر فى هذه الحالة".

"ماذا تقصد؟".

"زوجته وابنته".

"آه، نعم، بالطبع".

متغيباً عن ويتشوود يوم سباق الديربى، ولهذا من المحتمل أن أحدهما كان متواجداً فى لندن وقت دهنس السيارة للسيدة بنكرتون.

وبالرغم من أن لوك لا يشك الآن فى دكتور توماس، إلا أنه شعر أنه سيشعر بمزيد من الرضا إن علم أن الدكتور كان فى ويتشوود منهمكاً فى مهام وظيفته فى هذا اليوم بالتحديد، وقد عزم على أن يكتشف هذا الأمر فى القريب العاجل.

كان هناك أيضاً إليسورثى. هل كان إليسورثى فى ويتشوود يوم سباق الديربى؟ لو كان هذا صحيحاً، يصبح احتمال أن يكون هو القاتل ضيقاً، وعلى الرغم من ذلك فقد أدرك لوك أنه من المحتمل أن تكون وفاة السيدة بنكرتون مجرد حادث لا أكثر.

ولكنه رفض هذه النظرية؛ فوفاتها كانت ضرورية وملائمة للغاية.

استقل لوك سيارته الخاصة التى كانت تقف بجوار الحاجز الحجري، وقادها إلى ورشة تصليح بيبول الواقعة بأقصى نهاية الشارع الرئيسى.

كانت هناك العديد من الأمور الصغيرة الخاصة بالتشغيل التى أراد مناقشتها، أنصت إليه الميكانيكى الشاب الوسيم ذو الوجه الملىء بالنمش فى ذكاء. خلع كلا الرجلين قبعتيهما وانهمكاً فى حوارهما الميكانيكى.

نادى صوت من بعيد:

"جيم، تمال هنا لحظة".

أطاع وجه الميكانيكى المنعش الأمر.

جيم هارفى، هذا صحيح، إنه جيم هارفى خطيب آمى جيبس، الآن عاد واعتذر واستأنفا حديثهما الفنى. وافق لوك على ترك السيارة هناك.

وبينما كان لوك على وشك المغادرة سأل عرضياً:

"هل حالفك الحظ فى سباق الديربى هذا العام؟"

"لا يا سيدى. لقد راهنت على كلاريجولد".

"إن عدد من راهنوا على جوجيوب الثانى ليس كبيراً".

"فى الواقع لا يا سيدى. لا أعتقد أن أية جريدة قد أشادت به".

هز لوك رأسه قائلاً:

"إن السباق هو لعبة غير معروفة النتائج. هل سبق لك وشهدت سباق الديربى؟"

"لا يا سيدى، أتمنى لو كنت قد شاهدته. لقد طلبت إجازة فى هذا اليوم؛ فكانت لدى تذكرة سفر رخيصة إلى المدينة ومنها إلى إسوم، ولكن سيدى لم يسمح لى بالتغيب فى هذا اليوم، فكان هناك نقص فى العمالة، وكان لدينا الكثير من العمل فى هذا اليوم".

أوماً لوك متفهماً وهم بالرحيل.

شطب جيم هارفى من قائمته. إن هذا الفتى ذو الوجه المبهج ليس قاتلاً سريعاً، ولم يكن هو الذى دهنس السيدة بنكرتون.

وافق لوك وسار الرجلان معاً، فى حين واصل الرائد هورتون حديثه فى موضوع الكلاب وكيف أن كل الأنواع الأخرى توجد فى منزلة أدنى من منزلة النوع الذى يفضلها.

سمع لوك عن الجوائز التى فازت بها نيللى، وعن التصرف الشائئ لأحد الحكام حينما قام بمنح أوجستس جائزة لا تليق به، وعن انتصارات نيرو فى حلبه السباق.

فى ذلك الحين كانا قد وصلا إلى بوابة منزل الرائد، ففتح الباب الأمامى والذى لم يكن موصداً ودخل الرجلان المنزل. قاده الرائد إلى غرفة صغيرة تصدر منها رائحة كلاب والنش كانت مصفوفة بها أرفف كتب، ثم شغل نفسه فى عملية إعداد المشروبات، نظر لوك حوله إذ كانت هناك صور لكلاب ونسخ من جريدة "حياة الحقول والريف" وزوج من المقاعد البالية، كانت الكئوس الفضية مرتبة حول خزانات الكتب، وكانت هناك لوحة زيتية معلقة فوق رف المستودع.

قال الرائد بعد أن رفع عينيه من فوق السحارة إثر ملاحظته لوك: "إنها زوجتى. امرأة متميزة حقاً. إن وجهها ينضح بالشخصية، ألا تعتقد ذلك؟".

قال لوك وهو ينظر إلى صورة الراحلة السيدة هورتون: "نعم، هذا صحيح".

كانت ترتدى ثوباً من الساتان الوردى وتمسك بحضنة من زهور الزنبق من الوادى. كان شعرها البنى مفروقاً من المنتصف وشفتاها مزومتين فى كآبة معاً. كانت عيناها الرماديتان الباردتان تحدقان فى استياء واعتلال مزاج لمن ينظر إلى الصورة.

توجه إلى المنزل أخذاً طريق النهر. وهى هذا المكان. كما حدث سابقاً. قابل الرائد هورتون وكرابه. كان الرائد هورتون كما رآه يفعل فى المرة السابقة. يصبح فى كلابه ويمنقها: "أوجستس. نيللى. نيللى. نيرو. نيرو. نيرو".

مرة ثانية حدثت عيناه البارزتان إلى لوك، ولكن فى هذه المرة كان هناك ما هو أكثر من ذلك، فقال الرائد هورتون: "عذراً. أنت السيد فيتزوليم. أليس كذلك؟".

"نعم".

"أنا الرائد هورتون. أنا واثق من أنتى كنت سأقابلك غداً فى المانور. فى حفل التمس: فقد كانت الأنسة كونيواى من الرقة كى تدعونى، إنها ابنة عمك. أليس كذلك؟".

"نعم".

"هذا ما اعتقدته: إذ من السهل رصد وجه جديد هنا كما تعرف".

هنا حدث أمر ما قاطع حديثهما: فقد تقدم الكلاب البولودج الثلاثة فجأة نحو حيوان هجين أبيض غريب. "أوجستس، نيرو. تعالوا إلى هنا. قلت تعالوا".

وحينما أطاع الكلبان أوجستس ونيرو أخيراً الأمر على مضض، عاد الرائد هورتون ليستأنف الحوار. كان لوك يربت على نيللى التى كانت تنظر إليه فى طيبة.

قال الرائد: "إنها كلبة لطيفة. أليس كذلك؟ أنا أحب الكلاب البولودج. طالما همت بتربيتها: فأنا أفضلها على أى نوع آخر. إن منزلى قريب من هنا، هلا أتيت وتناولت شرباً معى؟".

ظل لوك محتفظاً بابتسامته يملؤها الاحترام.  
سأل الرائد: "هل أنت متزوج؟"  
"لا".

"آه، حسنًا، بالتأكيد سوف تتزوج فى أحد الأيام، وأؤكد لك  
يا صديقى أنك ستكتشف أن ما من شيء يضاى الزواج".  
قال لوك: "أنا أشعر بالمعادة دومًا حينما يثنى أحد على  
الحياة الزوجية، وخاصة فى أيام الطلاق السهل هذه".  
قال الرائد: "يا إلهى! إن الشباب يثيرون اشمزازى؛ فهم  
لا يتمتعون بأية قوة تحمل، إنهم لينو العريكة، ولا يمتلكون أى  
جلد".

أراد لوك أن يسأل ما الحاجة إلى مثل هذا الجلد فى  
العلاقة الزوجية، ولكنه أعرض عن هذا.  
قال الرائد: "إن ليديا كانت امرأة نادرة الوجود؛ فكان  
الجميع يحترمونها ويتعلمون إليها".  
"حقًا؟"

"ما كانت تطيق أى هراء. كان لها أسلوبها الخاص فى  
تقويم الشخص بنفسها. فما يكون من هذا الشخص إلا أن  
يذوى أمامها. بعض هؤلاء الفتيات غير المتمرسات اللاتي  
يطلقن على أنفسهن خادمات فى يومنا هذا، إنهن يعتقدن  
أنك قد تتنازى عن أية غطرسة. لكن ليديا كانت توقفت  
عند حدودهن؛ هل تعلم أننا قمنا بتشغيل خمس عشرة خادمة  
وطاهية فى عام واحد، خمس عشرة!"

قال الرائد وهو يعطى كأسًا للوك: "امرأة مميزة حقًا. لقد  
ماتت منذ أكثر من عام. وأنا لم أعد كسابق عهدي منذ ذلك  
الحين".

قال لوك وهو لا يعرف ماذا يقول: "حقًا؟".  
قال الرائد وهو يشير بيده تجاه أحد المقعدين الجلديين:  
"هلا تفضلت بالجلوس".  
وجلس هو على المقعد الآخر وبعد أن احتسى بعضًا من  
شرابه؛ قال:

"لا، أنا لم أعد كسابق عهدي منذ ذلك الحين".  
قال لوك فى ارتباك: "لايد أنك تفتقدهما".  
هز الرائد هورتون رأسه فى حزن قائلاً:  
"إن الرجل يحتاج إلى زوجة لتبقية فى حالة جيدة، والا  
فإنه سيصبح مهملًا. نعم، مهملًا، يستسلم للفشل".  
"لكن بالتأكيد..."

"يا صديقى، أنا أعلم ما أتحدث عنه. أنا لا أقول إن الزواج  
لا يكون صعبًا على المرء فى البداية؛ فهو يكون صعبًا بالفعل.  
فتجد أن المرء يقول لنفسه: ثبًا، إنها لا تتركنى وشأنى؛ ولكنه  
يمتد على الوضع. إنها مسألة ضبط نفس لا غير".  
فكر لوك أن حياة الرائد هورتون الزوجية لابد أنها كانت  
أشبه بحملة عسكرية أكثر منها حياة عائلية هادئة.  
قال الرائد مناجيًا نفسه: "إن النساء مزعجات حقًا. وقد  
يترأى لك فى بعض الأحيان أنه ما من سبيل لإرضائهن،  
ولكنهن يبقين الرجل فى حالة جيدة".

هم إلا وحوش متحجرو القلوب، إنهم لا يعرفون سوى الألم الجسدى الصريح والمباشر: فأى شيء خارج عن المألوف يقع خارج نطاق قدراتهم. هامبلى على سبيل المثال، الجميع يعتقدون أنه كان طبيباً جيداً".

"أنت لا تتفق معهم فى ذلك".

"بالطبع لا، لقد كان الرجل جاهلاً تماماً، لا يفقه شيئاً عن الاكتشافات الحديثة، وأنا لا أعتقد أنه سبق له أن سمع عن مرض العصاب؛ إنه يعرف الحصبة والكاف والعظام المكسورة جيداً على ما أعتقد، ولكن لا شيء أكثر من هذا. إنه لم يستوعب حالة ليديا على الإطلاق. لقد شرحتها له بوضوح ولكن لم يرق له ما قلته له؛ فقد احتاج وغضب على الفور. وقال إنه بإمكانى الإتيان بأى طبيب آخر أختاره، بعد ذلك أتينا بتوماس".

"هل رافقك أكثر؟".

"بالطبع، إنه يفوق دكتور هامبلى براعة؛ فإن كان باستطاعة أحد أن ينقذها من مرضها الأخير، فهو دكتور توماس. فى الواقع لقد كانت تتحسن بالفعل ولكنها تعرضت لانتكاسة مفاجئة".

"هل كانت تتألم؟".

"آه، نعم، التهاب المعدة، ألم حاد وغثيان وما إلى ذلك. لقد عانت كثيراً! كانت شهيدة بكل ما تحمله الكلمة من معنى. كانت ترعاها اثنتان من ممرضات المستشفى اللتان لم تتعاطفا معها على الإطلاق! "المريضة فعلت كذا"، "المريضة قامت

شعر لوك أنه ليس فى ذلك إظهار لبراعة السيدة هورتون فى إدارة شؤون منزلها، ولكن بما أن مضيفه يرى أن فى هذا إطلاء لها، فقد اكتفى بتبريد ملحوظة غامضة. "كانت تطردهن بلا رحمة إن لم يؤدين مهام وظائفهن على أكمل وجه".

سأل لوك: "هل هكذا كان الحال دوماً فى منزلكم؟".

"حسناً، بالطبع هجرتنا الكثيرات منهن، وكان هذا خير ما فعلن. هكذا اعتادت ليديا أن تقول؟".

قال لوك: "يا لها من روح جميلة، ولكن ألم يكن أمر مثل هذا مرهقاً فى بعض الأحيان؟".

قال هورتون: "آه، أنا لم أكن أمانع فى التسمير عن ساعدى والمشاركة فى الأمور المنزلية؛ فأنا طاه جيد ويمكننى منافسة أى محترف، وأنا لم أكثر بالتطيف لكن بالطبع لابد من أن يتولى أمره أحدهم. فلا مفر من ذلك".

وافق لوك على ذلك، وسأله إن لم تكن السيدة هورتون ماهرة فى الأعمال المنزلية.

قال الرائد هورتون: "أنا لست الرجل الذى يجعل زوجته تقوم بخدمته، وعلى أية حال، كانت ليديا من الرقة بحيث تعجز عن القيام بالأعمال المنزلية".

"لم تكن قوية إذن؟".

هز الرائد هورتون رأسه.

"كانت تتمتع بروح مدهشة. لم تكن لتستسلم قط. ولكنها عانت كثيراً! ولم تفل أى تعاطف من الأطباء. إن الأطباء ما



قال لوك: "الا، بالطبع لا، وبالرغم من ذلك فهو يبدو مشاكساً، يبدو أنه تشاجر مع الكثيرين حسبما سمعت".

قال الرائد هورتون: "إن مشكلته هو أنه شخص بغيض سريع الغضب، يبدو أنه يعتقد أنه إله أو شيء من هذا القبيل وأن أى شخص لا يتفق معه كأنه طعن فى الذات الإلهية، هل سمعت عن مشاجرته مع هامبيلباى؟"

"لقد تشاجرا، أليس كذلك؟"

"بلى. كانت مشاجرة عنيفة، وهذا لم يفاجئنى، فكان هامبيلباى أحق عندئذٍ بالومع هذا، انظر ماذا حدث".

"كان موته فاجعة حقيقية".

"هامبيلباى؟ نعم، أعتقد هذا، افتقار إلى العناية بالأمور الصغيرة، إن سمع الدم هوشى، خطير، ضح دوماً اليود فوق الجرح. أنا أفعل هذا دائماً! احتياط بسيط، أما هامبيلباى. والذي يعمل كطبيب. فلا يقوم بأمر كهذا، وهذا يوضح الكثير".

لم يكن لوك يعرف ما كان يوضحه هذا، ولكنه ترك هذا لحاله، نظر إلى ساعته ونهض.

قال الرائد هورتون:

"لقد اقترب موعد الغداء، أليس كذلك؟ حسناً، أنا سعيد بهذا الحديث؛ فانا أسعد حينما أرى رجلاً رأى العالم الخارجى، لابد أن نلتقى مرة أخرى. من أين أنت؟ ماينج سترابيش؟ أنا لم يسبق لى الذهاب إلى هناك، سمعت أنك تؤلف كتاباً. عن الخرافات وأمور من هذا القبيل".

"نعم، أنا —".

ولكن الرائد هورتون واصل كلامه:

"بإمكانى أن أخبرك بالعديد من الأشياء المثيرة، حينما كنت فى الهند يا صديقى —".

تمكن لوك من الهرب بعد نحو عشر دقائق بعدما عانى من سماع الحكايات المعتادة عن الفقراء الهنود والحيال وحيل المانجو الخاصة بهذا الهندى الإنجليزى المتقاعد.

وبينما هو يخطو إلى الخارج فى الهواء الطلق ويستمع إلى صوت تعنيف الرائد لنيرو من خلفه، تعجب من معجزة الحياة الزوجية؛ فبدا الرائد هورتون حزيناً بالفعل على زوجة كانت من النوع الآكل للحوم البشر. ولا يستثنى من هذا لحمه هو. سأل لوك نفسه فجأة: "أم أنه مخادع من الدرجة الأولى؟".

## الفصل ١٢

### النزال

لحمن الحظ، كانت فترة ما بعد الظهر التي أقيم بها حفل التنس ممتعة: فكان اللورد ويتفيلد معتدل المزاج للغاية ولعب دور المضيف بكثير من المتعة. وهو قد أشار كثيرًا لأصوله المتواضعة. كان عدد اللاعبين ثمانية. اللورد ويتفيلد، وبريدجيت، ولوك، وروز هامبليباي، والسيد أبوت، ودكتور توماس، والرائد هورتون، وهيتي جونز تلك الشابة ابنة مدير البنك ذات الضحكة العالية.

وفي الجزء الثاني من فترة ما بعد الظهر وجد لوك نفسه يلعب مع بريديجيت ضد اللورد ويتفيلد وروز هامبليباي. كانت روز لاعبة جيدة ذات رمية إرسال قوية والتي كانت تلعب في مباريات المقاطعة. كانت تموض عن أخطاء اللورد ويتفيلد، أما بريديجيت ولوك. اللذان لم يتسم أي منهما بالمهارة في اللعب. فقد حققا التعادل. كانوا متعادلين ثلاثة مقابل ثلاثة. ولكن مهارة لوك علت فجأة واستطاع هو وبريدجيت التقدم لتصبح النتيجة خمسة مقابل ثلاثة.

"أنا أحب مشاهدة الكرنب".

"ألن تقى البارزلاء بالفرض؟"

"وهو كذلك".

سارا مبتعدتين عن ملعب التنس حتى وصلا إلى حديقة المطبخ المسورة. كانت خالية من البستانيين في فترة ما بعد الظهيرة ليوم السبت هذا، وبدت كسولة وساكنة تحت أشعة الشمس.

قالت بريدجيت: "ها هي البارزلاء".

لم ينظر لوك إلى الشيء الذي أتى به إلى المكان. قال:

"لماذا جعلتهما يفوزان بالمجموعة؟"

ارتفع حاجبا بريدجيت ليكوّن تعاطية.

"آسفة. لقد أصبت بالإرهاق. أنا لست بارعة في لعبة

التنس".

"ليس إلى هذه الدرجة! إن أربع رميات إرسال متتالية خاطئة لن تخدع طفلاً! وهذه الضربات الجامحة. كل منها أطاح بالكرة على مسافة نصف ميل".

قالت بريدجيت في هدوء:

"هذا لأنني لاعبة تنس فاشلة، لو كنت أمهر من هذا قليلاً لجعلت الأمر يبدو مقبولاً بشكل أفضل، ولكن حينما أنوى جعل الكرة تخرج من الملعب بمسافة صغيرة فإنها ترتطم دوماً بالخط، فيذهب جهدى هباءً".

"أنت معترفة إذن؟"

"بالطبع يا عزيزي".

ولكنه لاحظ في ذلك الحين أن اللورد ويتفيلد قد بدأ يفقد أعصابه؛ فقد جادل بشأن كرة لامست الخط، وأعلن أن ضربة الإرسال خاطئة بالرغم من إنكار روز لذلك، وسلك جميع سلوكيات طفل مشاكس. لعبت بريدجيت ضربة الإرسال، ولكنها ضربت الكرة في الشبكة وبعد ذلك مباشرة أخطأت ثانية في ضربة الإرسال. عادت الكرة التالية إلى خط المنتصف وأثناء استعداده لردّها اصطدم بزميلته. بعد ذلك أخطأت بريدجيت مرتين متتاليتين في الإرسال وخسرا المباراة.

اعتذرت بريدجيت: "آسفة. أنا منهكة حقاً".

بدا ذلك صحيحاً؛ فكانت رميات إرسال بريدجيت جامحة وبدت غير قادرة على القيام بأى شيء بالطريقة الصحيحة. انتهت المجموعة بفوز اللورد ويتفيلد وزميلته الساحق بثمانية مقابل ستة.

تناقش اللاعبون قليلاً بشأن تشكيل فريقى المجموعة التالية. وفي النهاية لعبت روز مجدداً مع السيد آيوت كزميلها ضد دكتور توماس والآنسة جونز.

جلس اللورد ويتفيلد وأخذ في مسح جبهته والتبسم في رضا، وهو قد استعاد حسه المرح. بدأ يتحدث إلى الرائد هورتون في موضوع مجموعة مقالات عن اللياقة في بريطانيا والتي نشرها إحدى صحائفه.

قال لوك لبريدجيت:

"أرىنى حديقة المطبخ".

"ولماذا حديقة المطبخ؟"

"والسبب؟".

"إنه واضح على ما أعتقد، إن جوردون لا يحب الخسارة".

"وماذا عنى؟ ماذا لو أننى أحب الفوز؟".

"أخشى يا عزيزى لوك أن هذا ليس على نفس القدر من الأهمية".

"هل توضحين ما ترمين إليه أكثر من ذلك؟".

"بالطبع، إن أردت ذلك. إن المرء لا ينبغي أن يتشاجر مع طفل، وجوردون هو طفلى: أما أنت فلا".

أخذ لوك نفساً عميقاً ثم انفجر:

"ما هو قصدك بحق السماء من الزواج بهذا الرجل الضئيل السخيف؟ لماذا تفعلين هذا؟".

"لأننى حينما أكون سكرتيرته فلن أتناضى سوى ستة جنيهات فى الأسبوع، ولكن حينما أصبح زوجته فسنأكل ما يقرب من مائة ألف، بالإضافة إلى خزانة مجوهرات مليئة بالأماس واللآلئ، وحصص جيدة فى الأملاك، والمزايا العديدة للحياة الزوجية".

"ولكن هذا مقابل واجبات مختلفة إلى حد ما".

قالت بريدجيت فى برود:

"هل يجب أن تنتهج مثل هذا السلوك الميلودرامى إزاء كل شيء فى الحياة؟ إن كنت ترسم فى مخيلتك صورة جميلة لجوردون كشخص خائف لزوجته فعليك محوها على الفور! إن جوردون - كما رأيت - ليس سوى صبي صغير لم يتضح بعد. إن ما يحتاج إليه هو أم وليس زوجة: فقد ماتت أمه مع الأسف

حينما كان فى الرابعة من عمره وما يريده هو شخص فى متناول يده يستطيع التناحر أمامه، شخص يبعث فيه الثقة بنفسه والذي يكون على أتم استعداد لأن يستمع بلا نهاية إلى اللورد ويتفكك عن موضوع نفسه".

"إن لك لمساتاً لاذعاً، أليس كذلك؟".

أجابت بريدجيت بعدة:

"أنا لا أقص على نفسى حكايات خيالية إن كان هذا ما تمنيه! أنا شابة تتمتع بقدر من الذكاء، ليست جذابة للغاية، وليس لديها مال. أنا أريد أن أعيش حياة كريمة. إن وظيفتى كزوجة جوردون لن تكون مختلفة من الناحية العملية عن وظيفتى كمسكرتيرته: فبعد عام لا أعتقد أنه سيتذكر أن يقول لى تصبحين على خير. الفارق الوحيد هو الراتب".

نظرا إلى بعضهما البعض. كان كلاهما شاحبا من فرط الغضب، قالت بريدجيت فى سخرية:

"واصل كلامك: فأنت رجل عتيق الطراز، أليس كذلك يا سيد فيتزلوليم؟ أليس من الأفضل أن تردد على مسامعى هذه الأمطونة القديمة. وهو أننى أبيع نفسى مقابل المال. طالما اعتقدت أنها أسطوانة جيدة".

قال لوك: "أنت شيطانة ذات دم بارد".

"هذا أفضل من أن أكون حمقاء ذات دم ساخن!".

"حقاً؟".

"نعم. أنا أعلم هذا".

أصدر لوك صوتاً ساخراً: "ماذا تعرفين؟".

"إن لي الحق في ذلك. أنا لي الحق في العناية بك. ما الذي قلته لتوك؟ عن الاهتمام بأمره لدرجة مؤلة؟".  
ابتعدت خطوة للوراء ثم قالت: "أنت..".

"نعم. أمر مضحك. أليس كذلك؟ إنه أحد الأشياء التي لا بد أن يجعلك تضحكين من قلبك! لقد جئت إلى هنا لأداء مهمة عمل وأنت أتيت من حول هذا المنزل. كيف يمكنني قول هذا. وألقيت على لعنة ما هذا هو ما أشعر به. لقد أتيت على ذكر الحكايات الخيالية الآن. أنا مجبوس داخل حكاية خيالية! لقد مسحرتني. ينتابني شعور بأنك إذا أشرت إلي بإصبعك وقلت: "تحول إلى ضفدع"، فإنني سأصبح واحدًا يشب بعيدًا بعينين بارزتين".

اقترب منها خطوة.

"أنا أحبك كثيرًا يا بريديت كونواي، وبما أنني أحبك كثيرًا، فلا يمكن أن توقى مني الاستمتاع برويتك وأنت تتزوجين من هذا الرجل الضئيل المغرور ذي البطن المنتفخ الذي يفقد أعصابه حينما لا يفوز في التنس".  
"ما الذي تقترح على القيام به؟".

"أقترح عليك الزواج مني بدلاً منه؛ ولكن بدون شك مثل هذا الاقتراح سيولد الكثير من الضحكات السعيدة".  
"سيكون الضحك صاحبًا بدون شك".

"تمامًا، الآن حددنا موقفنا. هلا عدنا إلى ملعب التنس؟ ربما في هذه المرة ستجدين لي زميلًا يلعب ليفوز".

"أعلم كيف يكون الأمر حينما تهتم لأمر رجل ما! هل سبق لك مقابلة جونى كورنيس؟ لقد ظللت مخطوبة له طوال ثلاث سنوات. كان لطيفًا للغاية. وقد اهتمت بأمره بشدة. اهتمت بأمره لدرجة مؤلة حسنًا. لقد رمانى وتزوج من أرملة بدينة لطيفة ذات لهجة شمالية وثلاث ذقون ودخل يصل إلى ثلاثين ألفًا في العام! إن تجربة مثل هذه تشفى الإنسان من الرومانسية. ألا تعتقد هذا؟".

أشاح لوك بوجهه وهو يتأوه. قال:

"ربما".

"لقد أدت إلى شفائي بالفعل....".

سادت فترة صمت. كان هذا الصمت يمثل ثقلًا على صدريهما. قطعته بريديت أخيرًا وقالت بنبرة عدم ثقة في صوتها:

"أتمنى لو تدرك أنه ليس من حقل أن تتحدث إلي بالطريقة التي تحدثت بها لتوك. إنك تقيم في منزل جورودن وهذا ليس من أصول اللياقة".

استعاد لوك رباطة جأشه.

سأل في أدب: "ألهمت هذه أسطوانة قديمة أيضًا؟".

تورد وجه بريديت: "لكن الأمر صواب".

"لا، إنه ليس صحيحًا، أنا لي كل الحق في القيام بذلك".

"هراء".

نظر لوك إليها. كان هناك شعوب غريب بوجهها، وكأنها تعانى ألمًا جسديًا. قال:

ساد الصمت مرة أخرى. بعد ذلك رفع لوك يديه ببطء عن كتفها. وقف كلاهما في غير ثقة كما لو أنه قد تبقى شيء لم ييوحا به.

بعد ذلك استدارت بريديجيت فجأة وقادته. كانت المجموعة التالية على وشك الانتهاء. رفضت روز اللعب مرة أخرى. "لقد لعبت مجموعتين متتاليتين".

لكن بريديجيت أصمرت: "أنا أشعر باللعب ولا أريد اللعب. أنت والسيد فينزوليم العبا ضد الأنسة جونز والرائد هورتون". ولكن روز صممت على الرفض وفي النهاية تشكل فريقان رجاليان، وبعد ذلك أتى الشاي.

كان اللورد ويتفيلد يتحاور مع الدكتور توماس ويحكي له تفصيلًا وبكثير من الاعتداد بالذات عن زيارة قام بها مؤخرًا لمختبرات بحث ويللمان كريتز.

شرح بجديّة: "أردت استيعاب آخر الاكتشافات العلمية؛ فأنا مسئول عما نشره صحفي. فهذا العصر علمي، ولا بد من تطويع العلم كي يستطيع العامة فهمه". قال دكتور توماس وهو يهز كتفيه قليلاً: "إن بعض العلم قد يكون شيئاً خطيراً".

قال اللورد ويتفيلد: "العلم هو ما يفيد الوطن، هذا يجب أن يكون هدفنا. عقول علمية -".

قالت بريديجيت في رزانة: "إدراك أنابيب الاختبار".

قالت بريديجيت في عذوبة: "أعتقد أنك تمقت الخسارة بقدر ما يمتعها جوردون".

أمسك بها لوك فجأة من كتفها.

"إن لك لساناً حاداً، أليس كذلك يا بريديجيت؟".

"أعتقد أنك لا تحبني كثيراً يا لوك بالرغم من قدر المشاعر التي تحملها لي".

"لا أعتقد أنني أحبك بالمرّة".

قالت بريديجيت وهي ترقبه:

"كنت تتوى الزواج والاستقرار حينما تأتى إلى وطنك، أليس كذلك؟".

"نعم".

"ولكن ليس من امرأة مثلي؟".

"أنا لم يسبق لي أن فكرت في امرأة مثلك".

"بالمطيع. أنا أعرف الطراز الذي يعجبك، أعرفه تماماً".

"أنت ذكية للغاية يا عزيزتي بريديجيت".

"فناة لطيفة حقاً - إنجليزية تماماً. تهوى الريف وتحيد التعامل مع الكلاب... وأنت على الأرجح تخيلتها في تنورة من التويد تشمل عوداً من الخشب بطرف حذاثها".

"تبدو الصورة جذابة للغاية".

"بالتأكيد. هلا عدنا إلى ملعب التنس؟ يمكنك اللعب مع روز هاميلباى، إنها ماهرة وستستطيع الفوز معها بدون شك".

"بما أنني عتيق الطراز فلا بد أن أترك لك الكلمة الأخيرة".

"كما قلت لتوى".

تدخلت بريدجيت بلباقة:

"ماذا عن لعب المزيد من التيس؟"

لعبوا مجموعتين أخريين، وبينما كانت روز هامبليبا تودعهم، ذهب إليها لوك.

قال: "دعنى أوصلك إلى المنزل. دعنى أحمل مضرب التيس عنك. ليس معك سيارة، أليس كذلك؟"

"نعم، لكن المنزل ليس بعيداً".

"أنا أود التمشية معك قليلاً".

لم يقل أكثر من ذلك، فقط اكتفى بحمل مضربها وحداتها. سارا فى الطريق دون كلام. أنتت روز على ذكر أمر أو أمرين تافهين. أجابها لوك باختصار، بيد أن الفتاة بدت أنها لم تلاحظ.

وحينما وصلا إلى بوابة منزلها أشرق وجه لوك.

قال: "أنا أفضل حالا الآن".

"هل كنت أسوأ حالا قبل ذلك؟"

"من اللطيف منك أن تتطاهرى بأنك لم تلاحظى هذا. لكنك استطلعت تحرير الفضب من الوحش. هذا غريب، أشعر أننى خرجت من سحابة سوداء إلى الشمس".

"هذا صحيح. كانت هناك سحابة فوق الشمس حينما كنا فى المانور ولكنها ابعدت الآن".

"إذن الأمر حقيقى بقدر ما هو مجازى. حسناً، حسناً، العالم هو مكان رائع بالرغم من كل شيء".

قال اللورد ويتفيلد: "لقد انههرت. أرانى ويللرمان المكان بنفسه بالطبع. استجديته كى يتركنى لأحد تابعيه ولكنه أصر".

قال لوك: "هذا طليعى".

بدا اللورد ويتفيلد ممتناً.

"وقد شرح كل شيء بوضوح. الاستبيات. المصل. القاعدة العامة لكل شيء. وقد وافق أن يكتب المقال الأول فى مجموعة المقالات بنفسه".

تمتت السيدة أنستروثر:

"إنهم يستخدمون الفئران على ما أعتقد. وهذا قاس. بالرغم من أنه بالطبع ليس فى قسوة استخدام الكلاب أو حتى القطة".

قال الرائد هورتون بصوت أجش: "إن الرفاق الذين يستخدمون الكلاب لايد من إطلاق النار عليهم".

قال السيد أبوت: "أنا أعتقد يا هورتون أن حياة الكلاب عندك أعلى من حياة البشر".

قال الرائد: "هذا صحيح! إن الكلاب لا تقبل ضدك مثلما يفعل البشر، كما أنك لا تسمع كلمة بذية من كلب".

قال السيد أبوت: "فقط ناب بدى، ينفرس فى سافك، أليس كذلك يا هورتون؟"

قال الرائد هورتون: "إن الكلاب هى خير حكم على الشخصية".

"أحد كلابك المتوحشة كاد يعضنى فى ساقى الأسبوع الماضى، ما رأيك فى هذا يا هورتون؟"

"بالطبع هو كذلك".

"أنسة هاميلباى، أيمكننى أن أكون وقحًا بعض الشيء؟".

"أنا واثقة أنه ليس باستطاعتك ذلك".

"لا تكونى واثقة من هذا. أردت أن أقول إننى أعتقد أن

دكتور توماس هو رجل محظوظ حقًا".

تورد وجه روز وابترسمت.

قالت: "إذن فأنت تعرف؟".

"هل كان من المفترض أن يكون سرًا؟ أنا أسف للغاية".

قالت روز بحزن: "لا لا يوجد سر بهذا المكان".

"إذن هذا صحيح. أنت وهو مخطوبان؟".

أومأت روز.

"نحن لم نعلن عن ذلك رسميًا، كما تعلم، كان أبى معارضًا

للأمر ويبدو حسنًا. أنه ليس من الملائم إعلان الخبر بعد

وفاته مباشرة".

"هل كان والدك معارضًا؟".

"حسنًا، ليس معارضًا تمامًا، لا، أعتقد أنه لم يكن موافقًا".

قال لوك برقة:

"ظن أنك صغيرة للغاية؟".

"هذا هو ما قاله".

قال لوك فى ذكاء: "لكنك تعتقدين أن ثمة سببًا آخر؟".

هزت روز رأسها ببطء وعلى مضض.

"نعم. أخشى أن ما اتضح فى النهاية أن أبى، حسنًا لم يكن

أبى يحب جيفرى".

"هل كانت هناك خصومة بينهما؟".

"بدا الأمر كذلك فى بعض الأحيان.. بالطبع كان أبى رجلًا

عجوزًا ذا آراء متزمتة".

"وأعتقد أنه كان يحبك كثيرًا، ولم ترق له فكرة

فقدائك؟".

وافقته روز ولكن ببعض التحفظ فى سلوكها.

قال لوك: "كان الأمر أكثر من ذلك؟ إنه لم يرغب فى أن

يصبح توماس زوجًا لك؟".

"لا. كما تعلم، إن أبى وجيفرى مختلفان تمامًا. وكانا

يتصادمان فى بعض الأحيان. كان جيفرى صبورًا للغاية وبارعًا

فى عمله، ولكن إدراكه لعدم حب أبى له جعله أكثر تحفظًا وخجلًا

فى سلوكه. لذا فإن أبى لم يتسنَّ له أن يعرفه حق المعرفة".

قال لوك: "من الصعب للغاية قهر التزمت والأحكام

المسبقة".

"كان ذلك غير عقلانى بالمرّة".

"ولم يقدم والدك مبررات لتصرفاته تلك؟".

"لا، لم يستطع ذلك! هذا طبيعى؛ فلم يكن هناك ما يمكن

أن يدين به جيفرى فيما عدا أنه لم يحبه".

قال لوك متخيلًا الدكتور هاميلباى:

"أنا لا أحبك يا دكتور توماس، لا أعرف سبب ذلك".

"تمامًا".

"ليس هناك سبب ملموس لذلك؟ أعنى أن جيفرى لا يشرب

الكحوليات أو يراهن على الجياد؟".

"لا، لا. لا أعتقد أن جيفرى يعرف حتى من فاز بسباق الديرى".

قال لوك: "هذا غريب، فيمكننى أن أقسم لك بأننى رأيت دكتور توماس فى إيسوم يوم سباق الديرى".

للحظة شعر بالقلق عسى أن يكون قد ذكر قبل ذلك أنه وصل إلى إنجلترا فى هذا اليوم، لكن روز أجابت على الفور دون أن يساورها أدنى شك.

"أنت تظن أنك رأيت جيفرى فى سباق الديرى؟ لا، لم يكن فى وسعه ذلك: فقد كان فى أشوولد طوال اليوم تقريباً لتولى أمر ولادة متعسرة".

"إن لك ذاكرة قوية".

ضحكت روز.

"أتذكر هذا لأنه أخبرنى أنهم أطلقوا على المولود اسم جوجيوب كلقب".

أوماً لوك بشروء ذهن.

قالت روز: "على أية حال، إن جيفرى لا يذهب أبداً إلى السباقات: فهو يشعر بالملل".

أضافت بنبهة مختلفة:

"أئن تدخل- أعتقد أن أمى تود أن تراك".

"إن كنت واثقة من هذا؟".

قاده روز داخل غرفة كان ضوء الشفق يتخللها بحزن.

كانت امرأة تجلس فى مقعد ذى ذراعين فى وضعية جاثمة مثيرة للفضول.

"أمى، هذا هو السيد فيتزوليم".

أجفلت السيدة هامبلباى وصافحته. خرجت روز بهدوء من الغرفة.

"أنا سعيدة لرؤيتك يا سيد فيتزوليم، لقد أخبرتنى روز أن بعض أصدقائك كانوا يعرفون زوجى منذ عدة سنوات مضت".

"نعم يا سيدة هامبلباى"، لكنه كره أن يكرر الكذبة على مسامح الأرملة، ولكن لم يكن هناك مفر.

قالت السيدة هامبلباى:

"أتمنى لو كنت قابلته. كان رجلاً لطيماً وطبيباً عظيماً. لقد عالج الكثير من الناس الذين استسلموا لليأس فقط بقوة شخصيته".

قال لوك بركة:

"لقد سمعت عنه الكثير منذ أن أتيت إلى هنا، أعلم كم يقدره العديد من الناس".

لم يكن باستطاعته رؤية وجه السيدة هامبلباى بوضوح. كان صوتها رتيباً، ولكن افتقاره للمشاعر بدا أنه تأكيد لحقيقة كمون المشاعر الحقيقية بداخلها، تلك المشاعر التى كانت تكبتها بقوة.

قالت على نحو غير متوقع:

"إن العالم هو مكان فاسد للغاية يا سيد فيتزوليم. أتعلم هذا؟".

كان لوك مندهشاً بعض الشيء.

"نعم، ربما يكون هذا صحيحاً".

أصرت قائلة:

"لا، بل هل تعلم هذا؟ إن هذا مهم. إن هناك الكثير من الشر في هذا العالم... لا بد أن يكون المرء مستعداً لمحاربته! كان جون مستعداً لمحاربته. كان يعلم. كان إلى جانب الحق".

قال لوك بركة:

"أنا واثق من هذا".

قالت السيدة هامبلباي: "لقد رأى الشر في هذا المكان.

كان يعلم —".

انفجرت في البكاء فجأة.

تتمتع لوك:

"أنا أسف —"، ثم سكت.

أعادت السيطرة على نفسها فجأة كما فقدتها فجأة.

قالت: "لا بد أن تسامحتني". مدت يدها قائلة: "نعال

لزيارتنا قبل أن تغادر. روز ستسعد بذلك كثيراً! فهي معجبة بك للغاية".

"وأنا أيضاً معجب بها. أعتقد أن ابنتك هي أملف فتاة قابلتها منذ وقت طويل يا سيدة هامبلباي".

"إنها تعاملني بركة بالغة".

"إن دكتور توماس هو رجل محظوظ حقاً".

"نعم". أسقطت السيدة هامبلباي يده. أصبح صوتها فائراً مجدداً.

"لا أعلم. إن الأمر شديد الصعوبة".

تركها لوك واقفة نصف مهمومة، كانت أصابعها تنفلق وتفتح تلقائياً.

أثناء سيره إلى المنزل، عاود عقله التفكير في أجزاء كثيرة من الحوار.

كان دكتور توماس متفياً عن ويتشوود معظم اليوم الخاص بسباق الديرى، كان متفياً في مكان بعيد. إن ويتشوود تبعد خمسة وثلاثين ميلاً عن لندن. على افتراض أنه كان يتولى أمر ولادة متعسرة. هل هناك ما يثبت ذلك أكثر من مجرد كلمته؟ يمكن استبيان ذلك على حد اعتقاده. انتقل عقله للتركيز على السيدة هامبلباي.

ما الذى كانت تعنيه بإصرارها على ترديد عبارة: "هناك الكثير من الشر في...؟"

هل هي فقط متوترة ومثقلة بالهموم بفعل صدمة وفاة زوجها؟ أم أن هناك شيئاً آخر؟ هل تعلم شيئاً ربما؟ شيئاً كان يعلمه دكتور هامبلباي قبل وفاته؟

قال لوك لنفسه: "لا بد أن أتحرى عن هذا الأمر، لا بد من هذا".

وقد نجح بقوة عزمته أن ينأى بعقله عن التفكير في النزال الذى نشب بينه وبين بريدجيت.

### الفصل ١٣

## السيدة وينفليت تتحدث

في صباح اليوم التالي توصل لوك إلى قرار؛ فقد شعر أنه تقدم إلى أقصى حد يمكنه التقدم إليه باستخدام الأسئلة غير المباشرة، فإن أجلاً أم عاجلاً سيضطر لأن يكشف عن طبيعة مهمته، وقد شعر أن الوقت قد حان للكف عن الادعاء بأنه يؤلف كتاباً، وللكشف عن الهدف الحقيقي الذي أتى به إلى ويتشود.

وسعيًا لتنفيذ هذه الخطة قرر زيارة هورونيا وينفليت؛ فهو لم ينهر فقط من حصافة عقل هذه المرأة متوسطة العمر وحكمتها ولكنه تخيل أنها ربما تعرف معلومات قد تساعده. إنه يؤمن بأنها أخبرته بما تعرفه، لكنه أراد تحفيزها كي تخبره بما قد تكون حداثته. فكان يعتقد اعتقاداً قوياً أن تخمينات السيدة وينفليت ربما تكون قريبة من الحقيقة بشكل كبير. ذهب إليها مباشرة بعد خروجه من دار العبادة.

أن يوهن ميرزا لوجوده. واصلت السيدة وينفليت حديثها بنبرة إعجاب رقيقة في صوتها.

"إن بريديت عملية للغاية. كفى للغاية! أخشى أنني لو كنت أملك زمام الأمور ما كنت لأثق في حكمي. أعني أنك إذا لم تكن واثقاً من أمر ما مائة بالمائة فإنه يضحي من الصعب أن تتخذ إجراء بشأنه."

"ولكنك واثقة، ألسنت كذلك؟"

قالت السيدة وينفليت برزانة:

"في الواقع لا يا سيد فيتزوليم، إنه ليس أمراً يمكن أن يكون المرء واثقاً بشأنه! أعني ربما يكون مجرد خيال؛ فحينما يعيش المرء بمفرده دون أن يكون معه من يستشير أو يتحدث إليه، فإنه قد يصبح بسهولة ميلودرامياً ويتخيل أشياء ليس لها أساس من الصحة."

وافقها لوك على الفور على رأيها هذا مدركاً صحته ولكنه أضاف بركة:

"ولكنك واثقة داخل عقلك؟"

أبدت السيدة وينفليت بعض التردد حتى في الإجابة عن هذا السؤال.

احتجت قائلة: "إننا لا نمارس لعبة المقاصد المتعارضة كما أتمنى؟"

ابتسم لوك.

"أنت تريدين أن أوضح مقصدي مباشرة؟ حسناً. هل تعتقدين أن أمي جيبس قد قتلت؟"

استقبلته السيدة وينفليت بشكل واقعي وعملي دون إظهار أية أمارات دهشة لزيارته، وحينما جلست إلى جواره وهي تشابك أصابعها وتنظر إليه بعينها الذكيتين اللتين تشبهان عيني عذرة جميلتين، وجد بعض الصعوبة في الإعلان عن سبب الزيارة.

قال: "أعتقد أنك قد حدثت يا ميدة وينفليت أنني لم أت لهذه البلدة لمجرد تأليف كتاب عن العادات المحلية؟"

أومأت السيدة وينفليت برأسها وواصلت الإنصات.

لكن لوك لم يرغب في إخبارها بالحقيقة كاملة؛ فربما تكون السيدة وينفليت حذرة - فهي قد أمدته بالانطباع أنها تتمتع بهذه الصفة - ولكنها كانت إحدى السيدات المعجّز واللاتي شعر لوك أنه لن يستطيع الوثوق في قدرتها على مقاومة إغراء الإقضاء بقصة مثيرة لواحد أو اثنين من أصدقائها الحميمين. لهذا فقد عقد العزم على أن يسلك طريقاً وسطاً.

"أنا هنا للتحقيق في ملابسات موت تلك الفتاة المسكينة أمي جيبس".

قالت السيدة وينفليت:

"أتمنى أن الشرطة قد أرسلتك؟"

أضاف بعض مرح: "لا، أنا لست من رجال البوليس السري."

أنا من يعرف في الروايات بالمحقق الخاص."

"نعم. إذن بريديت كونواي هي التي أتت بك إلى هنا؟"

تردد لوك للحظة، ثم قرر أن يدعها تتقدم هذا، فبدون الإتيان على ذكر قصة السيدة بنكرتون كاملة، كان من الصعب

"من لديه دافع لقتلها؟"

قالت السيدة وينفليت بيضاء:

"لقد تشاجرت على ما أعتقد مع صديقها الشاب الذي يعمل في ورشة التصليح جيم هارفي - وهو شاب مستقيم وناضج. أنا أعرف أننا نقرأ كثيرًا في الصحف عن شباب يعتدون على صديقاتهن ويفعلون بهن أشياء بغضه مثل هذه، ولكني لا أعتقد أن بإمكان جيم اقتراف شيء مثل هذا".

أوما لوك.

واصلت السيدة وينفليت كلامها.

"ملاوة على هذا، فلا يمكنني أن أصدق أنه قد يفعلها بهذه الطريقة. يتسلق إلى نافذتها ويستبدل بزجاجة شراب السعال زجاجة سم، أعني أن هذا لا يبدو -".

أنقذها لوك حينما ترددت.

"إن هذا ليس تصرفًا يصدر عن حبيب غاضب؟ أوافقك الرأي، في رأينا يمكننا استبعاد جيم هارفي من قائمة المشتبه بهم على الفور. لقد قتلت أمي (فتحن متفقدان على أنها قتلت) على يد شخص أراد إبعادها عن الطريق، والذي خطط للجريمة بحرص حتى تبدو أنها حادث. الآن هل لديك أية فكرة أو حدس عن من يمكن أن يكون هذا الشخص؟"

قالت السيدة وينفليت:

"لا، ليس لدى أدنى فكرة في الواقع".

"أو أوثقة؟"

"نعم".

أجففت السيدة وينفليت قليلًا من فجاجة اللفة، وقالت:

"أنا لست مرتاحة على الإطلاق للملابسات موتها. لست مرتاحة على الإطلاق. الأمر برمته غير مقنع في رأيي".

قال لوك بصبر:

"أنت لا تمتددين أن موتها كان طبيعيًا؟".

"لا".

"أنت لا تمتددين أنه كان حادثًا؟"

"يبدو ذلك بعيد الاحتمال. إن هناك العديد -".

قاطعتها لوك.

"أنت لا تمتددين أنه كان انتحارًا؟"

"بالطبع لا".

قال لوك برفق: "إذن، أنت تمتددين أنها كانت جريمة

قتل؟"

ترددت السيدة وينفليت وبلعت ريقها وقالت بشجاعة:

"نعم، أعتقد هذا".

"جيد. الآن يمكننا المضي قدمًا في حديثنا".

شرحت السيدة وينفليت في قلق: "ولكنني لا أملك أي دليل

أبنى عليه مثل هذا الاعتقاد. إنه مجرد فكرة".

"وليكن، إن هذا حوار خاص. إننا فقط نتحدث عما نعتقد

ونشك فيه. نحن نعتقد أن أمي جيبس قتلت، فمن تمتددين أنه

قتلها؟"

هزت السيدة وينفليت رأسها، كانت تبدو منزوعة للفاعية.

قال لوك وهو يراقبها:

أجاثا كريستي

قال: "فى الواقع الأمر أسهل مما يبدو، وكل ما تحتاجين إليه هو بعض القوة المضلية. لم تكن هناك أية آثار على الإطار أو بالخارج؟".

هزت السيدة وينفليت رأسها.

"لا أعتقد هذا، بالطبع تسلق الشرطى هذا المكان".

"إذن فلو كانت هناك أية آثار فستكون خاصة به. يا لها من طريقة تساعد بها الشرطة المجرم! حسنًا، هذا ما حدث".

قادت السيدة وينفليت ثانية إلى داخل المنزل.

سأل: "هل كانت أمى جيبس تخط فى النوم بعمق؟".

قالت السيدة وينفليت بجدّة:

"كان من الصعب للغاية إيقاظها فى الصباح. فى بعض الأحيان كنت أظل أطرق وأطرق وأنادى عليها كثيرًا قبل أن تجيب، ولكن على أية حال يا سيد فينزويليم، هناك هذا المثل الذى يقول إنه ليس هناك من هو أصم بقدر ذلك الشخص الذى لا يريد أن يسمع!".

قال لوك: "هذا صحيح، الآن يا سيدة وينفليت نأتى إلى سؤال الدافع. ولنبدأ بأوضح الدوافع، هل تمتددين أنه كان هناك أى شيء بين هذا المدعو إيلسورثى والفتاة؟"، أضاف بسرعة: "وأنا لا أطلب سوى رأيك فى الأمر، مجرد رأى".

"إن كان مجرد رأى، فأعتقد أن إجابتي ستكون نعم".

أومأ لوك.

"فى رأيك، هل من الممكن أن تكون الفتاة أمى قد تورطت فى موضوع ابتزاز؟".

نظر إليها لوك بتمعن، وقد شعر أن إنكارها هذا كان زائفًا. واصل كلامه قائلاً:

"لا تعلمين أى دافع لقتلها؟".

"لا أعرف دافعًا من أى نوع".

كان هذا أكثر تأكيدًا.

"هل عملت تلك الفتاة فى كثير من المنازل فى ويشوود؟".

"ظلت تعمل لدى آل هورتون طوال عام قبل أن تنتقل للعمل لدى اللورد وينفيلد".

لخص لوك بسرعة.

"الأمر على هذا النحو إذن. أراد أحدهم إبعاد هذه الفتاة عن الطريق. من خلال الحقائق المتوافرة لدينا نفترض أولاً أن الجاني هورجل عتيق الطراز إلى حد ما (حيث يعكس امتلاكه لطلاء القبعات هذه الحقيقة)، وثانيًا أنه رجل رياضى بما أنه لابد أن يكون قد تسلق خارج المنزل حتى ناهضة الفتاة. أنت توافقيننى على هذه الآراء؟".

قالت السيدة وينفليت: "بالتأكيد".

"هل تمانعين إن خرجت وجريت بنفسى؟".

"على الإطلاق. أعتقد أنها فكرة سيّدة للغاية".

قادت عبر الباب الجانبى ومنه إلى خلف المنزل فى الفناء الخلفى. نجح لوك فى الوصول إلى السطح الخارجى للمنزل دون كثير من العناء. ومن هناك تمكن بسهولة من رفع إطار ناهضة غرفة الفتاة وببذل بعض الجهد دخل الغرفة. وبعد مرور بضع دقائق انضم مجددًا للسيدة وينفليت بالمر بالأفضل وهو يسمح يديه بمتدليل.

"فى رأى، أعتقد أن هذا محتمل".

"هل تنامى إلى معرفتك أنها كانت بحوزتها مبلغ كبير من المال عند موتها؟"

فكرت السيدة وينفليت.

"لا أعتقد هذا، لو كان بحوزتها أى مبلغ من المال فإننى أعتقد أننى لا بد أن أكون قد عرفت بهذا".

"وهى لم تبدخ فى الإنفاق قبل موتها؟"

"لا أعتقد هذا".

"هذا يدحض نظرية الابتزاز إذن؛ فضحية الابتزاز عادة ما يدفع مرة قبل أن يقرر انتهاج تصرف طائش، وهناك نظرية أخرى، ربما كانت الفتاة تعرف شيئاً".

"أى شيء؟"

"ربما كانت تملك معلومة تشكل خطراً على أحد السكان هنا فى ويتشود. دعينا نتخيل حالة افتراضية بحتة. لقد عملت فى العديد من المنازل هنا، نفترض أنها عرفت شيئاً من شأنه تدمير شخص مثلاً مثل أبوت مهنيًا".

"السيد أبوت؟"

قال لوك بسرعة:

"أو ربما يكون هناك تصرف ينم عن الإهمال أو قلة الحرفية أقدم عليه دكتور توماس".

قالت السيدة وينفليت: "ولكن بالتأكيد..."، ثم سكنت.

واصل لوك كلامه:

"أمى جيبس كانت تعمل خادمة فى منزل آل هورتون حينما توفيت السيدة هورتون".

ساد الصمت لحظة قبل أن تقول السيدة وينفليت:

"هلا أخبرتنى يا سيد فيتزوليم لم تقم آل هورتون فى هذا الأمر؟ لقد ماتت السيدة هورتون منذ أكثر من عام الآن".

"نعم، وكانت الفتاة أمى تعمل هناك فى ذلك الحين".

"نعم، ولكن ما دخل آل هورتون بالأمر؟"

"لا أعلم، كنت فقط أساءل. إن السيدة هورتون ماتت إثر الإصابة بالتهاب المعدة، أليس كذلك؟"

"بلى".

"هل كان موتها غير متوقع؟"

قالت السيدة وينفليت ببطء:

"كان موتها غير متوقع بالنسبة لى، كما تعلم. فقد تحسنت كثيراً. بدت فى طريقها إلى الشفاء. وفجأة أصيبت بانتكاسة وماتت".

"هل كان دكتور توماس مندهشاً؟"

"لا أعلم. أعتقد هذا".

"والممرضات، ماذا كان رأيهن؟"

قالت السيدة وينفليت: "من واقع خبرتى، فإن ممرضات المستشفيات لا يندهشن أبداً حينما تتخذ أى حالة منحى إلى الأسوأ إنه الشفاء هو الذى يذهلهن".

أصر لوك: "لكن موتها أدهشك؟"

"نعم، لقد كنت بصحتها فى اليوم السابق لوفاتها وبدت أفضل حالاً، فكانت تتحدث وكانت مرحة للغاية".

"ماذا كان رأيها عن مرضها؟"

"كانت تشكو من أن الممرضات برغبن فى سمها. وهى قامت بالفعل بطرد إحدى الممرضات، ولكنها قالت إن الاثنتين المتبقيتين كانتا فى نفس السوء".

"أعتقد أنك لم تهتم كثيراً لادعاءاتها تلك؟"

"حسناً، لا. لقد ظننت أنها جزء من مرضها. وهى كانت امرأة كثيرة الشكوك. وربما لا يجب على أن أقول هذا. لكنها كانت تحب أن تجعل نفسها تبدو مهمة. لم يفهم أى طبيب حالها. والذى لم تكن بسيطة: فهى إما كانت مصابة بمرض غامض، أو كان أحدهم يحاول "إبادةا عن الطريق".

حاول لوك أن يتحدث بنبرة صوت طبيعية.

"وهى لم تشك فى أنه ربما يكون زوجها هو من يفعل هذا بها؟"

"لا، لا. هذه الفكرة لم تخاطر لها على بال قط".

سكتت السيدة وينفليت لحظة، ثم سألت فى هدوء:

"هل هذا هو ما تعتقده؟"

قال لوك ببطء:

"لقد فعل الأزواج هذا من قبل ونجوا بفعلتهم. والسيدة هورتون كانت امرأة يرغب أى رجل بكل المقاييس فى التخلص منها! وأنا أعرف أنه حصل على الكثير من المال حينما ماتت".

"نعم، هذا صحيح".

"ما هو رأيك يا سيدة وينفليت؟"

"هل تريد رأيي؟"

"نعم، رأيك لا غير".

قالت السيدة وينفليت بهدوء وترو:

"فى رأيي، كان الرائد هورتون مخلصاً لزوجته ويحبها ولم يكن ليحلم قط بفعل شيء كهذا".

نظر إليها لوك وتلقى منها تلك النظرة الودية فى المقابل. هذه النظرة التى لم تضطرب أو ترتعش.

قال: "حسناً، أعتقد أنك محقة؛ فأنت على الأرجح كنت متعريفين إن كان الأمر غير ذلك".

ابتسمت السيدة وينفليت.

"نحن النساء قويات الملاحظة للغاية، ألا تعتقد هذا؟"

"بالطبع. هل كانت السيدة بنكرتون لتتفق معك فى هذا الرأى؟"

"لا أعتقد أننى سبق لى أن سمعت لافينيا تعبر عن رأيها بخصوص هذا الأمر".

"ما كان رأيها فى أمى جيبس؟"

قطبت السيدة وينفليت وكأنها تفكر.

"من الصعب قول هذا، كان لدى لافينيا فكرة مثيرة للفضول للغاية".

"أى فكرة؟"

"كانت تعتقد أن ثمة شيئاً غريباً يجرى هنا فى ويتشود".

"كانت تعتقد على سبيل المثال أن أحدهم دفع تومى بيرس

خارج النافذة؟"

"لا أعرف، إنها لم تخبرنى".

قال لوك بحماسة: "ولكن يمكنك أن تخمنى، أنت تملكين فكرة عن كانت قصده".

هزت السيدة وينفليت رأسها فى تردد.

"إذن أخبرينى".

ولكن السيدة هزت رأسها بقوة.

"فى الواقع لا. أنت تطلب منى القيام بشيء غير لائق تمامًا! أنت تطلب منى أن أخمن من هو الشخص الذى ربما - وأقول ربما - كان فى خلد صديقة هى الآن ميتة، أنا لا أستطيع توجيه الاتهام إلى أحد بهذه الطريقة".

"إنه لن يكون اتهامًا - بل مجرد رأى".

ولكن السيدة وينفليت كانت حازمة بشكل غير متوقع.

قالت: "ليس لدى شيء لأقوله. لا شيء بالمرّة. إن لافينيا لم تقل لى شيئًا فى الواقع. ربما أعتقد أنها كانت تراودها فكرة - ولكن ربما أكون مخطئة تمامًا، وفى ذلك الحين يمكن أن أضلك وقد يترتب على ذلك عواقب وخيمة. سيكون هذا تصرفًا شريزًا وغير عادل من جانبى أن أذكر اسمًا. وربما أكون مخطئة تمامًا فى الواقع أنا على الأرجح مخطئة".

زمت السيدة وينفليت شفيتها بحزم ونظرت إلى لوك بقوة عزم تشويها الرزاة.

كان لوك يعرف كيف يتقبل الهزيمة حينما يقابلها.

أدرك أن استقامة السيدة وينفليت وشيئًا آخر أكثر غموضًا لم يستطع التعرف عليه كانا يعترضان طريقه.

حدقت إليه السيدة وينفليت فى دهشة.

"كيف علمت هذا يا سيد فيتزوليم؟"

"أخبرتني بهذا. ليس بهذه الكلمات ولكنها أمدتني بفكرة عامة".

انكأت السيدة وينفليت للأمام وقد تورد وجهها من فرط الدهشة.

"متى كان هذا يا سيد فيتزوليم؟"

قال لوك بهدوء: "فى يوم مقتلها. لقد سافرنا معًا إلى لندن".

"ماذا قالت لك بالضبط؟"

"أخبرتني أنه كانت هناك الكثير من حالات الوفاة فى وينشود، وقد أتت على ذكر أمى جيبس وتومى بيرس، وهذا الرجل المدعو كارتر، ولقد أخبرتني كذلك أن دكتور هامبلباى سيكون التالي".

أومات السيدة وينفليت ببطء.

"ألم تخبرك عن وراء هذه الجرائم؟"

قال لوك بتجهم: "رجل ذو نظرة مينة فى عينيه. نظرة لا يمكن أن يخطئها أحد، وفقًا لكلامها. وقد رأت هذه النظرة فى عينيه حينما كان يتحدث إلى هامبلباى. ولهذا قالت إن هامبلباى سيكون هو الضحية التالية".

همست السيدة وينفليت: "وقد كان. يا إلهى!".

انكأت للخلف. كان بعينيها نظرة ذهول.

قال لوك: "من هو هذا الرجل، بربك يا سيدة وينفليت؟

أنت تعرفين من هو. لابد أنك تعرفين".

ثم قالت على نحو غير متوقع: "هل تعلم أنتى كنت مخطوبة له فى وقت من الأوقات".

حذق إليها لوك فى عدم تصديق، كانت تومئ برأسها وتبتسم فى حزن.

"منذ وقت طويل؛ كان شاباً واعداً، وقد ساعدته على تثقيف وتعليم نفسه، وكنت فخورة للغاية بروحه وعزمه على النجاح".

تهدت مرة أخرى.

"كانت خطوبتنا بمثابة فضيحة لعائلتى بالطبع؛ فالفرق الطبقيّة فى ذلك الوقت كانت قوية للغاية"، ثم أضافت بعد دقيقة أو اثنتين: "كنت دوماً أتتبع عمله باهتمام بالغ، وأعتقد أن عائلتى كانت مخطئة".

بعد ذلك قالت له وداعاً بإيماءة وهى تبتسم، وعادت إلى داخل المنزل.

حاول لوك جمع أفكاره، كان يعتقد أن السيدة وينفليت هى سيدة "مجهوز"، ولكنه أدرك الآن أنها مازالت تحت الستين. لا بد أن يكون السيد ويتفيلد قد تجاوز الخمسين، ربما تكون هى أكبر منه بعام أو اثنين.

وهو سوف يتزوج من بريديجيت، بريديجيت التى لاتزال فى الثامنة والعشرين والتى كانت شابة ومفعمة بالحياة.

قال لوك: "يا إلهي! من فضلك لا تعاود التفكير فى هذا الأمر. لا تنس مهمتك، ركز فى مهمتك".

تقبل الهزيمة بروح رياضية ونهض ليقول وداعاً. كان بنوى أن يماود الحديث عن هذا الأمر مجدداً، ولكنه لم يدع سلوكه يوضح هذا.

قال: "لا بد أن تفعل ما تعتقدين أنه صحيح. شكراً للمساعدة التى قدمتها لى".

بدت السيدة وينفليت أهل ثقة بنفسها بعض الشيء أثناء اصطحابها له إلى الباب.

قالت: "أتمنى ألا تمتدّد.."، ثم غيرت صياغة العبارة لتقول: "إن كان هناك شيء يمكننى القيام به لمساعدتك، من فضلك أخطنى علماً بذلك".

"سوف أفعل. إنك لن تخبرى أحداً عن حوارنا هذا، أليس كذلك؟".

"بالطبع لا، لن أنطق بكلمة لأحد".

تمنى لوك أن تكون صادقة.

قالت السيدة وينفليت: "أبلغ حبيبى إلى بريديجيت، إنها فتاة جميلة، أليس كذلك؟ وذكية أيضاً. أتمنى، أتمنى أن تنعم بالسعادة".

وبينما كان لوك يهم بطرح سؤال أضافت:

"أعنى، أمر زوجها من اللورد ويتفيلد. إن فارق السن بينهما كبير".

"نعم، هذا صحيح".

تهدت السيدة وينفليت.

## الفصل ١٤

### تأملات نوك

كانت السيدة تشرش عمة أمى جيبس قتلًا امرأة بفيضة؛  
فأنفها الحاد وعيناهما المخادعتان ولسانها السليط هي أشياء  
بثت جميعًا في نوك شعورًا بالفتيان.

لذا فقد تعامل معها بطريقة جافة وجدها ناجحة على نحو  
غير متوقع.

قال لها: "ما سوف تقومين به هو الإجابة عن أسئلتى بأقصى  
استطاعتك. وإن قمت بإخفاء شيء أو تلاعبت بالحقيقة، فإن  
المواقف قد تكون وخيمة بالنسبة لك."

"حاضر يا سيدي، أفهم هذا. أنا على استعداد لأن أخبرك  
بأي شيء؛ فأنا لم يسبق لي أن راوغت البوليس."

قال نوك: "وأنت لا تريدين هذا، حسنًا، إن فعلت ما أخبرتك  
به فلن تتعرضي لأذى. أود أن أعرف كل شيء عن ابنة أخيك  
الراحلة. من كانوا أصدقاءها؟ كم من المال كانت تملك؟ أى شيء  
قالت وكان غريبًا بعض الشيء. ستبدأ بأصدقائها. من هم؟"

نظرت إليه السيدة تشرش بمكر من ركن عينها البنيضة.  
"هل تقصد من الرجال يا سيدى؟"

"هل كانت لها أية صديقات؟"

"حسناً، قليلات للغاية، بالطبع كانت هناك الفتيات اللاتي  
تعمل معهن، ولكن أمى لم تمتد توطيد علاقتها بهن. فأنت  
تعلم—"

"كانت تفضل الجنس الخشن، استمرى. أخبرنى عن  
هذا؟"

"فى الواقع كان صديقها هو جيم هارفى الذى يعمل فى  
ورشة الإصلاح يا سيدى، وهو شاب لطيف ومستقيم، وقد قلت  
لها الكثير من المرات: "لن تجد أفضل منه"."

قاطمها لوك:

"وماذا عن الآخرين؟"

نظرت إليه مرة أخرى بمكر.

"أعتقد أنك تقصد بهذا الرجل صاحب المحل المثير

للفضول؟ أنا لم أحبه، أقول لك هذا مباشرة يا سيدى، طالما  
كنت سيدة محترمة وأمقت الحماقات؛ ولكن لا جدوى من  
الحديث مع فتيات هذه الأيام. إنهن يسكنن طريقتن الخاص.  
وهن عادة ما يندمن بعد ذلك."

سأل لوك بفضاضة: "وهل ندمت أمى بعد ذلك؟"

"لا يا سيدى. لا أعتقد هذا."

"لقد ذهبت لاستشارة دكتور توماس فى يوم وفاتها. أنه  
يكن هذا هو السبب؟"

"لا يا سيدى، أنا واثقة من أنه لم يكن هو. أقسم لك على  
هذا. كانت أمى مريضة ومعتلة المزاج، ولكنها كانت فقط  
مصابة بسعال سيئ ونزلة برد. لم يكن الأمر ما تمتد. أنا  
واثقة من هذا يا سيدى."

"سوف أصدق ما تقولينه. إلى أى مدى تطورت العلاقة  
بينها وبين إيلسورثى؟"

نظرت إليه السيدة تشرش شزراً.

"لا أعرف يا سيدى؛ فأمى لم تكن لتبوح لى."

قال لوك بفضاضة:

"ولكنهما تماديا فى علاقتهما؟"

قالت السيدة تشرش برقة:

"هذا الرجل ذو سمعة سيئة للغاية هنا يا سيدى، وله الكثير  
من الأعمال الشائنة، وله أصدقاء يأتون من المدينة وهم ذوو  
تصرفات غريبة، هناك فى مرج الساحرات فى منتصف  
الليل."

"وهل كانت أمى تذهب معهم؟"

"ذهبت مرة واحدة على ما أعتقد يا سيدى. ظلت هناك  
طوال الليل ولكن سيدها علم بالأمر (كانت تعمل بالمانور فى  
ذلك الحين) وتحدث إليها بعدة، فردت عليه بوقاحة بدورها  
مما جملة يطردنها وهو كان متوقفاً بالطبع."

"هل تحدثت إليك بشأن ما كان يجرى فى الأماكن التي

ذهبت إليها؟"

هزت السيدة تشرش رأسها.

"لا يا سيدى: لقد كانت لها حياتها الخاصة التى لا تشرك بها أحداً".

"كانت تعمل لدى الرائد هورتون وزوجته لفترة، أليس كذلك؟"

"بلى يا سيدى، طوال عام تقريباً".

"لماذا تركتهما؟"

"لأنها عثرت على وظيفة أفضل؛ فكان هناك مكان شاغر فى المانور، وبالطبع الأجور أفضل هناك".

أوماً لوك متفهماً.

سأل: "كانت تعمل لدى آل هورتون عند وفاة السيدة هورتون؟"

"نعم يا سيدى".

"كانت تتذمر كثيراً فى هذه الفترة . لوجود اثنين من الممرضات فى المنزل، وكل هذا العمل الإضافى الذى تطلبه منها الممرضات وعمل الصوانى وما إلى ذلك".

"إنها لم تعمل لدى السيد أبوت المحامى مطلقاً؟"

"بلى يا سيدى. إن السيد أبوت لديه رجل وزوجته يقومان بخدمته، ولقد ذهبت أماً مرة إلى مكتبه ولكننى لا أعرف السبب".

خزن لوك هذه المعلومة فى ذهنه لاحتمال أهميتها، وبما أن السيدة تشرش لم تكن تعرف المزيد عن هذا الأمر، فلم يواصل لوك التحقيق بشأنه.

"هل كان لها أى أصدقاء آخرين من الرجال فى البلدة".

"لا أحد مهم".

"بربك يا سيدة تشرش. أنا أريد الحقيقة، تذكرى هذا".

"لم يكن رجلاً نبيلاً يا سيدى، بل أبعد ما يكون عن هذا، كانت تحط من قدر نفسها، هذا هو ما أخبرتها به".

"هلا تحدثت بشكل أكثر وضوحاً يا سيدة تشرش؟"

"هل سمعت عن ملهى سفن ستارز يا سيدى؟ ليس مكاناً محترماً، ومواجهه هارى كارتر، هذا الرجل الحقير الذى كان ثملاً معظم الوقت".

"كانت أماً صديقه؟"

"ذهبت فى تمشية بصحبته مرة أو مرتين، ولا أعتقد أن علاقتهما تعدت هذا، لا أعتقد هذا يا سيدى".

أوماً لوك بتمعن وغير الموضوع.

"هل تعرفين فتى صغيراً يدعى تومى بيرس؟"

"ماذا؟ ابن السيدة بيرس؟ بالطبع كنت أعرفه، لقد كان صبيّاً مؤذياً".

"هل كان يرى أماً كثيراً؟"

"لا يا سيدى، كانت أماً تدق رأسه على الفور إن حاول القيام بأى من الأعباء معها".

"هل كانت سعيدة فى عملها لدى السيدة وينفليت؟"

"كانت تجد العمل هناك مملاً بعض الشيء يا سيدى، ولم يكن الأجر مرتفعاً، ولكن بالطبع بعد طردها من منزل آش مانور لم يكن من السهل العثور على عمل آخر جيد".

"كان بإمكانها الرحيل على ما أعتقد؟"

"أتعنى إلى لندن؟"

"أو أى جزء آخر من البلاد؟"

هزت السيدة تشرش رأسها وقالت ببطء:

"لم ترغب أُمى فى ترك ويتشود . ليمر فى ظل ما كان

يحدث."

"ماذا تعنين بعبارة ما كان يحدث؟"

"أعنى فى ظل علاقتها بجيم والرجل فى متجر التحف."

أوماً لوك بتمعن . واصلت السيدة تشرش كلامها:

"إن السيدة ونفيلت هى سيدة لطيفة حقًا، ولكنها كانت

شديدة الحرص فيما يخص تنظيف النحاس والفضة ونفض

الغبار من فوق كل شيء وقلب المراتب، ولم يكن باستطاعة أُمى

التعامل مع التفاصيل الصغيرة باهتمام أكثر مما ينبغى، إن لم

تستطع إمتاع نفسها بطرق أخرى."

قال لوك بجفاف: "يمكننى تخيل هذا".

أدار لوك الأمور فى رأسه، ولم يجد أسئلة أخرى لطرحها.

كان واثقًا أنه استخلص من السيدة تشرش كل ما تعرفه، ولكنه

قرر شن هجمة تجريبية أخيرة.

"أعتقد أنك تعرفين السبب وراء كل هذه الأسئلة.

إن ملاسبات موت أُمى كانت غامضة بعض الشيء . نحن غير

مقتنعين أنه كان حادثًا، وإن لم يكن موتها حادثًا، فأنت تعلمين

ما كان إذن."

قالت السيدة تشرش بمتعة جامحة:

"جريمة قتل!"

"هذا صحيح. الآن إذا افترضنا أن ابنة أخيك قد قتلت،

نمن فى اعتقادك ربما يكون قد قتلها؟"

مسحت يديها فى مئزرها.

سألت بجديّة: "هل هناك احتمال أن تكون هناك مكافأة

لن يرشد البوليس؟"

قال لوك: "هذا محتمل".

مررت السيدة تشرش لمبانًا نهمًا على شفتيها الرقيعتين،

"أنا لا أعرف شيئًا قاطعًا، ولكن الرجل فى محل التحف هو

رجل غريب حقًا، هل تذكر قضية كاستور يا سيدى . وكيف

أنهم عثروا على أجزاء من الفتاة المسكينة فى كل مكان من

منزل كاستور القديم المكون من طابق واحد والذى يقع إلى

جوار البحر، وكيف أنهم وجدوا خمس أو ست فتيات أخريات

قام بخدمتهن مقتولات بنفس الطريقة، ربما كان هذا السيد

إيلسورثى أحد هؤلاء المغمومين؟"

"هذا هو رأيك، أليس كذلك؟"

"حسنًا، ربما يكون كذلك، أليس هذا صحيحًا؟"

اعترف لوك بأن هذا ربما يكون صحيحًا، ثم أضاف:

"هل كان السيد إيلسورثى متقنيًا عن البلدة يوم سباق

الديربى. هذا أمر غاية فى الأهمية."

حدقت إليه السيدة تشرش.

"سباق الديربى؟"

"نعم . كان هذا منذ أسبوعين، يوم الأربعاء."

هزت رأسها.

كان هناك أربعة مرشحين محتملين. عليه توخى الحذر عند التحقيق بشأن كل واحد فيهم وأعمال عقله. عليه أولاً دراسة تردد السيدة وينفليت، إنها امرأة حية الضمير ومتشككة. إنها تؤمن بأنها تعرف الشخص الذى كانت تشك به السيدة بنكرتون، ولكنها قالت إنها تطن ذلك لا أكثر. هناك احتمال أن تكون مخطئة.

من كان الشخص الذى تنصب شكوك السيدة بنكرتون عليه؟

إن السيدة وينفليت تخشى أن يؤذى أى تخمين تقوم به شخصاً بريئاً؛ لذا فإن الرجل الذى تشك به لا بد أن يكون ذا مكانة مرموقة، ويحوز على احترام وحب المجتمع. إذن هذا يستثنى تلقائياً إيلسورثى؛ فهو من الناحية العملية شخص غريب فى ويتشود يتمتع بسمعة سيئة. لم يصدق نوك هذا، إن كان إيلسورثى هو الشخص الذى يوجد فى ذهن السيدة وينفليت، فما كانت لتجد أى غضاضة فى ذكر اسمه. لذا، فيما يتعلق بالسيدة وينفليت، فإن إيلسورثى يكون مستبعداً.

والآن بالنسبة للآخرين، آمن نوك أن بإمكانه أن يستبعد كذلك الرائد هورتون. لقد دحضت السيدة وينفليت احتمال أن يكون هورتون قد سم زوجته؛ فإن كانت تشك فى ارتكابه لأية جريمة حدثت مؤخراً ما كانت لتصبح واثقة إلى هذه الدرجة من براءته من موت زوجته.

"أنا حقاً لا أعرف. إنه عادة ما يكون متفبباً فى يوم الأربعاء - فهو يذهب إلى البلدة كثيراً؛ فهو يفلق مبكراً فى يوم الأربعاء كما تعلم". قال نوك: "يطلق مبكراً".

ترك نوك السيدة تشرش بعد أن تجاهل تلميحاتها بأن وقتها شمين وأن من حقها بالتالى تقاضى تمويض مالى. وجد نفسه كارهاً للغاية للسيدة تشرش، وبالرغم من ذلك فإن الحوار الذى أجراه معها - رغم أنه لم يكن تويرياً للغاية - فقد أمده ببعض النقاط الصغيرة الموحية.

أدار المعلومات فى رأسه بحرص. أجل، مازال الأمر منحصرأ بين أربعة أشخاص: توماس، وآبوت، وهورتون، وإيلسورثى. وقد بدا أن سلوك السيدة وينفليت يؤكد هذا.

غضبها واعتراضها على ذكر اسم. بالطبع هذا يعنى. لا بد أنه يعنى. أن الشخص موقع الاشتباه ذو مكانة مرموقة فى ويتشود، شخص قد يؤذى مجرد التلميح باسمه إلى عواقب غير محمودة، وما يؤكد ذلك أيضاً عزم السيدة بنكرتون على نقل شكوكها إلى سكوتلاند يارد؛ فالبوليس المحلى ما كان ليصدق نظريتها.

فهى لم تكن تهمة موجهة إلى الجزار أو الخباز أو صانع الشمعدانات. ولم تكن تهمة موجهة لميكانيكى بسيط؛ فتوجيه تهمة القتل للشخص موقع الشك هو أمر خيالى، علاوة على ذلك فإنه خطير.

قاتل! في الوقت الراهن سوف أنظاها بأننى واثق من أنه القاتل. الآن سوف ندرس ضحاياها بترتيب تسلسلى. أولاً، السيدة هورتون. من الصعب إيجاد دافع يجعل إيلسورثى يقتل السيدة هورتون. ولكن كانت هناك وسيلة. حدثنى هورتون عن دواء ما أخذته منه زوجته وتعاقلته. يمكن أن يكون هذا الدواء هو مجرد زنيخ. لكن السؤال هو لماذا؟

وبالنسبة للآخرين. أمى جيبس. لماذا قتل إيلسورثى أمى جيبس؟ السبب الواضح. أصبحت مصدر إزعاج! هددت بفعل شيء رغم قطعها وعداً في البداية بحفظ سر ربما؟ أو أنها ساعدت في عريضة منتصف الليل؟ هل هددت بأن تتحدث؟ إن اللورد ويتفيلد يتمتع بنفوذ كبير في ويتشود، واللورد ويتفيلد وفقاً ليريديجيت. هو رجل شديد التمسك بالأخلاق؛ فربما كان لينقلب ضد إيلسورثى إن علم أن الأخير ينوى القيام بشيء فاحش. وهكذا تم التخلص من أمى. والطريقة المستخدمة في قتلها لم تكن سادية؛ فالطريقة المستخدمة في القتل تثبت ذلك.

من التالى. كارتير؟ لماذا كارتير؟ من غير المحتمل أنه يعرف بأمر عريضة منتصف الليل (أم أن أمى أخبرته؟). هل الابنة الجميلة متورطة بالأمر؟ هل كان إيلسورثى على علاقة بها؟ (لايد أن ألقى نظرة على لوسى كارتير). ربما كان فقط يسمي معاملة إيلسورثى، وإيلسورثى الماكر استاء لهذا، فإن كان قد ارتكب جريمة أو جرمينى قتل، فقد يصيح قاسى الفؤاد ويرتكب جرائم أخرى لسبب تافه للغاية.

هذا يترك لنا دكتور توماس والسيد أبوت؛ إذ كل منهما كان يتواظر به المواصفات الموضوعية، فهما رجلان صاحبيا مراكز مرموقة ولم يسبق لأحد أن اتهمهما بفعل أى شيء مخز أو مشين؛ فهما بوجه عام يحظيان بشعبية ومحبة ومروءة بأنهما نزيهان ومستقيمان.

انتقل لوك إلى نقطة أخرى. هل فى إمكانه هو. أن يستبعد إيلسورثى وهورتون؟ هز رأسه على الفور. إن الأمر ليس بهذه البساطة. إن السيدة بنكرتون كانت تعرف، تعرف حقاً. من كان هذا الرجل. والإثبات الأول لذلك هو موتها والإثبات الثانى هو موت دكتور هاملباي. ولكن السيدة بنكرتون لم يسبق لها أن ذكرت اسماً لهورونيا ويتفيلت. ولهذا، فبالرغم من أن السيدة ويتفيلت تظن أنها تعلم من كان فى ذهن السيدة بنكرتون، إلا أنها قد تكون مخطئة. فنحن كثيراً ما نعرف ما يفكر به الآخرون. ولكن فى بعض الأحيان نكتشف أننا لم تكن نعرف. وأننا ارتكبنا فى الواقع خطأ جسيماً!

ولهذا سوف نبقى المتهمين الأربعة فى مكانهم. إن السيدة بنكرتون ماتت وليس فى وسعها إسداؤنا مزيداً من المساعدة. كان على لوك الآن القيام بما قام به أنفاً، فى اليوم التالى لوصوله إلى ويتشود، دراسة الأدلة وتمحيص الاحتمالات.

بدأ بإيلسورثى. ظاهرياً، إيلسورثى هو المشتبه به الأول؛ فهو غريب الأطوار ومنحرف. ربما يكون قاتلاً نهماً.

قال لوك لنفسه: "دعنا نمض فى هذا السبيل. ندين كل شخص بدوره. إيلسورثى على سبيل المثال. دعنا نفترض أنه

بالطبع . رجل لئن يشك به أحد . وإيلسورثى هو من الرجال الذين تشك بهم على الفور . لا ، إن الانطباع الذى تشكل لدى كان لرجل أشبه بدكتور توماس .

الآن توماس . ماذا عن توماس ؟ لقد مسحته من قائمة المشتبه بهم بعد أن تحدثت إليه قليلاً . شاب لطيف ومتواضع . ولكن ما توصلت إليه حتى الآن عن هذا القاتل . إلا إذا كنت مخطئاً . يؤكد أنه رجل لطيف ومتواضع ؛ فهو آخر شخص يمكن أن تعتقد أنه قاتل . وهى الموصفات التى تتسحب بالطبع على دكتور توماس .

الآن ، دعنا نعد الكرة ثانية . لماذا قتل دكتور توماس أمى جيبس ؟ فى الواقع ، يبدو ذلك احتمالاً بعيداً ولكنها ذهبت لرؤيته فى هذا اليوم . وهو الذى أعطاهما شراب السعال . ماذا لو كان هذا حامض الأكساليك . كان هذا ليصبح بسيطاً للغاية وذلكياً أتساءل من الذى تم استدعاؤه حينما وجدت مسمومة . هامبلباى أم توماس ؟ لو كان توماس فربما يكون قد أتى وهى جيبه زجاجة طلاء قبعات قديمة ، والتى وضعها دون أن يراه أحد على الطاولة . وأخذ بعد ذلك الزجاجة ليعمل على تحليلهما شئ من هذا القبيل . يمكنك القيام بذلك إن كنت ذكياً بما فيه الكفاية !

تومى بيرس ؟ مرة أخرى لا أجد دافعاً محتملاً . تلك هى الصعوبة التى أجدها مع دكتور توماس . الدافع . ليس هناك حتى دافع جنونى ونفس الشئ بالنسبة لكارتير . لماذا قد يرغب دكتور توماس فى التخلص من كارتير ؟ يمكن للمرء فقط

الآن تومى بيرس . لماذا قتل إيلسورثى تومى بيرس ؟ هذا سهل . إن تومى قدم المساعدة فى ملقس ليلى من نوع ما . هدد تومى بالتحدث عن هذا الأمر ، وربما كان تومى يتحدث عن هذا الأمر . فعل هذا ليخرس تومى .

دكتور هامبلباى . لماذا قتل إيلسورثى دكتور هامبلباى ؟ هذا السؤال هو أسهل الأسئلة جميعاً كان هامبلباى طبيباً ولاحظ أن إيلسورثى ليس شخصاً متزناً . وربما كان على وشك فعل شئ إزاء هذا . لذا تم الحكم على هامبلباى بالإعدام . لكن طريقة القتل تمثل مشكلة . كيف رتب إيلسورثى مسألة موت هامبلباى بمرض تسمم الدم ؟ أم أن هامبلباى مات لسبب آخر ؟ هل الإصبع المسمم هو مجرد مصادفة ؟

أخيراً . السيدة بنكرتون . يوم الأربعاء هو يوم الإغلاق المبكر وربما يكون إيلسورثى قد سافر إلى المدينة فى هذا اليوم . هل لديه سيارة ؟ لم يسبق لى أن رأيته داخل واحدة ، ولكن ليس هذا إثباتاً لأى شئ . كان يعلم أنها تشك به ولم يكن ينوى المخاطرة وانتظار عدم تصديق سكوتلاند يارد لقصتها . ربما كانوا يعرفون شيئاً عنه بالفعل ؟

هذه هى القضية ضد إيلسورثى الآن ما الدليل الذى يثبت براءته ؟ حسناً . أولاً إنه حتماً ليس الرجل الذى تظن السيدة وينفليت أن السيدة بنكرتون كانت تقصده . ثانياً ، إنه لا يتماثل مع الانطباع الغامض الذى كوئته ؛ فحينما كانت تتحدث تكونت فى خيالى صورة رجل . والذى لم يكن يشبه فى شئ إيلسورثى . إن الانطباع الذى ولّدته لدى كان لرجل عادى للغاية . ظاهرياً

هل هناك شيء آخر؟ نعم، شيء واحد فقط، النظرة التي رمقني بها حينما كنت أهم بالرحيل من عيادته في هذا اليوم. نظرة تمال وتكبر، ابتسامة رجل قادمي بثقة عبر الحديقة وهو يعلم أنه فعل ذلك لتوه".

تهدد لوك وهز رأسه ومضى قدماً في تخميناته.

"أبوت؟ إنه من النوعية المناسبة كذلك، طبعي وثرى ويحظى بالاحترام وما إلى ذلك. وهو مغرور أيضاً وواثق من نفسه. والقتلة عادة ما يكونون كذلك! فهم معتمدون بأنفسهم للغاية! ويظنون دوماً أنهم سيفلتون بفعلتهم، وقد زارته آمي جيبس مرة، لماذا؟ لماذا أرادت رؤيته؟ لتحصل منه على نصيحة قانونية؟ لماذا؟ أم أنه كان أمراً شخصياً؟ حكّت لى السيدة بيرس عن رسالة من سيدة رأها ابنها تومي. هل كانت هذه الرسالة من آمي جيبس؟ أم أنها رسالة من السيدة هورتون. رسالة ربما وقعت في يد آمي جيبس؟ من غيرهما من الممكن أن تكتب رسالة لأبوت عن أمر شديد الخصوصية لدرجة تجعله يفقد أعصابه حينما يطلع عليه الصبي عن غير عمد؟ ما الشيء الذي يمكن أن يربطه بأمي جيبس أيضاً؟ طلاء القبعات؟ نعم، إنه رجل عتيق الطراز حقاً. فرجال مثل أبوت عادة ما يكونون رجميين فيما يتعلق بالأشياء الخاصة بالنساء. الطراز القديم من المغالزين! تومي بيرس؟ العلاقة واضحة. مسألة الخطاب (لا بد أنه كان خطاباً غاية في الحساسية). كارتر؟ حسناً، نشب بينهما شجار حول ابنة كارتر؛ فأبوت لن يتقبل أن يحمل أحد من شأنه. وهذا الحقيقير متدنى الذكاء كارتر واثته الجراًة

أن يفترض أن آمي وتومي وصاحب الملهي علموا جميعاً شيئاً ما عن دكتور توماس ما كان يجب لأحد معرفته. آه! لنفترض أن هذا الشيء متعلق بموت السيدة هورتون. دكتور توماس كان هو طبيبها المعالج. وقد ماتت إثر الإصابة بسبب انتكامة مفاجئة. يمكنه تدبير ذلك بسهولة وتذكر أن آمي جيبس كانت بالمنزل في ذلك الحين. ربما تكون قد سمعت أو رأته شيئاً. وهذا دافع كاف لقتلها. ونحن نعلم جيداً أن تومي بيرس كان صبيّاً فضولياً للغاية. ربما فطن إلى شيء ما. لا أستطيع إدخال كارتر في الصورة. أخبرته آمي جيبس شيئاً ما والذي ربما يكون قد رده أثناء سكره، وربما يكون توماس قد قرر إسكاته. كل هذا بالطبع هو مجرد حدس. ماذا غير ذلك في إمكانى فعله؟

الآن هاميلباي. آه! أخيراً جئنا إلى جريمة ذات دافع قوى ومنطقي: فالدافع كاف والوسيلة متأليلة! فإن لم يكن دكتور توماس هو من تسبب في تسمم دم شريكه فليس في إمكان أحد غيره القيام بذلك؛ يمكنه إعادة تلويث الجرح في كل مرة يغير فيها الضمادة! أتمنى لو كانت جرائم القتل السابقة ذات دافع أقوى.

السيدة بنكرتون؟ أصعب في ربط مقتلها به، لكن هناك حقيقة واحدة مؤكدة. لم يكن دكتور توماس متواجداً في ويتشود معظم اليوم. ادعى أنه يتولى أمر ولادة صمبة. ربما يكون هذا صحيحاً، ولكن تبقى الحقيقة أنه غادر ويتشود في سيارة.

على تهديدهما هو الذى نجا من جريمتى قتل بارعتين! قرر إذن التخلص من كارترا ليلة مظلمة ودفعة جيدة. فى الواقع، مثل هذا النوع من القتل سهل للغاية.

هل فهمت بذلك عقلية أبوت؟ أعتقد هذا. نظرة كريمة لسيده عجز. فكانت تراودها الشكوك بشأنه... بعد ذلك مشاجرة مع هاميلباى؛ فهماميلباى وافته الجراة على تحدى أبوت؛ ذلك للحامى الداهية والقاتل، هذا الأحق العجز لا يعرف ما ينتظره! سوف ينال جزاءه! فقد تجرأ على الصباح! وبعد ذلك ماذا؟ تتلاقى عيناه مع عيني لافينيا بنكرتون، فترى فيهما ما يثير ربيبتها. هو الذى كان يتفاخر بأنه ليس موضع شك آثار ربية أحدهم. إن السيدة بنكرتون تعلم سره... إنها تعلم ما اقترفه.. نعم، ولكن لا يمكن أن يكون بحوزتها دليل، ولكن ماذا لو أنها خرجت بحثاً عن واحد.. ماذا لو أنها تحدثت... ماذا لو.... إنه أفضل من يستطيع الحكم على الشخصيات، يمكنه أن يخمن ما ستقوم بفعله فى النهاية. فإن ذهبت بقصتها هذه إلى سكوتلاند يارد فإنهم ربما يصدقونها. ربما يبدؤون فى طرح تساؤلات. لا بد من القيام بشيء عنيف لردعها. هل لدى أبوت سيارة أم أنه استأجر واحدة فى لندن؟ على أية حال، لقد كان متغيباً عن ويتشود يوم سباق الديربى....".

توقف لوك. لقد تغلغل فى روح الجريمة حتى إنه لاقى صعوبة فى التنقل بين مشتبه وآخر، عليه أن ينتظر دقيقة قبل أن يرغم نفسه على تخيل الرائد هورتون كقاتل ناجح.

"هورتون قتل زوجته، دعنا نبدأ بذلك. كان لديه دافع جيد؛ حيث إنه جنى الكثير من وراء موتها. وكى ينفذ خطته بنجاح كان عليه أن يتظاهر بالتفانى لها. عليه الحرص على الظهور بهذا المظهر. وهل يمكننا التساؤل أنه بالغ فى التظاهر بذلك فى بعض الأحيان؟

جيد جداً، استطاع تنفيذ جريمة قتل بنجاح. من التالى؟ أمى جيبس. نعم هذا ممكن. أمى كانت تعمل فى المنزل فى ذلك الحين. ربما رأته شيئاً ما. الرائد يقدم لزوجته مرق لحم البقر أو عصيدة؟ وربما لم تفهم معنى ما رآته حتى وقت لاحق. وحيلة طلاء القيمات هى الفكرة التى سطرأ للرائد هورتون بسهولة؛ فهو رجل مفقول العضلات ذو معرفة محدودة بملابس وحلى النساء.

هكذا تخلص من أمى جيبس.

كارترا الثمل؟ نفس التحليل السابق. أمى أخبرته بشيء. جريمة قتل مباشرة أخرى.

الآن تومى بيرس، علينا التركيز ثانية على طبيعته الفضولية. تخمينى أن الخطاب فى مكتب أبوت لا يمكن أن يكون شكوى من السيدة هورتون بأن زوجها يحاول سمسها؟ فهذا سوف يكون اقتراحاً مبالغاً فيه. ولكن هذا ممكن على أية حال، أدرك الرائد أن تومى يشكل تهديداً؛ لذا فقد التحق تومى بأمى وكارترا. كل الجرائم تمت ببساطة وبشكل مباشر. قتل سهل؟ يا إلهي! نعم.



لكن الآن نصل إلى جريمة أكثر صعوبة. هامبلباي! الدافع شديد الغموض! كان هامبلباي هو الطبيب المالح للسيدة هورتون منذ البداية. هل أصابه مرضها بالحيرة وهل هورتون ضغط على زوجته لتغيير الطبيب واللجوء إلى الأصغر فيهما. والذي يتسم بأنه أقل تشككاً؟ ولكن إن كان ذلك هو الحال، كيف أصبح هامبلباي بشكل خطراً بعد ذلك بعد كل هذه الفترة؟ هذا محير... طريقة موته كذلك، إصبع أصيب بالتسمم. كيف يمكن أن يكون للرائد علاقة بهذا؟

ماذا عن السيدة بنكرتون؟ هذا محتمل. إن لديه سيارة. لقد رأيتها. وهو كان متغيباً عن ويتشود في هذا اليوم بحجة ذهابه إلى سباق الديرربي. وهذا محتمل. نعم، هل هورتون قاتل ذو دم بارد؟ هل هذا صحيح؟ هل هذا صحيح؟ أتعنى لو كنت أعرف..."

حديق لوك أمامه، تجمع حاجباه من فهد التفكير.

"إنه واحد منهم.. لا أعتقد أنه إيلسورثي. ولكن من المحتمل أن يكون هو! إنه أكثرهم وضوحاً. توماس بعيد الاحتمال. فيما عدا طريقة موت هامبلباي: فتسمم الدم يشير بدون شك إلى قاتل طبيب! يمكن أن يكون أيوت. ليس هناك دليل يدينه أكثر من الآخرين. ولكنني أميل إلى ترجيحه... نعم. فهو يملأ فراغات لا يملؤها الآخرون. ويمكن أن يكون هورتون! ظلت زوجته تسمى ماملته لسنوات، شعر بالدونية، نعم، يمكن أن يكون هو! ولكن السيدة وينفليت لا تعتقد أنه هو وهي ليست حمقاء. وهي تعرف البلدة جيداً وتعرف سكانها ...

من الذي تشك به؟ أيوت أم توماس؟ لا بد أنه أحدهما... إن سألتها مباشرة. "أيهما الذي تعتقد أن الفاعل؟" - ربما أحصل منها على إجابة.

ولكن حتى في ذلك الحين قد تكون مخطئة، وليست هناك وسيلة لإثبات صحة اعتقادها. مثل تلك التي توصلت إليها السيدة بنكرتون. المزيد من الأدلة. هذا هو ما أريده. إن حدثت جريمة أخرى. فقط جريمة أخرى. حينها سوف أعرف..".

أسكت نفسه في فزع.  
قال وهو يلهث: "يا إلهي! إن ما أريده هو جريمة قتل أخرى..."

## سلوك غير لائق يصدر من السائق

في ملهى سفن ستارز احتسى لوك شرابه وشعر بالإحراج نوعاً ما، فكانت أعين عشرة من الريفين تتبع أقل تحركاته، علاوة على ذلك، فقد قطع دخوله جميع حوارات الموجودين. ردد لوك بعض التعليقات على موضوعات عامة مثل المحاصيل وحالة الجو وتذاكر مباريات كرة القدم، ولكنه لم يحصل على أية إجابة على أى تعليق رده.

لم يتبق له سوى التودد للنساء؛ فكانت هناك تلك الفتاة حمسة الطلعة ذات الشعر الأسود والوجنتين الحمرأوين، التي تقف وراء طاولة المشروبات، وقد فطن لوك على الفور أنها الآنسة لوسى كارتر.

أثمرت جهوده ثمارها؛ فالآنسة كارتر هههت وقالت: "أتى معك! أنا واثقة بأنك لا تفكر في شيء من هذا القبيل! هذا أكيد". وغيرها من الردود، ولكن ردودها كانت مفتعلة وميكانيكية بشكل واضح.

"بلى؛ فقد كان يستخدم أكثر الأنفاظ بذاءة فى ذلك الحين؛ فهو لم يكن يفتبه لكلماته، ولكن ما من أحد سوف يقوم بدفع رجل ثمل".

لم يحتج لوك على عبارته؛ فمن الواضح أن هؤلاء الأشخاص يعتبرون استغلال حالة السكر لدى أحدهم موقفًا ينم عن الجبن وعدم الشجاعة، فقد بدا الريفى مصدومًا للغاية من مجرد الفكرة.

قال فى غموض: "حسنًا، كان أمرًا محزنًا".

قال المعجوز: "ليس محزنًا للغاية بالنسبة لزوجته؛ فأظن أنها وتوسى ليس لديهما من الأسباب ما يجعلهما تحزنان لفراقه".

"ربما كان هناك آخرون سعدوا لوفاته".

كان الرجل المعجوز غامضًا بهذا الشأن.

قال: "ربما، ولكن هارى لم يتعمد إيذاء أحد مطلقًا".

بهذه العبارة الأخيرة التى أحييت ذكرى الراحل كارتير افترقا.

توجه لوك إلى منزل الأولد هول. كانت المكتبة تحتل الغرفتين الأماميتين، دخل لوك الجزء الخلفى للمنزل عبر باب مكتوب عليه كلمة "المتحف". هناك انتقل من طاولة إلى طاولة يتقحص المعروضات غير المثيرة إلى حد ما، بعض الأثاث الرومانية، بعض تحف بحر الجنوب الغربية؛ العديد من التحف الهندية التى أهداها للمكان الرائد هورتون. بالإضافة إلى تمثال ضخم ذى نظرة حاقدة لبوذا، ومعرضات لحلى مصرية تبدو غير أصلية.

بعد أن شعر لوك أنه لا جدوى من بقائه أنهى شرابه وغادر. سار عبر الطريق حتى المكان الذى يعبر به النهر جسر مشاة. كان يقف فى هذا المكان يتأمل، حينما قال صوت مرتعد من خلفه:

"هذا هو المكان الذى سقط فيه هارى المعجوز يا سيدي".

استدار لوك ليرى أحد الرجال الذى كان موجودًا معه بالملهى منذ قليل والذى لم يبادلته الحوار فى أى من الموضوعات الثلاثة التى طرحها: الحاصل والمقسط والتذاكر. وهو قد بدا الآن مستمتعًا بتعيين نفسه مرشدًا للموت الذى وقع هنا.

قال العامل المعجوز: "لقد وقع فى الطين، وانفرس رأسه به".

قال لوك: "نعم، من الغريب أن يسقط هنا".

قال الريفى بتسامح: "لقد كان ثملًا".

"نعم، ولكن لابد أنه سار فى هذا الطريق وهو ثمل كثيرًا من قبل".

قال الرجل الآخر: "كل ليلة تقريبًا؛ حيث كان هارى ثملًا معظم الوقت".

قال لوك جاعلاً الفكرة تبدو عرضية: "ربما دفعه أحدهم".

وافق الريفى: "ربما"، ثم أضاف قائلًا: "ولكننى لا أعرف أحدًا قد يود القيام بذلك".

"ربما كان له أعداء؛ فهو يصبح سليم اللسان حينما يكون ثملًا، أليس كذلك؟".

خرجت السيدة وينفليت من المكتبة وهى تحمل كومة من الكتب أسفل ذراعها. كانت تخلع قفازيها. بدت سعيدة للغاية ومشغولة، وحينما رآته أشرق وجهها وقالت:

"أم، السيد فيتزوليم، هل كنت تشاهد المتحف؟ أخشى أنه ليس هناك الكثير لرؤيته فى الواقع. إن اللورد ويتفيلد وعدنى بأن يجلب لنا بعض المعارضات المثيرة".  
"حقاً؟".

"نعم، أشياء حديثة، معاصرة، مثل تلك الأشياء التى توجد بالمتحف العلمى فى لندن، وقد اقترح أن يجلب نموذجاً لطائرة وقاطرة وبعض المواد الكيميائية كذلك".

"هذا من شأنه أن يحسن من وضع المكان".

"نعم، أنا لا أعتقد أن المتحف لابد أن يعرض فقط أشياء من الماضى، أليس كذلك؟".

"ربما تكونين محقة".

"وبعض المعارضات الغذائية كذلك. أسعار غذائية وفييتامينات. وغير ذلك. إن اللورد ويتفيلد متحمس للغاية لحملة اللياقة العظيمة".

"كان يتحدث عن هذا الأمر فى إحدى الليالى".

"إنه مشروعه الحالى، أليس كذلك؟ أخبرنى اللورد ويتفيلد عن زيارته لمؤسسة ويلرمان ومشاهدته للكثير من الجروثومات والاستبيانات والبيكتيريا. لقد سرت القشعريرة فى جسدى وهو يحكى لى، كما أنه أخبرنى بالكثير عن الفاموس ومرضى التوهم وشئ عن منقبة كبدية أخشى أننى لاقيت صعوبة فى فهمها".

تجول لوك ثانية فى الصالة. لم يكن هناك أحد بالمكان. صعد فى هدوء إلى الطابق الأعلى، كانت هناك غرفة مليئة بالمجلات والصحف، وغرفة مليئة بالكتب غير الخيالية.

صعد لوك طابقاً آخر. فى هذا الطابق كانت هناك غرف صنفها على أنها غرف للشماعة؛ فكانت مليئة بطيور محشوة أخرجت من المتحف بسبب مهاجمة العثة لها، وأكوام من المجلات المهترئة، وغرفة كانت أرففها محملة بطبوعات قديمة من الروايات وكتب الأطفال.

اقترب لوك من النافذة. لابد أن هذا هو المكان الذى كان تومى بيرس يجلس به وهو يصفر على الأرجح وينظف لوحاً زجاجياً حينما سمع أحدهم يقترب منه.

دخل شخص ما. تظاهر تومى بالحماس. يجلس ونصفه العلوى خارج النافذة ويمسحها بحماسة. وبعد ذلك اقترب هذا الشخص منه وأثناء تبادلهما الحديث دفعه دفعة فجائية قوية. استدار لوك. نزل الدرجات ووقف دقيقة أو اثنتين فى الردهة. لم يلاحظ أحد دخوله. لم يره أحد وهو يصعد الدرجات.

قال: "من الممكن أن يكون أى أحد قد فعلها؛ أمر غاية فى السهولة".

سمع وقع أقدام آتية من ناحية المكتبة، وبما أنه رجل برىء ليس لديه اعتراض على أن يراه أحد فقد ظل واقفاً مكانه، وإن لم يكن لديه رغبة فى أن يراه أحد يمكنه أن يأخذ خطوة للوراء ليدخل قاعة المتحف.

عليها لاستخلاص معلومات: فكان على طرح أسئلة مباشرة".  
هزت السيدة وينفليت رأسها - بينما لا يزال التعبير  
المضطرب على وجهها.  
"فى مكان كهذا، كما رأيت، ينتقل كل شيء بسرعة  
كبيرة".

"أتمنى أن جميع أهل البلدة سيقولون "ها هو الشرطى"  
أثناء سيرى فى الشارع؟ لا أعتقد أن هذا مهم الآن. فى الواقع،  
قد أحصل على مزيد من المعلومات بهذه الطريقة".  
"ليس هذا ما أخشاه". بدت السيدة وينفليت مفزوعة.  
"ما قصده أن القاتل سوف يعرف. سوف يعرف أنك تتربص  
له".

قال لوك ببطء:

"أعتقد هذا".

قالت السيدة وينفليت:

"ولكن ألا أعتقد أن هذا شديد الخطورة؟"

"أتمنى -". فهم لوك مقصدها فى النهاية، "أتمنى أن  
القاتل قد يقدم على إيذاءى".  
"نعم".

قال لوك: "هذا غريب. أنا لم أفكر فى هذا من قبل؟ لكننى  
أعتقد أنك محقة. حسنًا، ربما يكون هذا أفضل شيء يمكن أن  
يحدث".

قالت السيدة وينفليت بحدية:

قال لوك بسعادة: "أعتقد أن اللورد وينفليت نفسه لاقى هو  
الآخر صعوبة فى فهمها، وأنا واثق من أنه فهم كل شيء على  
النحو الخطأ فأنت أذكى كثيرًا منه يا سيدة وينفليت".

قالت السيدة وينفليت برزانة:

"أنت فى غاية اللطف يا سيد فيتزوليم، ولكننى أخشى أن  
النساء لا يمتلكن ملكة التفكير العميق التى يمتلكها الرجال".  
كبت لوك رغبة فى انتقاد طريقة تفكير اللورد وينفليت،  
وبدلاً من ذلك، قال:

"لقد أقيمت نظرة بالفعل على المتحف، ولكنى بعد ذلك  
صعدت لرؤية النوافذ العلوية".

"أنت تعنى المكان الذى سقط منه تومى -"، ارتعدت السيدة  
وينفليت مضيفة: "كان أمرًا مروعًا حقًا".

"نعم، من الصعب مجرد التفكير فيما حدث. لقد أمضيت  
نحو ساعة مع السيدة تشرش - عمة أمى - وهى ليست سيدة  
لعيفة!".  
"إطلاقًا".

قال لوك: "كان على أن أكون صارمًا معها. أعتقد أنها تظن  
أننى شرطى خارق".

سكت حينما لاحظ تغيراً فى تعبير وجه السيدة وينفليت.

"هل تعتقد أن ذلك تصرف حكيم يا سيد فيتزوليم؟".

قال لوك:

"لا أعلم فى الواقع. أعتقد أن ذلك كان ضروريًا؛ فقصه  
تأليف الكتاب أصبحت واهية. ولم يعد فى استطاعتى الاعتماد

استسلم لوك.

سأل: "هل أنت ذاهبة للمنزل؟".

"لا، سوف أخذ هذه الكتب إلى السيدة هامبلباي. ومقر لها يقع في طريق عودتك إلى المانور. يمكننا سير هذا الجزء من الطريق معاً".

قال لوك: "سيكون هذا لطيفاً للغاية".

هبطا الدرجات معاً، واستدارا يساراً نحو المساحة الخضراء. نظر لوك خلفه إلى ملامح المنزل الذي تركاه لتوهما. قال: "الابد أنه كان منزلاً جميلاً في عهد أبيك".

تهتبت السيدة وينفليت:

"نعم، كنا نتمتع بالسعادة جميعاً هناك. أنا ممتهة لأنه لم يتم هدمه: فالعديد من المنازل القديمة سيتم هدمها".  
"أعلم. أمر محزن للغاية".

"كما أن المنازل الحديثة لا يتم تشييدها على نفس الدرجة من الجودة".

"لا أعتقد أن بإمكانها اجتياز اختبار الزمن بنفس الدرجة من القوة".

قالت السيدة وينفليت: "ولكن بالطبع المنازل الحديثة أكثر مواءمة: فهي موفرة للجهد، ولا يوجد بها الكثير من الممرات الطويلة التي تحتاج لتنظيف".

وافقها لوك.

حينما وصلا إلى بوابة منزل هامبلباي، ترددت السيدة وينفليت وقالت:

"لا أعتقد أنك تدرك أنه رجل - رجل حاذق للغاية. وهو حريص أيضاً! وتذكر أنه يملك قدرًا كبيرًا من الخبرة - ربما أكثر مما نعرف".

قال لوك وهو مستغرق في التفكير: "نعم. هذا صحيح على الأرجح".

قالت السيدة وينفليت:

"أنا أشعر بالقلق! حقاً أنا خائفة للغاية".

قال لوك بركة:

"لست بحاجة للقلق. سوف أتوخى الحذر، أؤكد لك هذا. أريد أن أخبرك بأنني ضيققت دائرة الاحتمالات للغاية: فأصبحت لدى فكرة عن هوية القاتل...".

نظرت إليه السيدة وينفليت نظرة حادة.

اقترب منها لوك خطوة. خفض صوته ليصبح همساً:

"سيدة وينفليت، إن سألتك أيًا من هذين الرجلين هو القاتل في رأيك. دكتور توماس أم السيد أبوت. فبم ستجيبينني؟".

قالت السيدة وينفليت: "يا إلهي"، ثم طارت يدها لتستقر فوق صدرها. رجعت خطوة للوراء. ظهر في عينيها تعبير أربك لوك: فقد بدا بداخلهما نفاذ صبر أو شيء مقارب لم يستطع تحديده.

قالت:

"لا أستطيع أن أقول أي شيء -".

استدارت فجأة بعدما صدر منها صوت مثير للفضول. نصف تهيدة ونصف نشيج.

"إنها ليلة جميلة. إن كنت لا تمنع فأنا سوف أسير معك قليلاً؛ فأنا أستمتع بالجو".

أعرب لها لوك - وهو يشعر بالدهشة - عن سعادته؛ فهي لم تكن ما يمكن وصفه بليلة جميلة بالمرّة؛ فكانت تهب ريح قوية تضرب أوراق الأشجار فوق فروعها بقوة؛ فقد ظن أن ثمة عاصفة قد تهب في أية لحظة.

لكن السيدة ويتفيلد - وهي تشبث بقبعتها بإحدى يديها - سارت إلى جانبه في سعادة وأخذت تتحدث وهي تلهث قليلاً. كان الطريق الذي سلكاه خالياً من الرواد، بما أن أقصر طريق من منزل دكتور هامبلياي إلى أش مانور لم يكن هو الطريق الرئيسي، وإنما حارة جانبية تقود إلى إحدى البوابات الخلفية للمانور. لم تكن تلك البوابة مصنوعة من الحديد المزخرف كثيرها من البوابات، ولكن كانت مكونة من عمودين لطيفين يعلوهما شجرتا أناناس ضخمتان. لماذا الأناناس؟ لم يعرف الإجابة عن هذا السؤال؛ ولكنه فطن أن الأناناس يمثل التميز والذوق الرفيع بالنسبة للورد ويتفيلد.

وعند اقترابهما من البوابة سمعا أصواتاً غاضبة صادرة من الداخل. بعد لحظة رآيا اللورد ويتفيلد يواجه شاباً يرتدى ملابس السائقين.

كان اللورد ويتفيلد يصيح: "أنت مطرود. هل تسمعي؟ أنت مطرود".

"ألا تستطيع أن تغفر لي. فقط هذه المرة".

"لا، لن أغفر لك! بعد أن أخذت سيارتي دون إذني، سيارتي - لقد ثملت مجدداً - نعم، فعلت، ولا تحاول الإنكار! سبق وأوضحت لك أن ثمة ثلاثة أشياء لا أسمح بها في أملكى - السكر والسلوكيات غير الأخلاقية والوقاحة". وبالرغم من أن الرجل لم يكن مثلاً إلا أنه نال ما يجعل لسانه يفلت ويتغير سلوكه.

"لن أفعل هذا أو ذاك أيها الوغد العجوز! أملكك! هل تعتقد أننا جميعاً لا نعرف أن أباك كان يبيع الأحذية هنا؟ إن ذلك يجعلنا نضحك من قلوبنا، حقاً، حينما نراك تمشي مختلاً مثل الديك! من أنت؟ أود أن أعرف. أنت لست أفضل مني. هذه هي حقيقتك".

امتنع وجه اللورد ويتفيلد. "كيف تجرؤ على التحدث إلى بهذه الطريقة؟ كيف تجرؤ؟".

أخذ الشاب خطوة تهديدية للأمام. "إن لم تكن رجلاً ضئيل الحجم منتفخ البطن وجديراً بالاذراء لكنت لكمتك في فمك. نعم كنت لأفعل ذلك". رجع اللورد ويتفيلد بسرعة خطوة للوراء متمشياً في جنع شجرة وساقطاً في وضعية الجلوس.

وصل لوك.

قال بحدة للسائق: "اخرج من هنا".

استعاد السائق رشده. بدا خائفاً.

"أسف يا سيدي، لا أعلم ما حل بي".

لأن يأخذ سيارتي ويتسكع بها هو هذه الفتاة. لوسي كارتر على ما أعتقد - فى سيارتي".

قالت السيدة وينفليت بجديّة:

"إنه تصرف غير لائق تماماً".

بدا أن اللورد ويتفيلد قد هدأ بعض الشيء.

"نعم، أليس كذلك؟".

"ولكننى وثيقة من أنه سيندم على فعلته هذه".

"سوف أحرص على ذلك".

أوضحت له السيدة وينفليت: "ولكنك طردته".

هز اللورد ويتفيلد رأسه.

"ستتخذ حياة هذا الرجل منحنى شديد السوء".

أرجع كتيه إلى الوراء.

"اصعدى معنا إلى المنزل يا هورونيا لاحتساء شراب".

"شكراً لك يا سيد ويتفيلد، ولكن يجب أن أذهب إلى

السيدة هاميلباى بهذه الكتب، عمت مساءً يا سيد فيتزوليم.

أنت بخير الآن".

أوامر له وهى تبسم وسارت بسرعة مبتعدة، كان سلوكها

مشابهاً لسلوك مربية توصل طفلاً إلى حفلة، لكن لوك حبس

أنفاسه حينما خطرت له فكرة مباغتة. هل قامت السيدة

وينفليت باصطحابه لحمايته؟ بدت الفكرة مضحكة ولكن..

قاطع صوت اللورد ويتفيلد أفكاره.

"إن هورونيا وينفليت هى سيدة قوية حقاً".

"نعم، أعتقد هذا".

قال لوك: "هذا من تأثير ما اجترعته".

ساعد اللورد ويتفيلد على الوقوف على قدميه.

تلمع الرجل قائلاً: "سامحنى - سامحنى يا سيدى".

قال اللورد ويتفيلد: "سوف تدم على هذا يا ريفز".

كان يتخلل صوته مشاعر قوية وعنفقة.

تردد الرجل لحظة ثم مشى متناقلاً بهيماً.

انفجر اللورد ويتفيلد:

"وقاحة لا تغتبرا ومعنى أنا. يتحدث معى بهذه الطريقة.

ثمّة شيء شديد الخطورة سيحدث لهذا الرجل. لا يحترم أحداً

. ولا يعرف وضعه الحقيقى فى الحياة. حينما أفكر فيما أفعله

لهؤلاء الناس - أجور عائلية - كل وسائل الراحة - معاش حينما

يتقاعدون. عدم عرفان بالجميل - إنكار مطلق للجميل".

اختلق من فرط الحماسة، ثم لمح السيدة وينفليت التى

كانت تقف صامتة إلى جوار لوك.

"هل هذه أنت يا هورونيا. أنا أسف لأنك رأيت مثل هذا

المشهد المخزى. أفاظ هذا الرجل كانت بذينة حقاً".

قالت السيدة وينفليت فى تجهم: "أخشى أنه لا يدرك ما

يفعله يا لورد ويتفيلد".

"كان ثملاً، هذا ما كان عليه، فى حالة من السكر".

قال لوك: "شبه غير مدرك لتصرفاته".

"هل تعلمان ما فعله؟". نظر اللورد ويتفيلد متأملاً فيها:

"أخذ سيارتى. سيارتى! ظن أننى لن أعود سريعاً. أوصلتنى

بريدجيت بالسيارة إلى لاين. وهذا الرجل وصلت به الوقاحة



بدأ اللورد ويتفيلد يسير نحو المنزل. سار نحو المنزل واتجهت يده نحو مؤخرته وفركها بقوة. ضحك فجأة.

"كنت أنا وهورونيا مخطوبين ذات يوم. منذ سنوات، كانت فتاة جميلة في ذلك الوقت. ليست نحيفة كما هي اليوم. من الغريب أن أتذكر هذا الآن. كانت عاشقتها هي الأعلى مكانة في هذه البلدة".

"حقاً؟"

قال اللورد ويتفيلد متأملاً:

"كان الكولونيل وينفليت العجوز هو من يتزعم المكان. كان الجميع يحترمون ويجلونه. كان من المدرسة القديمة ومعتداً بنفسه مثل لوسيفر".

ضحك مرة أخرى.

"كان الرجل البدين قد مات بالفعل حينما أعلنت هورونيا أنها ستتزوجني! كانت تسمى نفسها راديكالية. جادة للغاية. فعلت كل ذلك لمحو الفروق الطبقيّة. كانت فتاة جادة".

"إذن فرقت أسرتها بينكما؟"

فرك اللورد ويتفيلد أنفه.

"حسناً. ليس تماماً. في الواقع تشاجرنا بشأن أمر ما. هذا الطائر الذي كانت تملكه. أحد طيور الكناري التي تعرف بجناحيها بقوة كبيرة. طالما بغضته. لقد مات. حسناً، لا جدوى من تذكر هذا الأمر الآن. دعنا ننسّه".

هز كتفيه مثل رجل ينفض عنهما ذكرى سيئة.

قال بطريفة حمقاء إلى حد ما:

"لا أعتقد أنها سامحتني قط. حسناً، ربما يكون هذا طبيعياً...".

قال لوك: "أعتقد أنها سامحتك بالفعل".

أشرق وجه اللورد ويتفيلد.

"هل تظن هذا؟ أنا سعيد لهذا؛ فكما تعلم أنا أحترم هورونيا للغاية. امرأة قوية وراقية! هذا لا يزال مهماً حتى في هذه الأيام. إنها تدير شؤون المكتبة ببراعة".

نظر لأعلى وتغير صوته.

قال: "مرحباً. ها قد أتت بريدجيت".

## الفصل ١٦

### شجرة الأناناس

شعر لوك بشد في عضلاته باقتراب بريدجيت.

إنه لم يتحدث إليها منذ يوم حفل التمس: فهما قد اتفقا على تحاشي بعضهما البعض.

بدت هادئة وباردة وغير مكترثة على نحو مستنز.

قالت باستخفاف:

"بدأت أتساءل ماذا حل بك يا جوردون؟"

زمجر اللورد ويتفيلد قائلاً:

"كنت أشاجر هذا المدعوريفرز بلفت به الوقاحة أن يأخذ

السيارة الرولز دون إذن اليوم".

قالت بريدجيت: "لقد طعن في شخصك الميجل".

"لا يجب أن تسخرى من الأمر يا بريدجيت، إن الأمر

خطير. لقد اصطحب فتاة بها".

"لا أعتقد أنه كان سيجد أى متعة فى التنزه بالسيارة

وحده".

انتصب اللورد ويتفيلد.

"أنا لا أسمح بمثل هذه التصرفات غير الأخلاقية بأملأكى".

"هل ترى أن أخذ فتاة فى نزهة يعد تصرفاً غير أخلاقياً؟"

"يكون كذلك حينما يكون ذلك بسيارتى".

"إن هذا بالطبع أسوأ من التصرف غير الأخلاقى! إنه يرقى إلى التجديف، ولكنك لا تستطيع منع الشباب من العبث معاً يا جوردون. إن القمر مكتمل وتلك فى الواقع ليلة منتصف الصيف".

قال لوك: "هل هذا صحيح؟".

رمقته بريدجيت بعينها.

"يبدو أن ذلك أثار فضولك".

"نعم".

عادت بريدجيت للتحدث مع اللورد ويتفيلد.

"وصل ثلاثة أشخاص غريبى الشكل إلى ملهى ييلز أند موتلى. الأول هو رجل يرتدى سروالاً قصيراً ونظارة وقميصاً حريرياً برقوى اللون وجميلاً الثانى هو امرأة ترتدى شالاً ورطلاً من الحلى المصرية الزائفة المتجانسة وصندلاً، الثالث هو رجل يدين يرتدى حلة أرجوانية شاحبة وحذاء من نفس اللون. أعتقد أنهم أسدقاء السيد إيلسورثى يقولون إنه ستقام أعمال شاذة فى مرج الساحرات الليلة".

احتقن وجه اللورد ويتفيلد بالدماء وقال:

"لن أسمح بهذا!".

"لن تستطيع ذلك يا عزيزى. إن مرج الساحرات هو ملكية عامة".

"لن أسمح بهذا الهرج والمرج المناهى للدين أن يحدث هنا. سوف أنشر هذا فى صفحة الفضائح". سكت ثم قال: "ذكرينى بأن أكتب ملحوظة بشأن هذا وأجعل سيدلى يتولى الأمر؛ فأنا لا بد أن أذهب للمدينة غداً".

قالت بريدجيت بوقاحة: "حملة اللورد ويتفيلد ضد السحر. فخرافات العصور الوسطى لا تزال منتشرة فى قرية ريفية هادئة". حدق اللورد ويتفيلد إليها وعلى وجهه تقطبية حائرة ثم استدار ودخل المنزل.

قال لوك فى سعادة:

"لا بد أن تؤذى دورك بطريقة أبرع من هذا يا بريدجيت!". "ماذا تعنى؟".

"سيكون أمراً مؤسفاً حقاً لو فقدت وظيفتك. إن المائة ألف جنيه هذه لم تصبح ملكك بعد، وكذلك اللآلئ والماسات. لو كنت مكانك لانتظرت إلى ما بعد الزواج لممارسة مواهبك التهكمية".

قابلت عيناها عينيها فى هدوء.

"أنت حقاً تفكر فى مصلحة الآخرين يا عزيزى لوك: فكلم أنت عطفوا لاهتمامك بمستقبلى إلى هذه الدرجة".

"إن العطف والحرص على مصالح الغير كانا دائماً أقوى صفاتى".

"ولكن بما أننى مقتنع بأننى أقتضى أثر معتوه قاتل؛ فأنا مرغم على البقاء. إن كان بوسمك اختراع أى سبب مقنع يجعلنى أغادر هنا وأنتقل للمكوث فى بيلز أند موتلى، فتومى بذلك من فضلك".

هزت بريديجيت رأسها.  
"ليس هذا سهلاً. لكوك ابن عمى. بالإضافة إلى ذلك فالملهى كامل العدد بأصدقاء إبلسورثى؛ فليس لديهم هناك سوى ثلاث غرف".

"إذن أنا مرغم على البقاء، لأبد أن هذا سيسبب لك الضيق".  
ابتسمت له بريديجيت فى رقة.  
"إملاًقاً، أستطيع دوماً تولى أمر بضع رعوس إضافية".  
قال لوك فى تقدير: "إن تلك بالذات مزجة بذينة. إن ما يعجبنى بك يا بريديجيت هو أنك لا تمتلكين أى طيبة، حسناً، حسناً، إن الحبيب المرفوض سوف يذهب الآن ويفير ملاسبه استعداداً للمشاء".

مرت الليلة بدون أحداث. وقد كسب لوك استحسان اللورد ويتفيلد أكثر من ذى قبل بتظاهره بالإنصات باهتمام بالغ لحديث الآخر الليلي.

وحينما دخل غرفة الاستقبال قالت بريديجيت:  
"لقد تغيبتما وقتاً طويلاً".

قال لوك:

"إن حديث اللورد ويتفيلد مثير حقاً حتى إن الوقت مضى سريعاً، كان يحكى لى عن كيفية تأسيس صحيفته الأولى".

"لم ألاحظ هذا".

"حقاً؟ أنت تدهشينى".

قطعت بريديجيت ورقة من نبات معترش. قالت:

"ماذا كنت تفعل اليوم؟".

"مهام البوليس السرى التقليدية".

"وهل توصلت إلى أية نتائج؟".

"نعم ولا، كما يقول السياسيون. بالمناسبة. هل لديكم أدوات بالمنزل؟".

"أعتقد هذا. أى نوع من الأدوات؟".

"أية أدوات يدوية صغيرة، ربما يمكننى معاينة البعض".

بعد مرور عشر دقائق اختار لوك من بين مجموعة موضوعة على رف خزنة.

قال وهو يربط على الجيب الذى ملأه بها: "هذه الكمية سوف تفى بالفرض".

"هل تفكر فى اقتحام ودخول مكان ما؟".

"ربما".

"أنت لا تفصح لى بالكثير".

"حسناً، على أية حال، إن الموقف ينضج بالصعوبات. أنا فى وضع حرج؛ فبعد الحوار الذى دار بيننا يوم السبت لا بد أن أغادر هذا المكان".

"يجب عليك ذلك إن كنت ترغب فى انتهاج سلوك الرجال النبلاء".

لجهوده: فبعد مرور بضع دقائق نجح فى سحب السقاطة ورفع الإطار ودفع نفسه للداخل.

كان لديه كشاف كهربائى فى جيبه. استخدمه بشكل مقتصد؛ فوميض بسيط يساعده على تلمس طريقه ويجنبه إسقاط الأشياء.

بعد مرور ربع ساعة كان قد اقتنع أن المنزل شاغر؛ فكان مالكة بالخارج مشغولاً فى شؤونه الخاصة. ابتسم لوك فى رضا وبدأ مهمته.

أجرى بحثاً دقيقاً وشاملاً لكل زاوية وكل ركن. فى درج موصل أسفل اثنتين أو ثلاث من الصور المائية الحميدة، ثعر فى بعض الأعمال الفنية التى جعلته يرفع حاجبيه ويصفر. فكانت أعمال إيلسورثى الفنية سيئة، ولكن بعضاً من كتبه - تلك التى كانت مدموسة فى مؤخرة خزانة - استوقفته.

بالإضافة إلى تلك الأشياء، وجد لوك أيضاً ثلاث معلومات هزيلة ولكن موحية. الأولى اتخذت شكل خربشة فى نوتة صغيرة "تسمية الأمر مع تومى بيرس" - وكان التاريخ يسبق يوم وفاة الصبى بيومين، والثانية كانت صورة بالشمع لأمى جيبس فوقها علامة إكس حمراء غاضبة فوق وجهها. الثالثة كانت زجاجة شراب سعال، ولم تكن أى من هذه المعلومات وحدها إثباتاً لأى شئ، ولكن ضمهما معاً ربما يعتبر مشجعاً.

كان لوك يرتب المكان ويميد الأشياء فى مكانها حينما تصلب فجأة فى مكانه وأطفا ضوء الكشف. لقد سمع مفتاحاً يدخل قفل الباب الجانبى.

قالت السيدة أنستروثر:

"إن شجيرات الفكاهة الجديدة تلك الموضوعية فى قدور جميلة حقاً. لايد أن تجرب وضع بعض منها فى الشرفة يا جوردون".

أخذ الحوار مجراه الطبيعى بعد ذلك. استأذن لوك ميكراً.

لكنه لم يذهب إلى الفراش بالرغم من ذلك؛ فكانت لديه خطط أخرى.

كانت الساعة قد دقت الثانية عشرة لتوها حينما هبط الدرجات دون ضوضاء وهو يرتدى حذاء التنس واجتاز المكتبة وخرج من النافذة.

كانت الرياح لا تزال تهب فى عصفات قوية تتخللها فترات سكون مختصرة. اندفعت السحب عبر السماء بفعل الرياح حاجبة القمر، وهكذا كان النظم والقمر الساطع يتواليان باستمرار.

مضى لوك قدماً أخذاً طريقاً غير مباشر حتى منزل السيد إيلسورثى؛ فرأى الفرصة سانحة للقيام ببعض أعمال التقصى. فكان واقعاً أن إيلسورثى وأصدقائه سيكُونون بالخارج معاً فى هذه الساعة بالتحديد. فظن لوك أن ليلة منتصف الصيف لايد أن تكون ليلة يقام بها طقس ما. وفى أثناء إقامة هذا الطقس يستغل هو هذه الفرصة الجيدة لتفتيش منزل إيلسورثى.

تسلق جدارين وذهب خلف المنزل وأخذ الأدوات من جيبه واختار واحدة مناسبة. أذعنت نافذة حجرة غسيل الأطباق

"ما هو. ضعيه. دعينا نعد للمنزل".

"انتظر..."

"لماذا؟"

اقتربت منه وتحدثت بصوت خفيض شبه متهدج.

"لأن هناك شيئاً أود أن أقوله لك. وهذا هو أحد الأسباب التي جعلتني أنتظرك هنا خارج المانور. أريد أن أقوله لك الآن قبل أن نعاود الدخول. إلى أملاك جوردون..."

"حسناً؟"

ضحكت ضحكة قصيرة قاسية.

"الأمر بسيط للغاية. أنت فزت يا لوك. هذا هو كل ما في الأمر!"

قال بعدها:

"ماذا تمنين؟"

"أعني أنني لم أعد أرغب أن أكون الليدي ويتفيلد."

اقترب خطوة منها.

سألها: "هل هذا صحيح؟"

"نعم يا لوك."

"هل ستزوجيني؟"

"نعم."

"لماذا؟"

"لا أعرف. أنت تقول لي هذه الأشياء البغيضة عن نفسي ويبدو أن الأمر يروق لي..."

قال لها:

"لقد رأيت وجهه. كان. لا يوصف! الله وحده يعلم ما كان يفعل! كان منحرفاً في بهجة جنونية، وكانت يداه مبهجتين بالدماء، أقسم على هذا".

ارتعدت بريديجيت.

تمتعت قائلة: "أمر مروع..."

قال لوك باضطراب:

"ما كان يجب عليك الخروج وحدك يا بريديجيت. هذا تصرف جنوني. ربما قام أحدهم بضربك على رأسك".

ضحكت وقالت:

"الشيء نفسه يتمسحب عليك يا عزيزي".

"أنا أستطيع العناية بنفسى".

"أنا بارعة في العناية بنفسى كذلك: فأنا صلبة للغاية".

هبت عاصفة ريح قوية. قال لوك فجأة:

"اخلصني عنك غطاء الرأس هذا".

"لماذا؟"

وبحركة مفاجأة مد يده وأطاح بغطاء رأسها بعيداً. حدثت به وقد تسارعت أنفاسها.

قال لوك:

"أنت بالطبع غير كاملة بدون عصا مكسدة يا بريديجيت.

هكذا رأيتك أول مرة". حلق بها لدقيقة ثم قال: "أنت شيطانة قاسية".

وبعد أن تهدد بجدّة وينفاد صبر وضع الغطاء فوقها مجدداً.

"إن الريح لا تفعل شيئاً مثل هذا. أما هكذا يريد أن يبدو الأمر - حادث آخر! ولكنه زائف. إنه القاتل مجدداً...".  
"لا. لا. لوك -".

"أؤكد لك هذا. هل تعلمين ما الذى استشعرته بمؤخرة رأسه. بالإضافة إلى الزوجة والمواد الأخرى. حبيبات رمل! ولا يوجد رمل هنا. أؤكد لك هذا يا بريديجيت، وقف شخص ما هنا وضربه ضربة قوية أثناء عبوره البوابة عائداً إلى كوخه. بعد ذلك وضعه هنا وخرج هذه الشجرة فوقه".

قالت بريديجيت فى ضعف:  
"لوك. هناك دم. على يديك...".

قال لوك فى تهجم:

"كانت هناك دماء على يد شخص آخر. هل تدريين بما كنت أفكر فى ظهيرة هذا اليوم. إنه فى حالة وقوع جريمة أخرى فسوف تتضح الأمور أمامنا. ونحن نعرف القاتل الآن! إيليسورثا! كان بالخارج الليلة وقد عاد إلى منزله والدم ينطلى يديه بينما يشب ويتبختر وهو فى حالة من الجنون ويملو وجهه تعبير قاتل ثمل ممتوه...".

وهي تنظر إلى الأسفل ارتعدت بريديجيت وقالت بصوت خفيض: "ريفرز المسكين...".

قال لوك فى شفقة:

"نعم، الفتى المسكين. إنه تمس الحظ حقاً، ولكنه سيكون الأخير يا بريديجيت! الآن نحن نعرف من القاتل وسوف ننال منه!".

"إنه عالم ملئ بالجنون!".

"هل أنت سعيد يا لوك؟"

"ليس تماماً".

"هل تعتقد أنك ستتم بالسعادة معي؟"

"لا أعلم. سأحاطر".

"نعم. هذا هو ما أشعر به أيضاً...".

"إننا نشعر بالفراية حيال هذا الأمر يا عزيزتى. تعالى.

ربما سنصبح طبيعيين ثانية فى الصباح".

"نعم. إن الطريقة التى تسير بها الأمور مرعبة حقاً لـ...".

نظرت للأسفل وجملته يتوقف: "لوك. لوك. ما هذا...؟"

خرج القمر من بين السحاب. نظر لوك للأسفل حيث تعثرت

قدم بريديجيت بكومة على الأرض.

سحب لوك ذراعه من ذراعها بينما يملو وجهه تعبير ينم عن الفزع وجثم للأسفل. نظر من الكومة غير محددة المعالم إلى البوابة بالأعلى. لقد اختفت شجرة الأناناس.

وقف فى النهاية. كانت بريديجيت تقف وهى واضحة كلتا يديها على فمها.

قال:

"إنه المائق ريفرز. إنه ميت...".

"هذا الشيء الحجيرى اللعين. كان متقللاً منذ فترة. أعتقد أنه سقط فوقه؟"

هز لوك رأسه:

رأها تترنح فاقترب منها وأمسك بذراعها.

قالت بصوت طغولى رقيق:

"أنا خائفة يا لوك..."

قال: "لقد انتهى الأمر يا عزيزتى، انتهى..."

تمتمت قائلة:

"كن حائثاً معى من فضلك؛ فأنا تعرضت للكثير من

الجروح".

قال: "لقد قمنا بجرح بعضنا البعض ولن نفعل هذا

مجدداً".

## الفصل ١٧

### اللورد ويتفيلد يتحدث

حدد دكتور توماس فى لوك عبر غرفة الاستشارة الخاصة به.

قال: "مثير (مثير للغاية) هل أنت جاد يا سيد فيتزوليم؟"

"بالتأكيد، أنا مقتنع أن إيلسورثى هو معنوه خطير".

"أنا لم يسبق لى أن أبديت اهتماماً خاصاً بهذا الرجل.

لكننى بالرغم من ذلك أعتقد أنه غير سوى".

قال لوك بتجهم: "بل هو أكثر من ذلك".

"أنت تعتقد حقاً أن هذا الرجل يفرز قد قتل؟"

"نعم، هل لاحظت حبيبات الرمل فى الجرح؟"

أوماً دكتور توماس.

"لقد بحثت عنها بعد تصريحك، ويتبنى على التأكيد بأنك

محق".

"هذا يوضح كل شئ إذن، إن الحادث زائف، وأن الرجل

قتل بجوال رمل أو أفقده أحدهم وعيه".

"ليس بالضرورة".

"ماذا تعنى؟"

اتكا دكتور توماس للخلف وشبك أصابعه معاً.

"افترض أن هذا المدعو ريفرز كان مستلقياً فوق حقيبة من الرمال أثناء النهار. وهناك الكثير من هذه الحقائق هي هذا المكان، فإن هذا قد يبرر وجود حبيبات الرمال في شعره".

"أيها الشاب، أؤكد لك أنه قد قتل".

قال دكتور توماس: "يمكنك أن تردد ذلك كما تشاء، ولكن هذا لن يجعل من الأمر حقيقة".

تحكم لوك في سخطه.

"أعتقد أنك لا تصدق كلمة مما قلته لك".

ابتسم دكتور توماس ابتسامة متكبرة.

"لا بد أن تعترف يا سيد فيتزوليم أنها قصة جامحة بعض الشيء، أنت تؤكد أن هذا الرجل قتل فتاة تعمل خادمة وصبيًا صغيراً وصاحب ملهى لئلاً وشريكى في العمل وفي النهاية قتل ريفرز؟"

"ألا تصدق هذا؟"

هز دكتور توماس كتفيه.

"أنا أعرف كيف مات هامبلي. يبدو لي مستحيلًا أن يكون لإيلسورثى أى علاقة بموته، ولا أرى أن لديك دليلاً يثبت أنه المتسبب في وفاته".

اعترف لوك قائلاً: "ألا أعرف كيف تمكن من هذا، ولكن كل هذا يتفق مع قصة السيدة بركرتون".

"أنت تؤكد كذلك أن إيلسورثى اتبعها إلى لندن ودهسها بسيارة. مرة ثانية ليس لديك أى دليل أن هذا قد حدث! كل هذا - حسنًا - مجرد مبالغة".

قال لوك بعدة:

"بما أنني أعرف الآن أين توجد قدمي فسوف أركز على الحصول على أدلة. سوف أسافر إلى لندن غدًا لمقابلة صديق لي؛ فقد قرأت منذ يومين أنه تمت ترقيةته إلى مساعد مفوض البوليس. إنه يعرفني وسوف ينصت لما أقوله له، وأنا واثق من شيء واحد، إنه سيجري تحقيقًا شاملًا إزاء هذا الأمر".

مرر دكتور توماس يده على ذقنه وهو يمعن التفكير.

"حسنًا، مادام ذلك سيرضيك، لكن إذا اتضح أنك مخطئ -"

قاطعه لوك.

"أنت لا تصدق شيئًا من كل هذا؟"

"عمليات قتل جماعية؟"، رفع دكتور توماس حاجبيه.

"بصراحة يا سيد فيتزوليم لا أصدق؛ فالأمر خيالي للغاية".

"خيالي ربما، ولكنه منطقي. لا بد أن تعترف أنه بجمع الخيوط معًا تصبح القصة منطقية. بمجرد أن تعترف بصحة قصة السيدة بركرتون".

كان دكتور توماس يهز رأسه وقد اجتاحت ابتسامة صغيرة ركن فمه.

تمتم قائلاً: "لو كنت فقط تعرف بعضًا من هؤلاء السيدات المعجائز جيدًا كما أعرفهن".

"بالطبع . بالطبع".

غادر لوك عيادة توماس فى حالة من الحنق المكبوت.

انضم إلى بريدجيت التى قالت:

"حسناً، كيف صارت الأمور؟"

قال لوك: "لم يصدقنى، وأنت حينما تتكبرين فى الأمر لن تجديه غريباً فى الواقع؛ فهى قصة جامعة بلا أدلة. إن دكتور توماس بدون شك ليس من نوعية الرجال الذين يصدقون بسهولة ستة أشياء مستحيلة قبل الإفطار".

"هل يمكن لأى أحد تصديقك؟"

"على الأرجح لا، ولكننى حينما أذهب إلى بيللى بونز العجوز غداً ستبدأ العجلة فى الدوران. إنهم سوف يحققون بشأن صديقنا ذى الشعر الطويل إيلسورثى، وفى النهاية سوف يتوصلون لشيء ما".

قالت بريدجيت وهى مستغرقة فى التفكير:

"إننا نتقرب كثيراً من كشف الأمر، أليس كذلك؟"

"نحن مضطران إلى ذلك. لا نستطيع ببساطة السماح له بقتل المزيد من الأشخاص".

ارتعدت بريدجيت.

"من فضلك يا لوك، كن حريصاً".

"أنا حريص بالفعل. عدم السير بالقرب من بوابات فوقها أشجار أناثاس، وتجنب الغابة أثناء الليل والانتباه لما أكله وأشربه. أنا أعرف كل هذا جيداً".

"كونك رجلاً متميزاً يجعلنى أشعر بشعور مروع".

نهض لوك وهو يحاول السيطرة على انزعاجه.

قال: "على أية حال. أنت شديد التشكك يا دكتور توماس؟"

أجابه توماس بحس مرح:

"أعطينى بعض الأدلة يا عزيزى. هذا هو كل ما أطلبه. وليس مجرد هراء ميلودرامى طويل قائم على ما رأته سيدة عجوز متوهمة".

"إن ما تتخيل السيدات العجائز أنها رأته عادة ما يكون صحيحاً، إن عمتى ميلدرد كانت غريبة الأطوار للغاية! هل لديك أية عمت يا توماس؟"

"حسناً. لا".

قال لوك: "خطأ! كل شخص ينبغي أن تكون له عمت؛ فهن يثبتن انتصار الحسد على المنطق؛ فالعمات فقط هن من يعرفن أن السيد (إيه) محتال؛ لأنه كان يشبه خادماً غير أمين عمل لديهن فى وقت ما. ويحاول الآخرون بالمنطق أن يجادلوا أن رجلاً محترماً مثل السيد (إيه) لا يمكن أن يكون محتالاً. لكن السيدات العجائز يكن محقات فى كل مرة".

ابتسم دكتور توماس ابتسامته المتكبرة مجدداً.

قال لوك وقد تفاقم شعوره بالسخط ثانية:

"الأ تدرى أنتى رجل بوليس أنا الآخر؟ أنا لست هاوياً".

ابتسم دكتور توماس وتمتم:

"فى ماينج سترائيتس؟"

"إن الجريمة هى الجريمة حتى فى ماينج سترائيتس".

فكرت بريديت في السؤال: "حسنًا - سوف ينزعج بدون شك".

"ينزعج؟ يا إلهي! ألا تعتقدين أن ذلك رد فعل بسيط مقارنة بأهمية الموضوع؟"

"لا، وذلك لأن جوردون لا يحب أن يزعجه أحدًا فذلك يثير حنقه".

قال لوك برزانة: "أنا أشعر بالقلق حيال الأمر برمته". كان هذا الشمر قد بلغ ذروته في ذهنه حينما كان يستعد في هذا المساء للاستماع للمرة العشرين إلى اللورد ويتفيلد عن موضوع يدور حول نفسه: فكان معترفًا أن غداً حقيقياً فقط هو من يقيم في بيت رجل ويسرق خطيبته، ومع ذلك فهو لا يزال يشعر أن ساذجا ضئيل الحجم مفروراً ومختلاً ومنفتح البطن ما كان يجب أن يطمح في الحصول على فتاة مثل بريديت! ولكن ضميره ظل يؤله لدرجة جعلته يتصت بجرعة أعلى من الاهتمام لكلام مضيفه، الأمر الذي نال استحسان هذا المضيف بشدة.

كان اللورد ويتفيلد في حالة معنوية مرتفعة هذه الليلة: فوفاة سائقه السابق يبدو أنها أبهجته بدلاً من أن تحزنه.

صاح في بهجة وهو يمسك كأسه في الضوء ويحدق إليه: "أخبرتكم أن الأمور ستأخذ منحى سيئاً في حياة هذا الفتى. ألم أقل لكم هذا ليلة أمس؟".

"هذا صحيح يا سيدى".

"طالما أنك لعبت امرأة متميزة يا عزيزتى".

"ربما تكون كذلك".

"لا أعتقد هذا، لكنى لا أنوى المخاطرة؛ فأنا سوف أحميك كمالك حارس عتيق الطراز".

"هل من المجدي في شيء أن نتحدث في الأمر مع الشرطة هنا؟".

فكر لوك.

"لا أعتقد هذا، من الأفضل الذهاب مباشرة إلى سكوتلاند يارد".

تمتعت بريديت:

"هذا ما فكرت فيه السيدة بتكرتون".

"نعم، ولكننى سوف أتوخى الحذر".

قالت بريديت:

"أنا أعلم ماذا سوف أفعل غداً، سوف أخذ جوردون إلى متجر هذا المتوحش، وأجعله يشتري أشياء منه".

"وبهذا تضمنين أن السيد إيلسورثى لن يعد لى كميناً على درجات الوايت هول؟".

"تماماً".

قال لوك ببعض الحرج: "بالنسبة لويتفيلد -".

قالت بريديت بسرعة:

"دعنا نؤجل أمره حتى تعود غداً. بعد ذلك سنسوى كل شيء".

شئء.

"هل سيفضب بشدة؟".

إن هذا الرجل أهانتى. بل إنه قد بلغت به الوقاحة أنه حاول  
الاعتداء على بالضرب. انظر ماذا حدث؟ أين هو اليوم؟"  
سكت بتكلف، ثم أجاب عن نفسه بصوت متبهر:  
"امات! وقع عليه العقاب الإلهي!"  
قال لوك وهو يفتح عينيه قليلاً:  
"إنه عقاب قاس ناله على بعض كلمات قالها بتسرع وهو  
ثمل".

هز اللورد ويتفيلد رأسه.  
"هكذا تسير الأمور! إن الجزاء يأتي بسرعة وهي صورة  
بشعة. ومن يوقع هذا الجزاء هو العدل، هل تذكر الأطفال  
الذين سخروا من إيليا. هل تذكر كيف جاءت الديبة والتهتهم.  
هكذا تسير الأمور يا فيتزوليم".

"طالما ظننت أن هذا انتقام غير ضرورى".  
"لا، لا. أنت تنظر إلى الأمر بصورة خاطئة. كان إيليا رجلاً  
عظيماً وتقياً، فما كان من الممكن أن يسخر منه أحد ويمسح!  
أنا اتهم هذا بسبب ما حدث لى".

نظر إليه لوك فى حيرة.  
خفض اللورد ويتفيلد صوته.  
"لم أكن أصدق هذا فى البداية، ولكن هذا كان يحدث معى  
فى كل مرة! فأعدائى ومن يحطون من قدرى كانوا يتعرضون  
للإبادة".

"الإبادة؟"  
أوما اللورد ويتفيلد برهق واحتسى شرابه.

"وقد كنت محبباً كما ترى! من المدهش حقاً أننى أكون  
محبباً طوال الوقت!"

قال لوك: "لا بد أن هذا أمر رائع حقاً".  
"لقد خضت حياة مذهلة حقاً. نعم حياة مذهلة بالفعل!  
إن الطريق كان ممهداً أمامى. وكنت دوماً أمتلك الكثير من  
الإيمان والثقة بالله. هذا هو السر يا سيد فيتزوليم، هذا هو  
السر".  
"حقاً؟"

"أنا رجل متدين. أنا أؤمن بالخير والشر ويوم الحساب.  
إن هناك ما يدعى بالعدل الإلهي يا سيد فيتزوليم، لا شك فى  
هذا!"

قال لوك: "أنا أؤمن بوجود العدل كذلك".  
كان اللورد ويتفيلد كعادته غير مكترث بما يؤمن به  
الآخرون.

"أعمل خالقي حقّه وسوف يجزيك خالقيك حقك! طالما  
كنت رجلاً مستقيماً. كنت أتبرع دوماً للجمعيات الخيرية. كما  
أننى كسبت أموالى بطرق شريفة، أنا لست مديناً بالفضل لأى  
رجل! فقد بنيت نفسى بنفسى. هل تذكر كيف رزق الله أسلافنا  
بالقطمان والأسراب وابتلى أعداءهم!"

منع لوك نفسه من التآؤب وقال:  
"هذا صحيح. هذا صحيح".

قال اللورد ويتفيلد: "إنه أمر مدهل حقاً. الطريقة التى  
يماقب بها الله أعداء الرجل المؤمن! انظر إلى ما حدث أمس.

"مرة بعد أخرى، تمامًا كما حدث مع إيليا، هذا الصبي الصغير، مررت به ذات يوم فى الحديقة هنا. كان يعمل لدى فى ذلك الحين، أعلم ما الذى كان يفعله؟ كان يقتلنى أنا. أنا؟ يسخر منى! يمشى بتبختر جيئةً وذهاباً أمام جمهور يشاهده. يسخر منى على أرضى! هل تدرى ماذا حل به؟ فلم تمض عشرة أيام حتى سقط من نافذة ومات!

وبعد ذلك كان هناك هذا المتوحش كارتير. هذا الرجل الثمل ذو اللسان البذى، أتى إلى هنا وأساء لى. ماذا حدث له؟ بعد أسبوع مات. غرق فى الطين، وكانت هناك هذه الخادمة أيضاً، رفعت صوتها على وسببتى، وقد نالت عقابها سريعاً كذلك: فقد شربت سماً عن طريق الخطأ؛ بإمكانى أن أخبرك بالمزيد، هامبلباى واتته الجراً على معارضتى بشأن موضوع مخطط الماء، وقد مات إثر إصابته بتسمم الدم، أه، إن هذا يحدث معى منذ سنوات. السيدة هورتون على سبيل المثال كانت تتعامل معى بوقاحة، ولم يمض وقت طويل قبل أن تموت."

سكت واتكاً للأمام ممطياً قتيحة الشراب للوك.

قال: "نعم، جميعهم ماتوا، مذهب، أليس كذلك؟".

حديق إليه لوك، تسلس شك رهيب إلى عقله! فقد شرع فى التحقيق بعينين جديبتين إلى الرجل الضئيل البدين الذى كان يجلس على رأس الطاولة ويومئ برأسه، والنذى كانت عيناه البارزتان تقابلان عيني لوك فى لا مبالاة.

اندفعت مجموعة من الذكريات غير المترابطة سريعاً خلال عقل لوك. الرائد هورتون وهو يقول: "اللورد ويتفيلد كان

طيباً للغاية؛ فقد أرسل عنياً وخوفاً من صوبياته الساخفة". وكان اللورد ويتفيلد هو من سمح لتومى من فرط كرمه بالعمل كمنظف للنوافذ فى المكتبة. زيارة اللورد ويتفيلد إلى مؤسسة ويللرمان كروتر المليئة بالجراثومات والأمصال قبل فترة قصيرة من وفاة هامبلباى، كل شيء يشير ببساطة إلى اتجاه واحد، وهو كان غيبياً للدرجة التى جعلته لا يشك أبداً...

كان اللورد ويتفيلد لا يزال يبتسم. ابتسامة هادئة معيدة، أوما برأسه برفق إلى لوك.

قال اللورد ويتفيلد: "إنهم جميعاً يموتون".

## مؤتمر في لندن

حرق السير وليم أوسينجتون المعروف لأصدقائه القدامى باسم بيلي بونز في شك في صديقه.

سأل في حزن: "ألم تتل كفايتك من الجرائم؟ هل عليك أن تعود للوطن وتقوم بعملنا نيابة عنا؟"

قال لوك: "لم تكن الجرائم في ماينج تحدث بالجملة على هذا النحو. إن الرجل الذي أسعى للثيل منه قتل نصف ستة أشخاص على الأقل ونجا بفعلته دون أن يشك فيه أحداً".

تهجد السيد وليم.

"هذا يحدث. ما الصفة التي تميزه. كثرة الزوجات؟"

"لا، إنه ليس من هذا الطراز. إنه لا يعتقد أنه إله بعد، ولكن سرعان ما سيصل إلى هذه المرحلة".

"مجنون؟"

"نعم، لا شك في هذا".

إننا شبه وانثنى أنها كانت رولز. سيارة كبيرة يقودها سائق. جميع الشهود أجمعوا على ذلك. إن معظم الناس يتعرفون على الرولز حينما يرونها".

"ألم تحصل على رقمها؟"

"لا، للأسف، لم يفكر أحد في النظر إلى الرقم. جاءنا بلاغ أن رقمها هو FZX4498. ولكنه كان رقمًا خاطئًا، رآته سيدة وقالته لسيدة أخرى والتي أعطتني إياه بدورها. ولا أعلم إن كانت السيدة الأخرى نقلته بشكل خاطئ عن الأولى، ولكنه على أية حال لم يكن صحيحًا".

سأل لوك بحدة: "وكيف علمت بذلك؟"

ابتسم الضابط.

"إن FZX4498 هو رقم سيارة اللورد ويتفيلد. كانت السيارة تقف أمام منزل بومينجتون في وقت الحادث وكان السائق يحتسى الشاي. لديه دليل نقى لا غبار عليه. ليس هناك شك أنه متورط بالأمر. ولم تغادر السيارة المبنى حتى السادسة والنصف حينما خرج سيده".

قال لوك: "نعم".

تهد الرجل: "هذا هو ما يحدث دائمًا يا سيدي، اختفى نصف الشهود قبل أن يصل المحقق إلى هناك ويحصل على التفاصيل".

أوما السير ولیم.

"افترضنا أن يكون رقم السيارة مقاربًا للرقم FZX4498. رقم يبدأ ربما بأربعين، وقد فعلنا أقصى ما بوسعنا ولكن

"آه، ولكنه على الأرجح ليس مجنونًا بالمعنى الحرفي للكلمة، هناك فرق كما تعلم".

قال لوك: "ينبغي أن أقول إنه يعرف طبيعة وعواقب تصرفاته".

قال بيلي بونز: "تمامًا".

"حسنًا، دعنا لا نهتم كثيرًا بالتقنيات القانونية، إننا لم نصل إلى هذه المرحلة بعد، وربما لن نصل إليها أبدًا. ما أريده منك يا صديقي العزيز هو بعض الحقائق: فقد وقع حادث بالشارع في يوم سباق الديربي بين الساعة الخامسة والسادسة مساءً؛ حيث دهست سيارة سيدة عجوزًا في وايت هول ولم تتوقف. كان اسم السيدة لافينيا بنكرتون. أريد منك التفتيش عن كل الحقائق الممكنة عن هذا الأمر".

تهد السير ولیم: "يمكنني أن أعرف لك كل شيء عن الأمر سريعًا، وعشرون دقيقة سوف تفي بالفرض".

كان صادقًا في كلمته: ففى أقل من هذا الوقت كان لوك يتحدث إلى ضابط البوليس المسئول عن الأمر.

"نعم يا سيدي، أتذكر التفاصيل، إن معظمها مكتوب لدى هنا". وأشار إلى الورقة التي كان لوك يتفحصها قائلًا: "أجربنا تحقيقًا. السيد ساتشر فيريل كان هو المحقق. كان الخطأ خطأ سائق السيارة".

"هل توصلتم إليه؟"

"لا يا سيدي".

"ما نوع السيارة التي دهست السيدة؟"

"مستحيل".

"ليس مستحيلاً. أنا واثق أن اللورد ويتفيلد ارتكب على الأقل سبع جرائم، إن لم يكن أكثر من ذلك".

قال السير وليم ثانية: "مستحيل".

"يا صديقى العزيز، لقد تفاخر بذلك أمامى ليلة أمس".

"هو مجنون إذن؟"

"إنه مجنون بالفعل، ولكنه شيطان ماهر. ينبغي عليك أن تكون حذراً، لا تدعه يعلم أننا نملك به".

تمتم بيلي: "بونز: "أمر لا يصدق عقل...".

قال لوك: "ولكنه حقيقى".

وضع يده فوق كتف صديقه.

"اسمع يا عزيزى بيلي، سوف أحكى لك كل شيء. إليك

الحقائق".

تحدث الرجلان طويلاً وبشكل جدى.

وفى اليوم التالى عاد لوك إلى ويتشود. انطلق فى وقت مبكر من الصباح. كان بوسمه العودة فى الليلة السابقة، ولكنه مقت المبيت أسفل سقف منزل اللورد ويتفيلد أو قبول ضيافته تحت أى حال من الأحوال.

لذا خلال سيره عبر ويتشود أوقف سيارته عند منزل السيدة وينفليت. حدثت إليه الخادمة التى فتحت الباب فى دهشة، ولكنها قادتته حتى غرفة الطعام الصغيرة التى كانت تجلس بها السيدة وينفليت لتناول الإفطار.

نهضت لاستقباله وهى مندهشة بعض الشيء.

بدون جدوى: فقد استجوبنا أصحاب سيارات ذات أرقام مشابهة، ولكنهم جميعاً قدموا حجج غياب مرضية".

نظر السير وليم إلى لوك فى شك.

هز لوك رأسه وقال:

"شكراً لك يا بونز: هذا يفى بالفرض".

وحينما خرج الرجل، نظر بيلي بونز فى حيرة إلى صديقه.

"لماذا تثير كل هذه الجلبة يا فيتز؟"

تهدد لوك قائلاً: "إن كل شيء يتطابق مع بعضه البعض.

كانت لاهينيا بنكرتون آتية إلى هنا لكشف الأمر - لإبلاغ رجال

البوليس المحنكين فى سكوتلاند يارد عن القاتل الشرير. لا

أعلم إن كنت ستنتصت لها أم لا. على الأرجح لا".

قال السير وليم: "ربما فعلنا. إننا نعلم بشأن الجرائم بتلك

الطريقة. مجرد شائعات ونميمة. إننا لا نقض الطرف عن مثل

هذه الأشياء، أؤكد لك هذا".

"وهذا هو ما اعتقدته القاتل. لم يكن ليخطر بخل من

لاهينيا بنكرتون، وبالرغم من وجود امرأة كانت ماهرة بما فيه

الكفاية لتلتقط رقبته إلا أنه لم يصدقها أحد".

غاص بيلي بونز فى مقعده شاردًا.

"أنت لا تقصد...".

"نعم، أقصد هذا. أراهنك على أى شيء تريده أن ويتفيلد

هو من دهسها، لا أعرف كيف فعل هذا. كان السائق متعباً

يشرب الشاي، وبطريقة أو بأخرى على ما افترض تسلل وارتنى

ملابس وقبعة سائق، ولكنه فعل ذلك يا بيلي".

لم يُصَيِّع وقتًا قائلًا: "لابد أن أعتذر لزيارتي لك فجأة في مثل هذه الساعة".

نظر حوله، غادرت الخادمة الغرفة، وأغلقت الباب فقال: "سوف أطرح عليك سؤالاً يا سيده ويتقبلت. إنه سؤال شخصي ولكني أعتقد أنك ستسامحيني على طرحي إياه".

"من فضلك اسألني عن أى شيء تريده؛ فأنا واثقة أن السبب الذي يجعلك تطرحه وجيه حقًا".

"شكرًا لك".

سكت.

"أريد أن أعرف بالتفصيل لماذا فسخت خملتك على اللورد ويتفيلد منذ كل هذه السنوات".

لم تكن تتوقع مثل هذا السؤال؛ فتورد وجهها ووضعت يدها على صدرها.

"هل أخبرك بأى شيء؟"

أجاب لوك: "أخبرني بشيء ما عن طائر. طائر مات...".

"هل قال لك هذا؟"، كان صوتها متحيرًا وهي تضيف: "هل اعترف بذلك؟ هذا غير طبيعي!"

"هلا حكيت لى من فضلك؟"

"حسنًا، سوف أخبرك، ولكن من فضلك لا تتحدث معي في هذا الشأن أبدًا. أعني مع جوردون؛ فكل هذا جزء من الماضي وأنا لا أريد إحياءه ثانية".

نظرت إليه في استجداء.

أوما لوك قائلًا:

"أنا أود أن أعرف فقط للإشباع الشخصي؛ فأنا لن أرد كلمة مما ستقولينه لى".

"أشكرك". استمادت رباطة جأشها. كان صوتها هادئًا حينما واصلت كلامها: "كان هذا صحيحًا، كان لدى طائر كنارى. كنت أعشقه، وربما كنت مسخيفة بمض الشيء بخصوص هذا الأمر، ولكن كان هذا حال الفتيات في ذلك الحين، كن. حسنًا، متيمات بطبورهن. لابد أن ذلك كان يثير حنق الرجال. أدرك هذا".

قال لوك حينما سكتت: "نعم".

"كان جوردون يشعر بالفيرة من الطائر؛ فقال لى ذات يوم فى غضب: "أعرف أنك تحبين هذا الطائر أكثر منى". وما كان منى إلا أن بادرت بالضحك وقلت له بالطريقة المسخيفة التى كانت تستخدمها الفتيات فى هذا الوقت: "بالطبع يا طائرى الجميل، أنا أحبك أكثر من حتى كبير مسخيف!" بعد ذلك، يا إلهي! كان الأمر مخيفًا. أخذ جوردون الطائر منى ودك عنقه. كانت بمثابة الصدمة بالنسبة لى، أنا لن أنسى هذا أبدًا".

امتنع وجهها للغاية.

قال لوك: "وهكذا فسخت الخطبة؟"

"نعم. تغيرت مشاعرى نحوه بعد ذلك؛ فكما ترى يا سيد فيتزوليم، ترددت؛ إن الأمر لا يتعلق بالتصرف فقط، فربما يكون قد فعل هذا من منطلق الفيرة والغضب، ولكنه يتعلق بالشعور الذى ساورنى بأنه استمتع بالقيام بذلك. ذلك هو ما أفزعنى!"

تمتم لوك: "حتى قبل كل هذه الفترة. حتى فى تلك الأيام...".

وضعت يدها على ذراعه.

"سيد فيتزوليم-".

قابل نظرة الاستجداء الخائفة فى عينيها بنظرة واثقة حزينة.

قال: "إنه السيد ويتفيلد الذى ارتكب كل هذه الجرائم! وأنت كنت تعلمين هذا طوال هذا الوقت، أليس كذلك؟".

هزت رأسها بقوة.

"لم أكن أعرف هذا! لو كنت أعرف هذا فى ذلك الوقت لكنت تكلمت بالمبلع. لا، كان مجرد ريب".

"ومع ذلك لم تلمحى لى حتى بالأمس؟".

صفت يديها فى مرارة مفاجئة.

"وكيف لى أن أفعل هذا؟ كيف لى؟ لقد كنت مفرمة به ذات يوم...".

قال لوك برفق: "نعم، أفهم هذا".

استدارت وهتشت فى حقيبتها وأخرجت منديلًا مطرز الحواف مسحته به عينيها. عادت ثانية مجففة العينين بمدما استعادت رباطة جأشها.

قالت: "أنا سعيدة للغاية لأن بريدجيت فسخت خطبتها به. إنها سوف تتزوجك أنت، أليس كذلك؟".

"بلى".

قالت السيدة وينفيلت بجدية: "إنك مناسب لها أكثر منه".

عجز لوك عن منع نفسه من التبسم قليلاً.

لكن وجه السيدة وينفيلت تجهم وبدأ عليه القلق. انكأت للأمام ومرة أخرى وضعت يدها على ذراعه.

قالت: "كن حريصاً، يجب أن يتوخى كلاكما الحرص".

"أنتعين من اللورد ويتفيلد؟".

"نعم، من الأفضل ألا تخبراه".

قطب لوك: "لا أعتقد أن أيًا منا تروق له هذه الفكرة".

"وما الفارق؟ يبدو أنكما لا تدركان أنه مجنون. مجنون. لن

يقبل بهذا. ولو للحظة! لو حدث لها شيء-".

"لن يحدث شيء لها!".

"نعم. أعلم هذا. ولكن عليك أن تدرك أنه يفوقك مكرًا!

إنه ماهر بفيض! خذها بعيداً على الفور. هذا هو الأمل الوحيد.

اطلب منها السفر للخارج؛ فليسافر كلاكما للخارج!".

قال لوك ببطء:

"قد يكون من الأفضل لها المغادرة، لكنى سأبقى".

"كنت أخشى أن تقول هذا، ولكن على أية حال أبعدا عن

هنا. على الفور من فضلك!".

أومأ لوك ببطء قائلاً:

"أعتقد أنك محقة".

"أعلم أنتى محقة! أبعدا قبل أن يفوت الأوان!".

## الفصل ١٩ فسخ الخطبة

سمعت بريدجيت صوت سيارة لوك؛ فخرجت مسرعة لمقابلته.

قالت دون تمهيد:  
"نقد أخيرته".

شعر لوك بالذهول. "ماذا؟"  
كان فزعته شديداً حتى إنها لاحظته.  
"لوك. ما الأمر؟ تبدو منزعجاً".

قال ببطء:

"أعتقد أننا اتفقنا أن ننتظر حتى أعود".

"أعرف، ولكنني اعتقدت أنه ربما يكون من الأفضل أن  
نتنهي من الأمر؛ فهو كان يستعد لزواجنا وشهر العسل وكل  
هذه الأمور؛ فاضطرت أن أخبره".

أضافت بينما يتخلل صوتها نبرة لوم:  
"كان ذلك هو التصرف اللائق الوحيد".

www.liilas.com/vb3  
www.liilas.com/vb3  
www.liilas.com/vb3  
www.liilas.com/vb3  
www.liilas.com/vb3  
www.liilas.com/vb3  
www.liilas.com/vb3  
www.liilas.com/vb3  
www.liilas.com/vb3  
www.liilas.com/vb3  
www.liilas.com/vb3  
www.liilas.com/vb3

اعترف لها بذلك.

"من وجهة نظرك نعم، نعم، أنهم هذا".

"من وجهة نظر كل من أعرفهم".

قال لوك ببساطة:

"هناك أوقات لا يستطيع المرء أن يتعلّى فيها باللباقة".

"ماذا تعنى يا لوك؟"

أشار بيده بطريقة تتم عن نقاد الصبر.

"لا أستطيع أن أخبرك هنا، والآن كيف كان رد فعل ويتيلد؟"

"جيد بشكل غريب، لقد شعرت بالخزى. أعتقد يا لوك أنتى

بخست من قدر جوردون. فقط لأنه مفرور للغاية وتافه فى بعض

الأحيان. أعتقد فى الحقيقة أنه - حسناً - رجل ضئيل عظيم".

أوماً لوك.

"نعم، ربما يكون رجلاً عظيماً. فى مناح لم تكن نتغليها.

اسمعى يا بريديجيت لابد أن تفادى هذا المكان فى أسرع وقت

مممكن".

"هذا طبيعى، سوف أحزم أشياءى وأغادر اليوم. ربما

يمكنك توصيلى إلى المدينة. لا أعتقد أنه من الممكن أن يقيم

كلانا فى بيلز أند موتلى. هذا إن كان فريق إيلسورثى قد

غادرا".

هز لوك رأسه.

"لا، من الأفضل أن تعودى إلى لندن. سوف أشرح لك كل

شئ لاحقاً، وفى الوقت ذاته أعتقد أنه من الأفضل أن التقى

ب ويتيلد".

"أعتقد أنه ينبغي عليك ذلك، إن الأمر بشع للغاية، ألا

تعتقد هذا؟ أشعر وكأننى طلمنته بختنجر ذهبى صغير".

ابتسم لها لوك.

"كانت صفقة عادلة بما فيه الكفاية. كنت صريحة معه.

على أية حال ليس هناك جدوى من البكاء على الماضى وما

حدث بالفعل، سوف أذهب لرؤية ويتيلد الآن".

وجد ويتيلد يذرع غرفة الاستقبال جيئةً وذهاباً. كان هادئاً

بشكل غريب، بل كانت هناك ابتسامة صغيرة فوق شفثيه، ولكن

لوك لاحظ شرياناً ينبض بقوة فى صدغه.

استدار حينما دخل لوك.

"آه، هأنذا يا فيتزوليم".

قال لوك:

"لا جدوى من أن أقول إننى نادى على ما فعلت - فذلك

سوف يكون نقاشاً أعترف أنتى - من وجهة نظرك - انتهجت

تصرفاً سيئاً، ولكن ليس لدى ما أقوله دفاعاً عن نفسى. هذه

الأمر تحدث".

واصل اللورد ويتيلد خطواته.

"صحيح - صحيح". لوح بيده.

قال لوك:

"أنا وبريديجيت قمنا بإهانتك، ولكن هذا هو ما حدث! إننا

نحب بعضنا البعض. وليس هناك ما يمكننا فعله إزاء هذا.

فيما عدنا أن نخبرك بالحقيقة وننتهى من الأمر".

نقضت عهدها. ولكن ما من سبيل للترجع فى هذه الحياة، فإن كسرت القوانين لا بد أن ترضخ للعقاب...".

أطبق لوك أصابعه وقال:

"هل تمنى أن ثمة شيئاً سوف يحدث لبريدجيت، الآن اسمعنى جيداً يا ويتفيلد، ما من شيء سوف يحدث لبريدجيت، ولا لى، إن حاولت القيام بأى شيء من ذلك القبيح، فستكون تلك هى نهايتك. من الأفضل أن تتوخى الحذراً فأنا أعرف الكثير منك".

قال اللورد ويتفيلد: "لا دخل للأمري. أنا فقط أداة فى يد قوة أكبر، وما تقرره هذه القوة هو الذى يحدث".

قال لوك: "أرى أنك تؤمن بهذا".

"لأن هذه هى الحقيقة أى شخص يقف فى وجهى ينال جزاء، وأنت وبريدجيت لن تكونا استثناء من هذه القاعدة".  
قال لوك:

"أنت مخطئ فى هذا؛ فهما كانت الفترة التى حالفك الحظ بها فلا بد لها أن تأتى النهاية. وحظك السعيد على وشك أن ينتهى".

قال اللورد ويتفيلد برقة:

"يا صديقى الشاب، أنت لا تعرف إلى من تتحدث. لا يمكن أن يمسنى مكروه".

"هل هذا صحيح؟ سوف نرى. من الأفضل لك أن تتوخى الحذراً يا ويتفيلد".

توقف اللورد ويتفيلد. نظر إلى لوك بعينين شاحبتين بارزتين.

قال: "لأليس هناك ما يمكننا فعله إزاء هذا؟".

كان يتخلل صوته نبرة مثيرة للفضول للغاية. وقف ينظر إلى لوك وهو يهز رأسه فى أسى.

قال لوك بحدة: "ماذا معنى؟".

قال اللورد ويتفيلد: "ليس هناك ما يمكنك فعله؛ فقد فات الأوان".

اقترب منه لوك خطوة.

"أخبرنى ماذا تعنى؟".

قال اللورد ويتفيلد على نحو غير متوقع:

"أسأل هورونيا وينفليت، إنها ستفهم. إنها تعرف ماذا يحدث. لقد تحدثت معى فى هذا الشأن ذات مرة".  
"ماذا تفهم؟".

قال اللورد ويتفيلد:

"إن الشر لا يضىء دون عقاب. لا بد أن يتحقق العدل، أنا حزين لأننى مفرم ببريدجيت. أنا حزين من أجلكما إلى حد ما".

قال لوك:

"هل تهددنا؟".

بدأ اللورد ويتفيلد مصدوماً بالفعل.

"لا، لا يا عزيزى. أنا ليس لى دخل بالأمر؛ حينما منحت بريدجيت شرف أن تصبح زوجتى قبلت مسؤوليات بعينها. الآن

ذهبت بريدجيت مباشرة إلى غرفة الاستقبال بينما تبعها لوك عن كثب.

كان اللورد ويتفيلد يقف إلى جوار النافذة يتحدث إلى السيدة وينفليت. كان يمسك بسكين ذات نصل طويل رفيع في يده.

كان يقول: "عمل يدوى رائع. أحد الشباب الذين يعملون لدى أحضره لى من المغرب حيث كان يعمل مراسلاً خاصاً. إنه مغربى بالطبع". مرر إصبعه بطول النصل قائلاً: "يا له من حد".

قالت السيدة وينفليت بحدة:

"اضعه بعيداً يا جورديون من فضلك".

ابتسم ووضع بين مجموعة الأسلحة الأخرى على الطاولة. قال برهق: "أحب ملمسه".

كانت السيدة وينفليت قد فقدت بعضاً من رباطة جأشها. بدت شاحبة ومتوترة.

قالت: "بريدجيت عزيزتى".

ضحك اللورد ويتفيلد.

"نعم، ها هي بريدجيت. استمتعي بصحبته بقدر استطاعتك يا هورونيا؛ فهي لن تبقى معنا طويلاً".

قالت السيدة وينفليت بحدة:

"ماذا تعنى؟"

"أعنى؟ أمنى أنها ذاهبة إلى لندن. هذا صحيح. أليس كذلك؟ هذا هو كل ما قصدته".

تغير سلوك الآخر بعض الشيء. كان صوته قد تغير حينما تحدث ثانية.

قال اللورد ويتفيلد: "لقد كنت صبوراً معك للغاية. لا تختبر صبرى أكثر من ذلك. اخرج من هنا".

قال لوك: "سوف أغادر بأقصى سرعة ممكنة، لكن تذكر أننى حذرتك".

استدار وخرج بسرعة من الغرفة. ركض إلى الطابق العلوى، وجد بريدجيت فى غرفتها تشرف على عملية حزم حقائبها التى تتولاها إحدى الخادومات.

"هل أنت جاهزة؟"

"خلال عشر دقائق".

طرحت عينها سؤالاً منعها وجود الخادمة من صياغته فى كلمات.

أولاً لها لوك بإيماء صغيرة.

ذهب إلى غرفته وجمع متعلقاته على عجل فى حقيبته.

عاد بعد عشر دقائق ليجد بريدجيت مستعدة للرحيل.

"هلا ذهبنا الآن؟"

"أنا مستعدة".

وأثناء هبوطهما الدرجات قابلا كبير الخدم صاعداً.

"جاءت السيدة وينفليت لرؤيتك يا آنستى".

"السيدة وينفليت؟ أين هي؟"

"فى غرفة الاستقبال مع سيدى".

نظر إليهم جميعاً.

قال: "لدى خبر لك يا هورونيا، إن بريدجيت لن تتزوج منى. لقد فضلت على فيتزوليم هذا. إنها حياة غريبة حقاً. حسناً، سأترككم تتحدثون".

غادر الغرفة بينما تلعب يده بالعملات المعدنية فى جيبيه.

قالت السيدة وينفليت: "يا إلهى! يا إلهى -".

كان القلق فى صوتها ملحوظاً للغاية حتى إن بريدجيت اندهشت بعض الشيء: فقالت بتعجب:

"أنا أسفة. أنا حقاً أسفة للغاية".

قالت السيدة وينفليت:

"إنه غاضب. إنه غاضب لدرجة مخيفة. يا إلهى هذا بشع.

ماذا سنفعل؟"

حدثت إليها بريدجيت.

"ماذا سنفعل؟ ماذا نقصدين؟"

قالت السيدة وينفليت مضمضة كليهما فى عتابها:

"ما كان ينبغى أن تخبراه!".

قالت بريدجيت:

"هذا هراء. ماذا غير ذلك كان بوسعنا أن نفعل؟".

"ما كان يجب أن تخبراه الآن. كان ينبغى أن نتطعنا حتى تتركنا المكان".

قالت بريدجيت بإيجاز:

"هذه مسألة رأى ورأى آخر. أنا شخصياً أعتقد أنه من الأفضل إعلان الأخبار غير السارة على الفور".

"يا عزيزتى، إن كان هذا هو كل ما فى الأمر فقط -".

سكتت. بعد ذلك طرحت عينها سؤالاً على لوك.

هز لوك رأسه. شكلت شفتاه هذه الجملة: "لم أخبرها بعد".

تمتمت السيدة وينفليت: "أرى هذا".

قالت بريدجيت ببعض السخط:

"هل أردت رؤيتى لسبب معين يا سيدة وينفليت؟"

"حسناً. نعم. فى الواقع جئت أقترح عليك الإتيان لزيارتي؛ فقد ظننت أنك قد لا تترادين هنا وأنك ربما ترغبين فى البقاء فى مكان آخر حتى تنتهى من ترتيبات الرحيل".

"شكراً لك يا سيدة وينفليت، هذا كرم بالغ منك".

"كما تعلمين، سوف تكونين بأمان معى و-".

قاطعتها بريدجيت:

"بأمان؟".

قالت السيدة وينفليت بسرعة وهى مرتبكة بعض الشيء:

"مرتاحة. هذا ما قصدته. ستشعرين بالراحة معى. أعرف

أن منزلى ليس فخماً مثل هذا المنزل بالطبع، ولكن الماء لدى ساخن وخادمتى الصغيرة إميلي تطهو طعاماً جيداً".

قالت بريدجيت تلقائياً: "أنا واثقة من أن البقاء لديك سيكون ممتعاً يا سيدة وينفليت".

"ولكن إن كنت ذاهبة بالطبع إلى المدينة فسوف يكون ذلك أفضل كثيراً...".

قالت بريدجيت ببطء:

ثم نظر إلى السيدة وينفليت قائلاً:

"هل باستطاعتنا المجيء إلى منزلك فى غضون نصف ساعة من الآن؟ هناك عدة أشياء أريد أن أحدثك عنها".

"من فضلكما تماليا. سوف أنتظركما هناك".

وضع لوك يده على ذراع بريديجيت، وأوماً إيماءة شكر للسيدة وينفليت.

قال: "سوف نأخذ حقايبنا لاحقاً. هيا بنا".

قادها إلى خارج الغرفة ومنها إلى الردهة حتى الباب الأمامى. فتح باب السيارة. دخلت بريديجيت. شغل لوك المحرك وقاد بسرعة فى الطريق. تهجد بشكل بنم عن الراحة بعد خروجهما من البوابات الحديدية.

قال: "الحمد لله أنتى أخرجتك من هناك سالمة".

"هل جن جنونك يا لوك؟ ما كل هذه الإيماءات والإشارات لى بأن أسكت. ولا أستطيع أن أخبرك ماذا أعنى الآن؟ ما الأمر؟"

قال لوك بجديّة:

"حسناً، هناك صعوبة أن تخبرى أحداً بأنه قاتل وأنت موجودة تحت سقف منزله!"

"إن الأمر محير بعض الشيء. إن عمتى خرجت مبكراً لحضور معرض زهور اليوم. ولم تسخ لى فرصة لإخبارها بما حدث بعد. سوف أترك لها رسالة أخبرها فيها أنتى ذهبت إلى شقتنا".

"هل ستذهبن إلى شقة عمك فى لندن؟"

"نعم. ليس هناك أحد بالشقة، ولكن يمكننى تناول الطعام بالخارج".

"سوف تمكثين وحده بالشقة؟ يا إلهى! لو كنت مكانك ما فعلت هذا. لا تبقى هناك وحده".

قالت بريديجيت فى نفاذ صبر: "لن يأكلنى أحد. علاوة على ذلك فإن عمتى ستأتى إلى غداً".

هزت السيدة وينفليت رأسها فى قلق.

قال لوك:

"من الأفضل لك الذهاب إلى فندق".

استدارت بريديجيت نحوه.

"لماذا؟ ما خطبكما؟ لماذا تتعاملان معى وكأننى طفلة ممتوهة؟"

اعترضت السيدة وينفليت: "لا، لا يا عزيزتى. نحن نريد منك أن تكونى حريصة فحسب: هذا هو كل ما فى الأمر".

"لكن لماذا؟ لماذا؟ ما الأمر؟"

قال لوك: "اسمعى يا بريديجيت. أود أن أتحدث معك. لكن لا أستطيع أن أفعل هذا هنا. تعالى معى الآن فى سيارتى وسوف نذهب إلى مكان هادئ".

## الفصل ٢٠

### نحن مشتركان في هذا - معا

جلست بریدجیت بدون حراك إلى جوارهم. قالت:

"جوردون؟"

أوماً لوك.

"جوردون؟ جوردون. قاتل؟ جوردون هو القاتل؟ أنا لم  
يسبق لي أن سمعت شيئاً سيئاً مثل هذا في حياتي!"  
"أنت مندهشة؟"

"نعم، بالفعل. إن جوردون ليس بإمكانه إيذاء ذبابة".

قال لوك في تجهم:

"ربما يكون هذا صحيحاً. لا أعلم ولكنه بدون شك قتل ماثر  
كناري، وأنا واثق أنه قتل كذلك عددًا كبيراً من بني البشر".  
"عزيزي لوك، أنا ببساطة لا أصدق هذا!"

قال لوك: "أعلم. يبدو هذا صعب التصديق. أنا لم أشك  
قط في أنه أحد المشتبه بهم حتى ليلة أمس الأول".

اعترضت بریدجیت:

"هذا هو سبب المشكلة على الأرجح. لا أعلم. لكن فكّر يا بريديجيت. فكرى قليلاً. هل تذكرين كل هذه العبارات التي كنت تصفينها بها ساخرة. الطعن في الذات المبهجة وما إلى ذلك. ألا تدركين أن نفس هذا الرجل تبلغ من التكبر درجة تفوق الحد؟ بالإضافة إلى أنه يوثق هذا بالدين. يا عزيزتى، إن الرجل معتوه".

فكرت بريديجيت قليلاً.

قالت أخيراً: "مازلت أعجز عن تصديق هذا. ما الدليل الذى يحوزتك يا لوك؟"

"حسناً، هناك الكلام الذى قاله بنفسه. أخبرنى ببساطة وبصراحة فى الليلة السابقة ليلية أمس أن أى شخص يقف فى وجهه يموت دوماً".

"واصل كلامك".

"لا أستطيع أن أشرح لك ماذا أعنى. لكن ثمة شيء ما بالطريقة التي قال بها ذلك. كان هادئاً وراضياً عن نفسه. كيف يمكننى أن أصيخ لك هذا؟. معناد على الفكرة! كان فقط يجلس هناك مبتسماً... كان الأمر غريباً وبشعاً للغاية يا بريديجيت".

"واصل كلامك".

"حسناً، بعد ذلك أعطانى قائمة بالأشخاص الذين توقعوا لأنهم أزعجوا جلالته؛ وأنصت إلى هذا يا بريديجيت، الأشخاص الذين كرههم كانوا السيدة هورتون وأمى جيبس وتومى بيرس وهارى كارتير وهامبلباى وهذا السائق ريفرز".

"ولكنى أعلم كل شيء عن جوردون! أعلم من هو! إنه حقاً رجل ضئيل لطيف. متروور نعم، ولكنه مثير للشفقة فى الواقع".

هز لوك رأسه: "كل ما عليك فعله هو إعادة برمجة أفكارك بشأنه يا بريديجيت".

"لا جدوى من ذلك يا لوك، أنا ببساطة لا أصدق هذا ما الذى وضع مثل هذه الفكرة السخيفة فى رأسك؟ منذ يومين كنت مقتنعاً أن إليسورثى هو القاتل".

أجفل لوك قليلاً.

"أعلم. أعلم. أنت على الأرجح تعتقدين أننى غداً سوف أشك فى توماس. وفى اليوم التالى سأكون مقتنعاً بأن هورتون هو من أسعى للثيل منه! أنا لست غير متزن إلى هذه الدرجة. أعترف أن الفكرة تكون مفزعة حين التفكير فيها للمرة الأولى، ولكن إن دقت النظر بها سوف تكتشفين أن كل شيء مترابط مع بعضه البعض بشكل جيد. لا عجب أن السيدة بنكرتون لم تواتها الجراءة للذهاب إلى الشرطة المحلية. كانت تعلم أنهم سيسخرون منها! كانت سكوتلاند يارد هى أمهلها الوحيد".

"ولكن ما الدافع الذى قد يجعله يقتل كل هؤلاء؟ يا إلهى إن الأمر سخيف للغاية".

"أعلم. ولكن ألا تلاحظين كم يحب جوردون ويتفيلد تمجيد نفسه؟".

قالت بريديجيت: "إنه يتظاهر بأنه شخص رائع ومهم للغاية. مجرد شخص مصاب بعقدة النقص لا أكثر. رجل مسكين".

"قالت لى مرة أو مرتين أشياء غريبة. وكأنها تحذرنى من شىء ما... لم أفهم ماذا كانت تمنى فى ذلك الحين... لكننى أفهم الآن".

قال لوك: "كل شىء يتطابق مع بعضه البعض. هذا هو الحال. فى البداية المرء يقول (كما قلت أنت) "مستحيل" وبعد ذلك يتقبل الفكرة: فكل شىء يتطابق مع بعضه البعض العنب الذى أرسله إلى السيدة هورتون. وكانت تعتقد أن الممرضات يحاولن سمسها وزيارته لمؤسسة ويللرمان كروتز. فبطريقة أو بأخرى لابد أن يكون قد حصل على استنابات ما لجراثومات وأصاب بها هاميلباى".

"لا أعرف كيف يمكنه القيام بذلك".

"وأنا أيضاً. ولكن الرابط موجود. ولا يمكن لأحد إنكاره".  
"لا... كما تقول. كل شىء يتطابق. وبالطبع هو يستطيع القيام بأمور لا يستطيع غيره القيام بها! أعنى أنه فوق كل الشبهات".

"أعتقد أن السيدة وينفليت ساورها الشك: فهى قد أتت على ذكر هذه الزيارة إلى المؤسسة. ذكرت الأمر عرضياً فى أحد الحوارات، ولكننى أؤمن أنها كانت تريد منى اتخاذ إجراء ما بشأن هذا الأمر".

"كانت تعلم إذن منذ البداية؟"

"كان يساورها شك قوى للغاية. أعتقد أن ما أصابها بالشلل

هو حبها له ذات يوم".

أومأت بريديجيت.

شعرت بريديجيت بالصدمة أخيراً. شحب وجهها بشدة.

"هل ذكر هؤلاء بالتحديد؟"

"نعم هؤلاء بالتحديد! هل تصديق الآن؟"

"يا إلهي! أعتقد أن على تصديق ذلك... ما كانت دوافعه؟"

"تافهة للغاية. هذا هو ما جعل الأمر يبدو مرعباً. السيدة هورتون كانت تعامله بتمال. تومى بيرس قام بتقليده ذات مرة وجعل البستانيين يضحكون. هارى كارتير أساء معاملته. وأمى جيبس كانت وفحة معه، هاميلباى واتته الجراحة على تحديه علناً، وريفرز هدده أمامى وأمام السيدة وينفليت -".

وضمت بريديجيت يديها على عينيها.

تمتعت قائلة: "شنيع... هذا شنيع....".

"أعلم. وهناك أيضاً دليل آخر. السيارة التى دهست السيدة بنكرتون فى لندن كانت رولز وأرقامها هى نفس أرقام سيارة اللورد ويتفيلد".

قالت بريديجيت ببطء: "هذا يحسم الأمر إذن".

"نعم. ظن البوليس أن المرأة التى أعطتهم الأرقام مخطئة. مخطئة بالفعل".

قالت بريديجيت: "يمكننى تفهم ذلك: فحينما يكون هناك أمر يتعلق برجل ثرى وذى نفوذ مثل اللورد ويتفيلد، فمن الطبيعى أن تكون روايته هى الأصدق".

"نعم. أنا أفهم الآن التصوفية التى لاقتها السيدة بنكرتون".

قالت بريديجيت وهى مستغرقة فى التفكير:

عاد لوك بعقله إلى الوراء.

"قالت لي إنها ذاهبة إلى سكوتلاند يارد وأنت على ذكر شرطى القرية، قالت إنه رجل لطيف ولكنه غير مؤهل للتعامل مع جريمة قتل".

"كانت تلك هي المرة الأولى التي تذكر فيها الأمر؟".

"نعم".

"واصل كلامك".

"قالت بعد ذلك "أنت مدهش، يمكنكى رؤية ذلك. كنت مدهشة أنا الأخرى في البداية، لم أستطع تصديق الأمر. ظننت أنني أتخيل أشياء".

"وبعد ذلك؟".

"سألتهما إن كانت واثقة من أنها لم تكن تتخيل أشياء، ولكنها كانت رابطة الجاش "لا، كنت أعتقد ذلك هي المرة الأولى ولكن ليس في الثانية أو الثالثة أو الرابعة؛ فبعد ذلك يصبح المرء واثقاً".

قالت بريديجيت معلقة: "مدهش. واصل كلامك".

"لذا بالطبع استخففت بكلامها. قلت لها إنني واثق من أنها تفعل الصواب. تشككت في كلامها إلى أقصى حد".

"أعلم، من السهل أن تقع في هذا الخطأ! لقد ساورنى نفس الشعور: فكنت أتعامل مع السيدة المعجزة المسكينة بلطف وتعال وكأنها مجنونة! كيف سار الحديث بعد ذلك؟".

"دعيني أر. أما ذكرت قضية أبركرومبى، تعرفينها، الرجل الذى سمع الكثيرين فى ويلش، قالت إنها لم تصدق فى الواقع

"نعم، هذا يفسر الكثير من الأشياء. أخبرنى جوردون أنها كانا مخطوبين ذات يوم".

"لقد أرادت أن تصدق أنه ليس الفاعل، ولكنها ازدادت ثقة يوماً بعد يوم أنه القاتل. حاولت التمثيح لى أكثر من مرة، ولكنها لم تستطع القيام بأى شىء تؤذيه به! إن النساء هن مخلوقات غريبة! أعتقد أنها مازالت تهتم بأمره...".

"حتى بعد نبذه لها؟".

"هى من قامت بنبذه، إنها قصة بشعة. سوف أحكيها لك".  
حكى لها هذه القصة القبيحة القصيرة. حدثت بريديجيت إليه.

"جوردون فعل هذا؟".

"نعم. حتى فى تلك الأيام لم يكن سوياً".

ارتعدت بريديجيت وتمتمت قائلة:

"منذ كل هذه السنوات، منذ كل هذه السنوات...".

قال لوك:

"ربما يكون قد تخلص من الكثيرين والذين لن يتسنى لنا معرفة شىء عنهم؛ إنه فقط معدل القتل السريع المتوالى مؤخراً هو الذى جذب إليه الانتباه؛ وكأنما أصبح طائشاً فى نجاحه".

أومأت بريديجيت. ظلت صامته لدقيقة أو اثنتين تفكر ثم قالت فجأة:

"ماذا قالت لك بالضبط السيدة بنكرتون فى القطار فى ذلك اليوم؟ كيف بدأت الحوار؟".

كرر لوك كلماتها برزازة؛ فهي قد تركت انطباعاً قوياً عليه، ولذلك فإنه لم ينس كلماتها.

"قلت إنه من الصعب الإفلات بمثل هذا العدد من جرائم القتل فأجابني: "لا، يا عزيزي، أنت مخمّل في هذا؛ إذ من السهل أن تقتل. طالما لا أحد يشك بك؛ وكما ترى فإن الجاني هو آخر شخص يمكن أن يشك به أي أحد...".

سكت. قالت بريديجيت وهي ترتعد:

"من السهل أن تقتل؟ من السهل للغاية في الواقع... هذا صحيح؛ لا عجب أن هذه الكلمات ظلت ملتصقة بذهنك يا لوك. إنها ستظل عالقة بذهني طوال حياتي؛ رجل مثل جوردون ويتفيلد. آه، بالطبع هذا سهل".

قال لوك: "ليس سهلاً أن تعلن اكتشافك لمثل هذا الخبر".

"هذا صحيح؟ إن لدى فكرة يمكنني المساعدة بها".

"بريديجيت، أنا أمُنعك...".

"لا تستطيع منعي. أنا لن أختبئ وأحرص على بقائي بمأمن. أنا مشتركة في هذا معك يا لوك. ربما يكون الأمر خطيراً، نعم. أنا أعترف بهذا. ولكن عليّ لعب دوري".

"بريديجيت...".

"أنا مشتركة معك في هذا يا لوك؛ سوف أقبل دعوة السيدة وينفليت وأقيم معها هنا".

"عزيزتي، أتوسل إليك...".

"الأمر خطير لكلينا، أعلم هذا، ولكننا مشتركان في الأمر معاً يا لوك. نحن مشتركان فيه معاً".

أمر تلك النظرة الخاصة التي كان يرمق بها ضحاياها. ولكنها تصدقها الآن؛ لأنها رأتها بنفسها".

"ما الكلمات التي استخدمتها بالضبط؟".

فكر لوك وهو يقطب حاجبيه.

"قالت وهي لا تزال تستخدم تلك النبرة الأنثوية الراقية "بالطبع أنا لم أصدق هذا حين قرأت عنه. ولكنه صحيح". فقلت أنا: "ما الصحيح؟" فقالت: "النظرة على وجه هذا الشخص". وأقسم لك يا بريديجيت أن الطريقة التي قالت بها ذلك أسرّتي؛ صوتها الهادئ وتلك النظرة على وجهها. كانت مثل شخص رأى شيئاً من الشاعرة لدرجة أعجزته عن التحدث عنه".

"هيا يا لوك، حدثني عن كل شيء".

"بعد ذلك عدت الضحايا. آمي جيبس وكارتر وتومي بيرس، وقالت إن تومي كان فتى بشعاً وكارتر كان سكيراً. وبعد ذلك قالت: "ولكن الآن بالأمس كان دكتور هامبليباي. وهو رجل لطيف. رجل لطيف حقاً". وقالت إنها إذا ذهبت إلى هامبليباي وأخبرته فإنه لن يصدقها، سوف يضحك فقط".

تهدت بريديجيت بعمق.

قالت: "نعم، نعم".

نظر إليها لوك.

"ما الأمر يا بريديجيت؟ ما الذي تفكرين به؟".

"شيء قالته السيدة هامبليباي ذات مرة. كنت أساءل. لا،

لا تبال. استمر. ما الذي قالته لك حتى النهاية؟".

## الفصل ٢١

### "لماذا تتجولين عبر الحقول وأنت ترتدين قفازات؟"

إن المحيط الهادئ داخل منزل السيدة وينفليت كان بمثابة النقيض لتلك اللحظة المتوترة في السيارة. تلقت السيدة وينفليت قبول بريدجيت لدعوتها بتشكك؛ لكنها سارعت في تجديد عرضها لتثبت أن شكوكها قائمة على سبب آخر ليس له أدنى علاقة بعدم رغبتها في استقبال الفتاة.

قال لوك:

"أعتقد أن ذلك سيكون أفضل شيء يمكن فعله؛ فأنت كريمة للغاية يا سيدة وينفليت، وأنا سوف أقيم في بيلز آند مولتي. فبذلك ستكون تحت ناظري، وهذا أفضل من أن تكون بعيدة في المدينة. على أية حال، علينا تذكر ما حدث هناك قبل ذلك".

قالت السيدة وينفليت:

"أتمنى ما حدث لينكرتون؟"

"نعم، قد يعتقد المرء أن الشخص سيكون أكثر أماناً فى منتصف مدينة مزدحمة."

قالت السيدة وينفليت: "أنت تعنى أن أمان المرء يعتمد على حقيقة عدم رغبة أحد فى قتله؟"

"بالضبط. لقد أصبحنا مفرطى الاعتماد على ما يدعى الحضارة".

أومأت السيدة وينفليت برأسها فى فهم.

قالت بريدجيت:

"منذ متى وأنت تعرفين هذا . أن جوردون قاتل يا سيدة وينفليت؟"

تهدت السيدة وينفليت.

"هذا سؤال يصعب الإجابة عنه يا عزيزتى. أعتقد أننى كنت واثقة داخلياً منذ بعض الوقت... لكنى بذلت قصارى جهدى لنفي هذه الفكرة! فأنا لم أرغب فى تصديقها، لذا فقد تظاهرت بينى وبين نفسى أنها فكرة شريرة وبشمة من جانبى".

قال لوك فى هدوء:

"ألم يسبق لك أن شعرت بالخوف. على نفسك؟"

فكرت السيدة وينفليت فى كلامه.

"هل تقصد أنه قد يبحث عن وسيلة للتخلص منى إن ساوره الشك بأننى أعرف؟"

"نعم".

قالت السيدة وينفليت برفق:

"كنت مدركة بالطبع لهذا الاحتمال... وحاولت أن أكون حريصة، ولكنى لم أعتقد أن جوردون كان ليمتحننى تهديداً حقيقياً".

"لماذا؟"

تورد وجه السيدة وينفليت قليلاً:

"لا أظن أن جوردون قد يعتقد أننى قد أفعل أى شيء يؤذيه".

قال لوك فجأة:

"هل وصلت إلى هذا المدى، هل قمت بتحذيره؟"

"نعم، هذا ما حدث، ألمحت له أنه غريب حقاً أن أى شخص يضايقه يتعرض لحادث بعد ذلك بفترة قصيرة".

سألت بريدجيت:

"وماذا قال؟"

عمّ تعبير يتم عن القلق وجه السيدة وينفليت.

"لم تكن استجابته متوقعة بالمرة، بدا. وهذا غريب بالفعل! سعيداً... قال: "إذن لقد لاحظت هذا؟". كان معترفاً بنفسه للغاية إن صح التعبير".

قال لوك: "إنه مجنون بدون شك".

واقفت السيدة وينفليت.

"نعم فى الواقع، ليس هناك أى تفسير آخر محتمل. إنه ليس مسئولاً عن تصرفاته". وضعت يدها على ذراع لوك.

"إنهم - إنهم لن يشنقوه يا سيد فيتزوليم؟"

"لا، لا، سيرسلونه إلى برودمور على ما أعتقد".

تهدت السيدة وينفليت وأتكتأت للوراء.

"أنا سعيدة للغاية".

استقرت عيناها على بريديجيت التى كانت تقطب وتحديق بالسجادة.

قال لوك:

"ولكننا مازلنا بعيدين كل البعد عن هذا. لقد أبلفت السلطات بالأمر وأنا واثق منهم سيأخذونه بصورة جدية. ولكن علينا أن ندرك أن ما بين أيدينا من أدلة واه للفاية".

قالت بريديجيت: "سوف نحصل على دليل".

نظرت إليها السيدة وينفليت. كان هناك شيء ما فى تعبير وجهها ذكر لوك بشيء أو شخص لم يره منذ مدة طويلة. حاول أن يضع يده على هذه الذكرى المراوغة ولكنه فشل.

قالت السيدة وينفليت فى شك:

"أنت واثقة يا عزيزتى. حسناً، ربما تكونين محقة".

قال لوك:

"سوف أذهب بالسيارة يا بريديجيت وآتى بأشياك من المانور".

قالت بريديجيت على الفور:

"سوف آتى أيضاً".

"أفضل ألا تفعل".

"نعم، لكننى أفضل أن آتى".

قال لوك فى ضيق:

"لا تلعبى معى لعبة الأم والطفل يا بريديجيت! أرفض أن

تحمينى".

تمتعت السيدة وينفليت:

"أعتقد يا بريديجيت أنه سيكون بخير إن ذهب بسيارته وفى وضع النهار".

ضحكت بريديجيت فى خجل.

"أعرف أنتى أنصرف بحماقة؛ إن هذا الأمر يسبب لى التوتر".

قال لوك:

"إن السيدة وينفليت أوصلتلى حتى المنزل لحمايتى فى إحدى الليالى. هيا يا سيدة وينفليت اعترفى بهذا".

اعترفت بهذا وهى تبسم.

"كما ترى يا سيد فيتزوليم: فقد كنت بعيداً كل البعد عن أية شكوك! ولو كان جوردون ويتشيلد قد علم أنك جئت إلى هنا للتقريب فى شئونه فقط. حسناً، ما كان ذلك ليكون آمناً. وكان هذا الطريق مقفراً للغاية. أى شيء كان من الممكن أن يحدث".

قال لوك بجدية: "حسناً، أنا أدرك الخطر المحدق بى الآن. إنه لن يضبطنى نائماً، أؤكد لكما ذلك".

قالت السيدة وينفليت فى قلق:

"تذكر أنه ماطر للغاية. وأبرع مما قد تتخيل! إنه نابغ بالفعل".

"سوف أتوخى الحذر".

قالت السيدة وينفليت: "إن الرجال يتحلون بالشجاعة . نحن نعرف هذا، ولكنهم أسهل خداعاً من النساء".

قالت بريديجيت: "هذا صحيح".

قال لوك:

"هل تعتقدين يا سيدة وينفليت أننى فى خطر بالفعل؟ هل تعتقدين . بلفة السينما . أن اللورد ويتفيلد يسمى للنيل منى؟".

ترددت السيدة وينفليت،

قالت: "أعتقد أن بريديجيت هى المعرضة للخطر الحقيقى، فرفضها له يعد إهانة حقيقية له! وأعتقد أنه بعدما ينال من بريديجيت سوف يوجه أنظاره لك، ولكنى أؤمن أنه سيمسى للنيل منها أولاً".

تجهم لوك.

"أتمنى أن تسافرى على الفور يا بريديجيت".

زمت بريديجيت شفتيها معاً.

"لن أرحل".

تهدت السيدة وينفليت،

"أنت شجاعة يا بريديجيت، أنا معجبة بك".

"كنت ستفعلين نفس الشيء لو كنت مكانى".

"حسناً، ربما".

قالت بريديجيت بصوت واثق وعذب:

"أنا ولوك مشتركان فى هذا الأمر معاً".

رافقتة حتى الباب. قال لوك:

"سوف أتصل بك من بيلز أند موتلى حينما أخرج سالماً من عرين الأسد".

"من فضلك قم بذلك".

"يا عزيزتى، دعينا لا نفقد رباطة جأشنا حتى أعتى القاتلين يحتاجون إلى وقت لإعداد خططهم، يمكننى التأكيد أننا سنكون بأمان وبمنأى عن الخطر لمدة يوم أو اثنين. إن المراقب باتل سوف يصل من لندن اليوم، وحينما يحدث هذا سوف يصبح ويتفيلد تحت المراقبة".

"فى الواقع كل شىء على ما يرام؛ لذا علينا أن نكف عن إثارة كل هذه الجلبة".

قال لوك بتجهم وهو يضع يده على ذراعها:

"بريديجيت يا حبيبتى، سوف تعدينى بأنك لن تفعلنى أى شىء متهوراً".

"وأنت سوف تعدينى بالمثل يا عزيزى لوك".

ضغط على كتفها بشدة وقفز داخل السيارة وانطلق بها.

عادت بريديجيت إلى غرفة الجلوس. حدثتها السيدة وينفليت بصوت رقيق عجزو:

"عزيزتى، إن غرفتك ليست جاهزة بعد، إن إميلي تقوم بترتيبها. أتعلمين ما الذى سوف أفعله؟ سوف أعد لك فنجان شاي لطيفاً إنه ما تحتاجين إليه تماماً بعد كل هذه الأحداث المؤسفة".

"أنت كريمة للغاية يا سيدة وينفليت، ولكننى لا أريد

شاي".

قالت بريديجيت وهى تداعب أذنيه: "قط بدين لطيف".  
 عادت السيدة وينفليت فى هذه اللحظة.  
 قالت: "قطى الحبيب، إن ونكى بو مغرم بك، أليس كذلك؟  
 إنه شديد التحفظ مع الآخرين؛ انتهى لأذنه يا عزيزتى؛ فقد  
 كانت مصابة مؤخراً وما زالت تؤلمه للغاية".  
 جاء التحذير متأخراً؛ فقد مرت يد بريديجيت على الأذن  
 المتألّمة. بصق ونكى بو عليها وابعد فى صورة كتلة برتقالية  
 مجروحة المشاعر.  
 صاحبت السيدة وينفليت: "يا إلهى! هل خدشك؟".  
 قالت بريديجيت وهى تمص الدم من الجرح فى ظهر يدها  
 "جرح بسيط".  
 "هلا وضمت بعض اليود عليه؟".  
 "لا، لا، لا بأس، إنه صغير للغاية، دعينا لا نُثَرّ جلبة  
 بشأنه".  
 بدت السيدة وينفليت محبطة قليلاً، وللتخلص من شعورها  
 بأنها كانت وقحة قالت بريديجيت بسرعة:  
 "أنساءل كم من الوقت سيغيب لوك؟".  
 "لا تقلقى يا عزيزتى، أعتقد أن السيد هيتزوليم قادر على  
 العناية بنفسه".  
 "إن لوك هو رجل صلب بالفعل!".  
 فى تلك اللحظة رن جرس الهاتف، فأسمرت نحوه  
 بريديجيت، أجابها لوك:

ما كانت تريده بريديجيت حقاً هو أى مشروب آخر أقوى،  
 ولكنها فطنت أنها لن تحصل على مثل هذا النوع من الشراب  
 المنعش هنا. كانت تبغض الشاي كثيراً؛ فكان يسبب لها عسر  
 هضم. لكن السيدة وينفليت كانت قد قررت أن الشاي هو  
 الشيء الذى تحتاج إليه ضيفتها الشابة، فانطلقت خارج الغرفة  
 وعادت بعد خمس دقائق بوجه مشرق وهى تحمل صينية يستقر  
 فوقها قدحان مملوءان بسائل مفلّى جميل الرائحة.  
 قالت السيدة وينفليت فى فخر: "لابسانج سوشونج  
 حقيقى".  
 اشتهت بريديجيت التى كانت تبغض الشاي الصينى أكثر  
 من بقضها للشاي الهندى.  
 فى هذه اللحظة دخلت إميلي. وهى فتاة ضئيلة الحجم  
 تبدو مصابة بالرعونة والزائدة الدودية. وأعلنت:  
 "عذراً يا سيدتى، أريد منك أن تأتى لمساعدتى فى ترتيب  
 الغرفة".  
 غادرت السيدة وينفليت الغرفة، فاستغلت بريديجيت هذه  
 الفرصة وسكبت شايها من النافذة والذى كاد يسقط على  
 ونكى بو الذى كان يجلس أسفل النافذة على إحدى المزهار.  
 قبل ونكى بو اعتذارها وصعد على حافة النافذة ليدخل  
 الغرفة ويقفز على كفى بريديجيت وهو يموء.  
 قالت بريديجيت وهى تمر يدها على ظهره: "قط  
 جميل!".  
 قوّس ونكى بو ذيله وأخذ يموء بقوة أكبر.

"مرحباً؟ هل هذا أنت يا بريدجيت؟ أنا فى ملهى بيلز أند موتلى. هل يمكنك تأجيل خططك إلى ما بعد الغداء؟ لأن باطل وصل إلى هنا. أنت تدرين من أعنى-".

"المراقب من سكوتلاند يارد؟".

"نعم، وهو يرغب فى محادثتى على الفور".

"لا بأس. أحضر لى أشيائى بعد الغداء وأخبرنى برأيه فى الأمر".

"حسناً، الوداع يا حبيبتى".

"الوداع".

وضعت بريدجيت سماعة الهاتف وأعادت على مسامع السيدة وينفليت الحوار الذى دار بينهما، بعد ذلك تئاتت. فقد تلا شعورها بالإثارة شعور بالإجهاد.

لاحظت السيدة وينفليت هذا.

"أنت متعبة يا عزيزتى! من الأفضل أن تستلقى. لا، لن يكون ذلك تصرفاً حكيماً قبل الغداء. كنت على وشك أن أخذ بعض الملابس القديمة لسيدة تسكن كوخاً فى مكان قريب من هنا. إنها تمشية جميلة وسط الحقول. ربما قد تودين الإتيان معى؟ سوف نضيع بعض الوقت قبل الغداء".

وافقتها بريدجيت.

خرجتا متجهتين إلى وجهتيهما. كانت السيدة وينفليت ترتدى قبعة من القش وشيئاً آخر أثار دهشة بريدجيت ألا وهو ففاضات.

قالت لنفسها: "ربما سنذهب أيضاً إلى شارع بوند".

أخذت السيدة وينفليت تثرثر فى بهجة حول أمور ريفية بسيطة أثناء سيرهما، عبرتا حقليْن، ثم طريقاً وعراً، ثم أخذتا طريقاً يحيط به غبضة غير منتظمة من الأشجار. كان اليوم حاراً؛ لذا سعدت بريدجيت بظل الأشجار.

اقترحت عليها السيدة بريدجيت الجلوس ونيل قسط من الراحة.

"إن الجو دافئ اليوم، ألا تعتقدين هذا؟ لقد اعتقدت أن هناك رعداً بالسماء".

أذعنت بريدجيت وهى تشعر بالنعاس. استلقت ضد الضفة. كانت عيناها شبه مغلقتين. كانت بعض أبيات الشعر تتردد فى ذهنها.

لماذا تتجولين عبر الحقول وأنت ترتدين القفاضات.

أنت أيتها المرأة البيضاء البدينة التى لا يحبها أحد؟

ولكن لم يكن هذا صحيحاً فالسيدة وينفليت لم تكن بدينة. عدلت الكلمات لتناسب الواقع.

لماذا تتجولين عبر الحقول وأنت ترتدين القفاضات.

أنت أيتها السيدة النحيفة الشمطاء التى لا يحبها أحد؟

قطعت السيدة وينفليت حبل أفكارها.

"أنت تشعرين بالنعاس يا عزيزتى، أليس كذلك؟".

راقبت بريديجيت السيدة المعجوز عن كنب خلال عينيها شبه المفلقتين.

قالت لنفسها:

"أنا أستطيع التقلب عليها على أية حال! فعضلاتى قوية للغاية. كما أنها مجرد سيدة عجوز نحيفة وضعيفة. ولكن على أن أجعلها تتحدث. لا بد من هذا. لابد أن أجعلها تتحدث!"

كانت السيدة ويفليت تبتسم. لم تكن ابتسامة لطيفة بل كانت ابتسامة مكرة وليست بشرية.

فكرت بريديجيت:

"إنها تشبه العنزة. يا إلهي! إنها تشبه العنزة كثيرًا! طالما كانت العنزة رمزًا للشرا! أرى السبب فى ذلك الآن! كنت محقة. كانت الفكرة الخيالية التى راودتنى صحيحة! فما من شيطان أسوأ من امرأة منبوذة... كانت هذه هى البداية. هكذا بدأ الأمر".

تمتعت وفى هذه المرة كان الترقب واضحًا فى صوتها.

"لا أعلم ماذا أصابنى... ينتابنى شعور غريب... شعور غريب للغاية!"

نظرت السيدة ويفليت حولها بسرعة. كانت البقعة التى توجدان بها مقفلة للغاية؛ فكانت بعيدة عن القرية لدرجة لن تجعل أحدًا يسمع أية صيحات. ولم تكن هناك منازل أو أكواخ بالقرب من هذا المكان. بدأت تمثب بالحقيقة التى تحملها. الحقيقة التى كان من المفترض أن تضم ملابس قديمة. من الواضح أن هذا صحيح؛ فهى قد مزقت الكيس الورقى كاشفة

قالت هذه الكلمات بنبرة عادية رقيقة، ولكن شيئًا ما بها جعل بريديجيت تفتح عينيها فجأة.

كانت السيدة ويفليت تتكى للأمام نحوها. كانت عيناها متقدتين ولسانها يمر برق فوق شفيتها. كررت سؤالها: "أنت تشعرين بالنعاس، أليس كذلك؟".

فى هذه المرة لم يكن هناك مجال للخطأ فى تفسير معنى نبرة الصوت، مر وميض خلال عقل بريديجيت. وميض استيعاب لما يحدث تبعه شعور بالخزى من بلاهتها وحماقتها!

كانت تشك بالأمر. ولكن لم يمد هذا الشعور لديها أكثر من مجرد شك. أرادت أن تعمل بهدوء وسرية لتتأكد. ولكنها لم تشك للحظة أنها قد تمرض لأية محاولة إيذاء، وهى قد أخفت شكوكها تمامًا؛ فهى لم تكن لتجلم أن مكيدة قد تدبر فى مثل هذه السرعة. يا لك من غبية!

قالت لنفسها فجأة:

"الشأى. كان هناك شيء بالشأى. إنها لم تكن تعلم أننى لن أشربه. الآن تلك هى فرصتى لا بد أن أنظأهر! ما الذى وضعته فى الشأى يا ترى؟ سم؟ أم فقط مادة منومة؟ إنها تتوقع منى أن أكون شاعرة بالنعاس، هذا واضح".

تركت جفניה يسقطان ثانية، وفيما تمنى أن تكون نبرة صوت نعمة طبيعية قالت:

"أنا أشعر بالنعاس بشدة... هذا غريب! أنا لا أتذكر آخر مرة شعرت فيها بالنعاس بهذه الطريقة!"

أومات السيدة ويفليت برقة.

"إنها من أجلك يا بريديجيت. من أجلك! طالما بفضتك .  
كما تعلمين . منذ فترة طويلة".

قالت بريديجيت:

"لأنتى كنت سأتزوج جورديون ويتفيلد؟".

أومات السيدة وينفليت.

"أنت حاذقة. حاذقة للغاية! فهذا كما ترين سوف يكون  
الدليل الحاسم ضده. سوف يجدونك هنا . رقيبك منحورة .  
وسكينه، وبصمات أصابعه على السكين! كم كنت ذكية حينما  
طلبت رؤية هذه السكين فى هذا الصباح!

بعد ذلك قمت بدسها فى حقيبتي بعد أن غلفتها بمنديل أقاء  
وجودكما بالطابق العلوى. كان الأمر سهلاً للغاية. ولكن الأمر برمته  
كان فى غاية السهولة، حتى إننى كنت أجد صعوبة فى تصديقه".

قالت بريديجيت مستخدمة نفس نبرة الصوت الواهنة  
المكتومة لشخص مخدر بشدة:

"هذا . لأنك . ذكية . كشيطان...".

ضحكت السيدة وينفليت ضحكتها الصغيرة الأنثوية  
مجدداً. قالت بفخر بشع:

"نعم، طالما كنت ذكية، حتى حينما كنت شابة! ولكنهم لم  
يدعوني أفعل شيئاً... كان على البقاء فى المنزل. حيث لم أكن  
أفعل شيئاً. بعد ذلك جاء جورديون. هذا الشاب البسيط ابن  
صانع الأحذية، لكنه كان طموحاً للغاية. كنت أعلم أنه سيصبح  
ذا شأن يوماً ما. وقد نبذنى . نبذنى أنا كل ذلك بسبب هذا  
الأمر السخيف الخاص بالطائر".

عن ملابس صوفية ناعمة. ومع ذلك كانت تلك اليدان اللتان  
تكسوهما القفازات مازالتا تبحثان وتبحثان.

لماذا تتجولين عبر الحقول وأنت ترتدين القفازات؟

"نعم . لماذا؟ لماذا ترتدى قفازات؟".

بالطبع! بالطبع! كل شيء تم التخطيط له ببراعة!

مزقت التغليف، وبحرص أخرجت السيدة وينفليت السكين  
وأمسكت السكين بحرص شديد وكأنها لا تريد أن تفسد  
بصمات الأصابع التى توجد بالفعل فوقه . من حيث أمسكته  
الأصابع المكتنزة للورد ويتفيلد فى وقت مبكر من هذا اليوم فى  
غرفة الاستقبال فى آش مانور.

السكين المغربية ذات النصل الحاد.

شعرت بريديجيت بالفشيان. لا بد أن تكسب وقتاً . نعم لا بد  
أن تجعل السيدة تتحدث. هذه السيدة التحيفة المعجوز التى لا  
يعجبها أحد. إن الأمر ليس صعباً . لا ينبغي له أن يكون كذلك،  
فلا بد أنها ترغب فى التحدث بشدة . والشخص الوحيد الذى  
يمكنها التحدث إليه هو شخص مثل بريديجيت. شخص سوف  
تقوم بإسكاته للأبد.

قالت بريديجيت بصوت ضعيف ثقيل:

"ما . ما هذه السكين؟".

فى تلك اللحظة ضحكت السيدة وينفليت.

كانت ضحكة بشمة، رفيقة وموسيقية وأنثوية وغير بشرية

تماماً. قالت:

إن تلك الموهبة التى قامت بريدجيت بتطويرها . والتى سحرت اللورد ويتفيلد . موهبة الإنصات بتمعن أسدتها الكثير من النفع الآن؛ فربما تكون هورونيا وينفليت قاتلة مجنونة لكنها كانت تشترك مع غيرها من الناس فى صفة أكثر شيوعاً؛ فكانت إنسانة تود التحدث عن نفسها، ونظراً للمستوى الاجتماعى لهذه الإنسانة فإن بريدجيت كانت شخصاً ملائماً لتلقى الحديث.

قالت بصوت مشجع على مواصلة الكلام:

"كنت تودين قتله فى البداية -".

"نعم، ولكن هذا لم يكن مرضياً لى . فكان عادياً للغاية . كان على القيام بما هو أفضل من مجرد القتل، وبعد ذلك راودتني الفكرة، جاءتني بهذه البساطة، عليه نيل العقاب على جرائم لم يرتكبها، لابد أن يكون قاتلاً لابد أن يشفقوه من أجل جرائمى، أو إنهم سيعتقدون أنه مجنون ويتم احتجازه فى مستشفى طول حياته... وسيكون هذا أفضل".

ضحكت الآن ضحكة صغيرة بشعة... كانت عيناها تحدقان بحدقتين متسعيتين غريبتين.

"كما قلت لك، قرأت الكثير من الكتب عن الجريمة، كنت أنقئ ضحاياى بحرص. ولم يكن هناك من ارتاب فى الأمر فى البداية. وأنا كنت -"، ازداد صوتها عمقا "كنت أستمتع بالقتل... هذه المرأة البغيضة، ليديا هورتون، كانت تتعالى على - وذات مرة نبتت بالمرأة العجوز، كنت سعيدة حينما تشاجر جوردون معها، عصفوران بحجر واحد كما ظننت! كم حظيت

تظاهرت وكأنها تنصر شيئاً ما بيديها.

مرة أخرى اجتاح بريدجيت شعور بالثشان.

"جوردون يجرؤ على نبذى أنا. أنا ابنة الكولونيل وينفليت! أقسمت أنتى سأنتقم منه لذلك! ظلمت أفكر بالأمر ليلة بعد أخرى... وفى ذلك الحين فقدنا ثروتنا وأصبحنا فقراء. كان لابد لنا أن نبيع المنزل، وقد اشتراه وجاء لى تعالى على وعرض على وظيفة فى منزلى القديم. كم كرهته فى هذه اللحظة! ولكنى لم أكشف عن مشاعرى قط؛ فقد علمونا ذلك حينما كنا أطفالاً. كان تدريباً قيماً بالفعل، طالما اعتقدت أن مثل هذه المقدرة على السيطرة على المشاعر هى التى تميز أولاد الطبقات الراقية".

سكتت دقيقة، ظلت بريدجيت ترقبها وهى لا تجرؤ على التنفس تقريباً حتى لا تقطع تدفق الكلمات.

واصلت السيدة وينفليت كلامها برقة:

"كنت أفكر طوال الوقت... فى البداية لم أفكر سوى فى قتله. هذا حينما شرعت فى القراءة عن علم الجريمة. فى تحفظ بالطبع. بالمكتبة، وقد اكتشفت بعد ذلك أكثر من مرة أن قراءتى آتت ثمارها. باب حجرة أوى على سبيل المثال، إدارة المفتاح داخل القفل من الخارج باستخدام مسحية بعد أن غيرت مكان الزجاجتين بجوار فراشها. الطريقة التى كانت تشخر بها هذه الفتاة. كانت مثيرة للاشمئزاز للغاية".

سكتت.

"دعيني أتذكر، ماذا حدث بعد ذلك؟"

الفور. اعتقدت أن فكرة طلاء القبعات كانت حاذقة للغاية. وكون الباب مغلقاً من الداخل أبعدى عن كل الشبهات، ولكنني بالطبع كنت دوماً بعيدة عن الشبهات لأنه لم يكن لدى دافع. وأنت لا تستطيعين الاشتباه في ارتكاب شخص لجريمة قتل إن لم يكن لديه دافع. وكان التخلص من كارتر شديد السهولة كذلك. فكان يترنخ في الضباب وقد ذهب إلى يدفعته بسرعة: فأنا قوية للغاية كما تعلمين".

سكنت وضحكت ضحكتها الصغيرة البغيضة ثانية.  
"كان الأمر برمته ممثلاً للغاية! أنا لن أنسى أبداً وجه تومي حينما دفعته من فوق إطار النافذة في هذا اليوم. إنه لم يكن يتوقع ذلك أبداً...".

انكأْتُ نحو بريديت في ثمة.  
"إن الناس أغبياء حقاً. أنا لم أكن أدرك هذه الحقيقة من قبل".

قالت بريديت برقة:  
"لكنك كنت شديدة الذكاء".  
"نعم، نعم، ربما أنت محقة".  
قالت بريديت:  
"دكتور هامبلباي. لا بد أنك لاقيت مزيداً من الصعوبة في التخلص منه؟".

"نعم، من المذهل حقاً أن هذه الخطة نجحت: فربما كانت ثبوء بالفشل بالطبع، لكن جورودن كان يحدث الجميع عن زيارته لمؤسسة ويلرمان كروتز. ففكرت أنني ربما أستطيع التخلص

بالمئة وأنا أجلس إلى جوار فراشها وأدس الزرنينخ في شايفها. وبعد ذلك أخرج وأخبر الممرضة كيف كانت السيدة هورتون تشكو من المذاق اللاذع لعنب اللورد ويتفليدا والمرأة الغبية لم تردد هذا الكلام بعد ذلك، يا لها من خسارة!

وهناك الآخرون! بمجرد أن أسمع أن جورودن تشاجر مع أحد كنت أرتب بسهولة شديدة لحادث يقع له وهو كان غيباً. كان شديد القباء! فقد جعلته يؤمن بأن الله حباه بصفة خاصة للغاية! وذلك أن أي أحد يقف في وجهه ينال جزاءه، وقد صدق هذا بسهولة. جورودن المسكين! إنه يصدق أي شيء. يا له من شخص سهل الانخداع!".

تذكرت بريديت نفسها وهي تقول للوك في ازدراء:  
"جورودن! إنه يصدق أي شيء".  
"سهل الانخداع! سهل الانخداع للغاية. جورودن المسكين الساذج المفلول".

ولكن عليها معرفة المزيد! سهل! كان هذا سهلاً أيضاً! فهي ظلت تفعل هذا كسكرتيرة لسنوات! فطالما شجعت مروسيتها على الحديث عن أنفسهم، وكانت هذه المرأة تتوق إلى أن تتحدث، كي تتباهى بذكاؤها.

تمتعت بريديت:  
"ولكن كيف تمكنت من فعل كل هذا؟ لا أعرف كيف فعلت هذا!".

"كان ذلك سهلاً للغاية! كل ما كنت بحاجة إليه هو التنظيم! فحينما تم طرد أمي من المانور قمت بتعيينها على

قوية للغاية! فما كان منها إلا أن سقطت أمامها مباشرة. فأخبرت السيدة التى كانت تقف إلى جوارى أننى رأيت رهم السيارة وأملتيتها رهم سيارة جوردون الرولز، وتمنيت أن تميده على مسامع الشرطة.

ومن حسن حظى أن السيارة لم تتوقف؛ فكان سائق ما يتنزه بسيارة سيده دون علمه على ما أعتقد. نعم كنت سعيدة الحظ للغاية هناك. أنا دوماً سعيدة الحظ، ثم كان هذا الشجار مع ريفرز، ووجود لوك فيتزوليم كشاهد. كنت مستمتعة للغاية وأنا أقوم بتضليله! يا إلهى، كم كان صعباً أن أجعله يشك فى جوردون، ولكن بعد موت ريفرز كان ينبغى عليه ذلك!

والآن، حسناً، هذه الجريمة سوف تنهى الأمر بشكل لطيف". نهضت وجاءت ناحية بريديجت. قالت برهق: "جوردون نهدنى! كان سيتزوج منك. كم عانيت من الإحباط طوال حياتى. لم يتبق لى شيء. لم يتبق لى شيء على الإطلاق..."

"أيها السيدة العجوز النحيفة التى لا يحبها أحد..." كانت مائلة فوقها وتبتسم بعينيهما البرافتين ... بينما تلعب السكين...

وبكل ما أوتيت من قوة اندفعت بريديجت. وكفعل متوحش ألتقت نفسها بقوة فوق المرأة الأخرى لتصرعها للخلف وتمسك برسها الأيمن.

نزلت المفاجأة على وينفليت كالصاعقة: فسقطت للخلف بفعل قوة الانقضاض. ولكن بعد لحظة من الجمود بدأت

منه بطريقة تجعل الناس يتذكرون هذه الزيارة ويربطون بين الأمرين، وكانت أذن ونكى بوقذرة بالفعل ويخرج منها صديد. وقد نجحت فى غرس طرف مقصى فى يد الطبيب، وبعد ذلك تظاهرت بالانزعاج وصمعت على وضع ضمادة على الجرح. وهو لم يكن يعلم أن الضمادة ملوثة بتصريف أذن ونكى بو. بالطبع كان من المحتمل ألا ينجح الأمر. كانت مجرد مقامرة؛ وقد شعرت بسعادة غامرة حينما نجحت. وخاصة لأن ونكى بو كان قتل لافينيا". امتنع وجهها.

"لافينيا بنكرتون! كانت ترتاب بالأمر؛ هى التى عثرت على تومى فى ذلك اليوم. وبعد ذلك حينما تشاجر جوردون مع دكتور هامبلباى العجوز. ضبملتى أنظر إلى هامبلباى. لم أكن فى وعى فى هذه اللحظة؛ فكنت أتناول عن الطريقة التى يمكننى من خلالها التخلص منه... وقد كشفت أمرى! استدريت لأجدها تراقبى فأشحت بوجهى بعيداً؛ فقد أدركت أنها فضحتنى. لم يكن يوسعها إثبات شيء بالطبع. كنت واثقة من هذا، ولكننى على الرغم من ذلك كنت خائفة من أن يصدقها أحد. كنت خائفة عسى أن يصدقوها فى سكوتلاند يارد. كنت واثقة من أنها كانت ذاهبة إلى هناك فى ذلك اليوم. كنت أستقل نفس القطار وتبعته إلى هناك.

كان الأمر غاية فى السهولة. كانت تعبر شارع وايتهول. كنت خلفها مباشرة، وهى لم ترنى، إنها لم ترنى قط. جاءت سيارة بسرعة فقامت بدفعها بأقصى ما أوتيت من قوة؛ فأنا

سرد باختصار تلك الواقعة التي حدثت في منزل اللورد ويتفيلد. أنصت المراقب بأثر باهتمام بالغ.  
قال:

"قلت إنه كان يتلمس سكيناً. هل قال شيئاً معيناً عن هذه السكين يا سيد فيتزوليم؟ هل كان يهدد بفعل شيء به؟"  
"ليس صراحة. لقد اختبر النصل بطريقة قدرة. فكان متفمساً في شعور بالسعادة لم أكثرث له. وقد راود السيدة ويتفيلت نفس الشعور على ما أعتقد".

"هذه هي السيدة التي أتيت على ذكرها. السيدة التي عرفت اللورد منذ سنوات عديدة وكانت مخطوبة له ذات يوم؟"  
"هذا صحيح".

قال المراقب بأثر:

"أعتقد أنه من الآن فصاعداً يمكنك أن تكف عن القلق حيال الشابة يا سيد فيتزوليم؛ فأنا سأكلف شخصاً بمراقبتها جيداً، وبذلك، بالإضافة إلى تعقب جاكسون للورد، لن يكون هناك احتمال أن يحدث شيء خطير".

قال لوك: "لقد هدأت من روعى كثيراً حقاً".

أوماً المراقب في تعاطف.

"إنك في وضع صعب يا سيد فيتزوليم. كل هذا القلق حيال ملامة الأنسة كونيواي. أنا لا أتوقع أن تكون تلك القضية سهلة. فلا بد أن اللورد ويتفيلد هذا ذكي للغاية؛ فهو على الأرجح سوف يتحایل على القانون طويلاً. هذا إن لم يصل إلى المرحلة الأخيرة".

"ربما يتضح أن الأمر خطير بالفعل يا سيد فيتزوليم؛ فعينما يكون رجل مثل اللورد ويتفيلد متورماً بالأمر لا نرغب في ارتكاب أية أخطاء."  
"أنا أقدر هذا. هل أنت وحدك؟".

"لا، لا. جاء رقيب محقق معي. وهو يملأ سفن متارز، ومهمته هي مراقبة اللورد".

"نعم".

سأل بأثر:

"ألا يراودك أي شك يا سيد فيتزوليم، هل أنت واثق من أن هذا الرجل هو الفاعل؟".

"بناءً على الحقائق لا أجد نظرية أخرى محتملة. هل تريد مني أن أتلو عليك الحقائق".

"شكراً لك، لقد حصلت عليها من السير ولیم".

"حسناً، وماذا تعتقد؟ أفترض أنك تعتقد أنه من غير المحتمل أن يكون رجل في مكانة اللورد مجرمًا قاتلاً؟".

قال المراقب بأثر: "أشياء قليلة للغاية هي التي تبدولي غير محتملة. لا شيء مستحيل في عالم الجريمة. هذا هو شعاري الذي أرددته دومًا؛ فإن قلت لي إن امرأة عجوزاً أو رجل دين أو فتاة صغيرة في المدرسة هو مجرم خطير، فلن أجادلك وإنما سأبحث في الأمر".

قال لوك: "إن كنت قد حصلت على الحقائق الأساسية للقضية من السير ولیم، فسوف أروى لك ما حدث هذا الصباح".

"وما هى المرحلة الأخيرة تلك؟"

"نوع من الفرور المتضخم؛ حيث يظن المجرم أنه ما من سبيل للإيقاع به أنه ذكى للغاية والجميع أغبياء فى ذلك الحين نوقع به بالطبع".

أوماً لوك ثم نهض.

قال: "حسنًا، أتمنى لك حظًا سعيدًا. اطلب منى المساعدة متى احتجت إليها".

"بالتأكيد".

"أليس لديك اقتراحات معينة؟"

درس باثل السؤال فى ذهنه.

"لا أعتقد هذا. ليس فى الفترة الحالية. أريد فقط السيطرة على زمام الأمور بشكل عام فى المكان. ربما أحتاج للتحديث إليك مرة أخرى فى المساء".

"ربما".

"افنى ذلك الحين سوف أتعرف بصورة أفضل على ماهية الأرض التى تقف فوقها".

ساور لوك شعور غامض بالراحة والطمأنينة، العديديون يساورهم نفس هذا الشعور بعد التحدث إلى المراقب باثل.

نظر إلى ساعته. هل عليه العودة لرؤية بريدجيت قبل الغداء. ظن أن من الأفضل ألا يفعل؛ فقد تشعر السيدة وينفليت أن عليها دعوته لبقاء لتناول الغداء؛ مما قد يفسد لها ترتيب منزلها، فكان لوك يعرف من خلال خبراته مع عماته أن السيدات متوسطات العمر ينزعجن كثيرًا إن صادقتهن مشاكل

خاصة بترتيب المنزل، وتساءل إن كانت السيدة وينفليت عمه؟ ربما.

خرج من الملهى. توقفت سيدة ترتدى ملابس سوداء كانت تسير بسرعة بالشارع حينما رآته.

"سيد فيتزوليم".

"سيدة هامبلاى".

ذهب إليها وصافحها.

قالت:

"هلننت أنك رحلت؟"

"لا. فقط غيرت مقر إقامتى. أنا أقيم هنا الآن".

"ماذا عن بريدجيت؟ سمعت أنها تركت أش مانور".

"هذا صحيح".

تهدت السيدة هامبلاى.

"أنا سعيدة للغاية أنها رحلت عن ويتشود".

"لا، إنها لاتزال هنا. فى الواقع إنها تقيم فى منزل السيدة وينفليت".

عادت السيدة هامبلاى خطوة للوراء، ولاحظ لوك فى دهشة أن وجهها امتلأ رعباً.

"تقيم فى منزل وينفليت؟ لكن لماذا؟"

"كانت السيدة وينفليت كريمة للغاية ودعتها إلى الإقامة فى منزلها بضعة أيام".

ارتعدت السيدة هامبلاى واقتربت من لوك ووضعت يدها على ذراعه.

"يا سيد هيتزوليم . أعلم أنه ليس من حتى أن أقول شيئاً .  
أى شيء على الإطلاق . لقد عانيت الكثير من الحزن والأسى  
مؤخراً ، لذا ربما يكون خيالى هو من اخترع كل هذا ! ربما تكون  
مشاعرى تلك هى مجرد خيالات" .

قال لوك برفق:

"آية مشاعر؟"

"هذا الشعور الذى يساورنى بالـ . البشر! "

تظرت بخوف إلى لوك ، وحينما رأت أنه لم يفعل شيئاً سوى  
أن هز رأسه فى تهمهم ولم يشكك فى شعورها واصلت كلامها  
قائلة:

"الكثير من الشر . هذا هو الشعور الذى يلازمنى دوماً .  
شر هنا فى ويتشوود ، وهذه المرأة هى مصدر كل هذا الشر . أنا  
واثقة من ذلك! "

يدا لوك مصموفاً .

"أى امرأة؟"

قالت السيدة هاميلباى:

"السيدة وينفليت ، أنا واثقة من هذا ، إنها امرأة شريرة  
للفاية! أرى أنك لا تصدقنى! لم يصدق أحد بنكرتون كذلك ،  
ولكن أنا وهى ساورنا نفس الشعور ، وهى كما أعتقد كانت تعرف  
أكثر مما أعرف أنا... ولا تمنى يا سيد هيتزوليم أن المرأة قد  
تفعل أى شيء إن كانت تميمسة" .

قال لوك برفقة:

"ربما يكون هذا . صحيحاً" .

"أنت لا تصدقنى؟ حسناً ، ولماذا قد تفعل؟ ولكنى لن أنسى  
قط اليوم الذى عاد فيه جون بجرى فى يده من منزلها ، بالرغم  
من أنه استهان بالأمر وقال إنه مجرد خدش" .  
استدارت .

"وداعاً ، من فضلك انس ما قلته لك لتوى! فأنا لمت على  
سجيتى فى هذه الأيام" .

راقبها لوك وهى ترحل . تساءل لماذا نعتت السيدة  
هاميلباى السيدة وينفليت بالمرأة الشريرة . هل كان دكتور  
هاميلباى والسيدة وينفليت صديقين ، وكانت زوجة الطبيب  
تشعر بالغيرة؟

ما الذى قالتها؟ "لم يصدق أحد بنكرتون كذلك" . إذن لابد  
أن بنكرتون كانت قد أفضت بعضاً من شكوكها إلى السيدة  
هاميلباى .

عاودته ذكريات عربة القطار بسرعة وتذكر الوجه القلق  
للسيدة المعجوز اللطيفة . سمع مجدداً صوتاً جاداً يردد:  
"النظرة على وجه هذا الشخص ، والطريقة التى تغير بها  
وجهها وكأنها ترى شيئاً بوضوح فى عقلها . ظن للحظة أن  
وجهها كان مختلفاً ، شفتاها عاثرتان وراء أسنانها بينما توجد  
نظرة تحديق غريبة فى عينيها .

قال لنفسه فجأة: "ولكننى رأيت شخصاً ينظر هذه النظرة  
نفس هذا التعبير... مؤخراً . متى؟ هذا الصباح! بالطبع!  
السيدة وينفليت حينما كانت تنظر إلى بريديجيت فى غرفة  
الاستقبال فى المانور" .

اجتاحته ذكرى أخرى فجأة، ذكرى مضى عليها الكثير من السنوات. عمته ميلدرد وهى تقول: "ببت يا عزيزى كشخص أحمقاً" وطوال دقيقة ولد وجهها السوى المريح تعبيراً أبلى عقيماً.

كانت ينكروتن تتحدث عن النظرة التى رأتها على وجه رجل لا، على وجه شخص. هل من الممكن أن يكون خيالها الخصب هو الذى. ولولمجرد لحظة. ولقد النظرة التى رأتها. نظرة قاتل ينظر إلى ضحيته التالية...

وهو شبه غير مدرك لما يفعله أسرع لوك خطاه تجاه منزل السيدة وينفليت.

كان هناك صوت فى رأسه ظل يردد ويردد:

"ليس رجلاً. إنها لم تقل إنه كان رجلاً. أنت افترضت أنه كان رجلاً لأنك كنت تفكر برجل. ولكنها لم تقل هذا قط. يا إلهى! هل أنا مجنون؟ إن ما أفكر به مستحيل. ليس منطقياً... ولكن على الذهاب إلى بريديت. لا بد أن أتأكد أنها بخير. هاتان العيانتان. هاتان العيانتان الكهرمانيتان الغريبتان. أنا مجنون! لا بد أن أكون مجنوناً! إن ويتفيلد هو المجرم! لا بد من هذا. لقد اعترف بهذا تقريباً!"

ومع ذلك وهى شئ أشبه بالكابوس رأى وجه السيدة وينفليت عبره تعبير شنيع وليس سوياً بالمرّة.

فتحت الخادمة شئيلة الحجم الباب من أجله. قالت وهى تشعر بالفزع من العنف الذى فاجأها به:

"إن الأنسة خرجت. السيدة وينفليت طلبت منى أن أخبرك بهذا. سوف أرى إن كانت السيدة وينفليت بالداخل".

اندفع داخل المنزل ودلف داخل غرفة الاستقبال. ركضت إملى صاعدة الدرجات، وهبطت للأسفل منقطعة النفس.

"السيدة خرجت كذلك".

أمسك لوك بها من ذراعها.

"أى طريق سلكت؟ أين ذهبتا؟"

حدقت به وهى فاعرة فمها.

"لا بد أنهما خرجتا من الباب الخلفى؛ فكنت سأراهما لو أنهما خرجتا من الباب الأمامى؛ لأن نافذة المطبخ مجاورة للباب الأمامى".

تبعته أثناء ركضه خلال الباب حتى الحديقة الصغيرة ومنها إلى خارج المنزل. كان هناك رجل يجز سياجاً من الشجيرات. ذهب إليه لوك وطرح عليه سؤالاً وهو يصارع للتحدث بصوت طبعى.

قال الرجل ببطء:

"أمرأتان؟ نعم، منذ بعض الوقت. كنت أتناول عشاءى أسفل السياج، والغريب أنهما لم يريانى".

"أى طريق سلكتا؟"

ظل يصارع للتحدث بنبرة صوت طبيعية، ومع ذلك فقد فتح الرجل الآخر عينيه أكثر أثناء إجابته ببطء:

"عبر الحقول... من هذا الطريق. لا أعرف إلى ماذا يؤدى

هذا الطريق".

شكره لوك. بدأ يركض. ازداد شعوره بأن عليه الإسراع. لابد أن يلحقهما. لابد من ذلك، ربما يكون مجنوناً تماماً؛ فعلى الأرجح هما يتمشيان معاً. ولكن شيئاً ما صرخ بداخله مطالباً إياه بالإسراع. الإسراع أكثر! عبر حقلين، ووقف متردداً فى طريق ريفى. أى طريق عليه أن يسلك الآن؟

بعد ذلك سمع الاستغاثة. ضعيفة، بعيدة، ولكن لا مجال للخطأ بشأنها...

"لوك، ساعدنى". ومرة أخرى "لوك".

على الفور اندفع داخل الغابة وركض فى الاتجاه الذى جاءت منه الصرخة. كانت هناك مزيد من الأصوات الآن. شجار. لهات. صرخة خفيفة تشبه القرقرة.

وصل عبر الأشجار فى الوقت المناسب لينتزع يدى امرأة مجنونة من فوق حلق ضحيتها؛ ليمسكها وهى تصارع وتسب حتى ارتعدت وتشنجت فى النهاية وتصلبت بين يديه.

www.lilias.com/bb3  
uploaded and scanned  
by:

THE GHOST 92

## الفصل ٢٣

### بداية جديدة

قال اللورد ويتفيلد: "لكننى لا أفهم. أنا لا أفهم".

صارع للحفاظ على رباطة جأشه، ولكن أسفل هذا المظهر المتعالى كان جلياً سيطرة شعور بالارتباك المثير للشفقة عليه؛ فهو بصعوبة تمكن من تصديق الأشياء الغريبة التى أخبروه بها.

قال باتل فى صبر: "وهذه هى خلاصة الأمر يا لورد ويتفيلد. وقد اكتشفنا وجود تاريخ مرضى للإصابة بالجنون فى العائلة. اكتشفنا ذلك الآن، وهذا أمر شائع فى مثل هذه العائلات القديمة. لابد أنها كانت لديها استعداد للإصابة بالمرض. ومع ذلك فقد كانت سيدة طموحة أصابها الإحباط، أولاً بسبب مستقبلها المهنى، وثانياً بسبب خطبتها". سمل المراقب. "وأنا أعرف أنك أنت من قام بنبذها".

قال اللورد ويتفيلد فى خشونة:

"أنا لا أحب كلمة نبذ".

عدل المراقب بأقل عبارته.

"كان أنت من فسح الخطيئة؟"

"حسنًا، نعم."

قالت بريديجيت: "أخبرنا عن السبب يا جوردون."

تورد وجه اللورد ويتفيلد بعض الشيء. قال:

"حسنًا، إن كان يتحتم عليّ ذلك، كان لديها مظاهر كناري،

كانت مغمرة به للغاية. كان معتادًا على تناول حبات السكر من فوق شفتيها. في أحد الأيام نقر شفتها بمنف فاجتاحها شعور بالغضب والتقطت الطائر ودكت عنقه! اختلف شعوري نحوها منذ ذلك الحين، وأخبرتني أن كلينا ارتكب خطأ بارتباطه بالآخر."

أومأ باتل قائلاً:

"كانت تلك هي البداية! فكما أخبرت الأنسة كونواي فقد كرسيت وينفيلت كل تفكيرها وقدراتها العقلية لهدف وغرض واحد."

قال اللورد ويتفيلد في شك:

"أن يمتد الجميع أنني قاتل؟ لا أستطيع تصديق هذا!"

قالت بريديجيت: "هذه هي الحقيقة يا جوردون. أنت نفسك شعرت بالدهشة من الطريقة الغريبة التي يلقي بها حقه كل من يضايقك أو يزعجك."

"هناك سبب لذلك."

قالت بريديجيت: "وينفيلت كانت السبب. حاول دراسة الأمر في عقلك يا جوردون، لم تكن لكمنة خاصة هي التي دفعت

تومى بيرس من النافذة أو التي قتلت باقى الضحايا. وينفيلت هي التي قامت بذلك".

هز اللورد ويتفيلد رأسه قائلاً:

"يبدو الأمر غير قابل للتصديق لي!"

قال باتل:

"تقول إنك قد تلقيت رسالة عبر الهاتف هذا الصباح؟"

"نعم. في حوالي الساعة الثانية عشرة. طلب مني المتصل أن أتوجه إلى شووود على الفور لأنك، يا بريديجيت، كان لديك شيء لقوليه لي، ويجب عليّ أن أذهب سيرًا على الأقدام دون أن أستقل السيارة."

أومأ باتل.

"تمامًا، كانت تلك ستكون النهاية. كان سيتم العثور على الأنسة كونواي منحورة وإلى جوارها سكينك وعليها بصماتك! وأنت نفسك سيتم رؤيتك في الجوار في ذلك الوقت! كانت التهمة ستلتصق بك بدون شك، وأي هيئة محلفين في العالم كانت لتدينك لا محالة."

قال اللورد ويتفيلد في فزع: "أنا، من كان ليصدق أنني قد أقوم بشيء مثل هذا؟"

قالت بريديجيت بركة:

"أنا لم أصدق يا جوردون، لم أصدق هذا ولو للحظة

واحدة!"

نظر إليها اللورد ويتفيلد ببرود ثم قال بخشونة:

لذا فقد علمت أن جزءاً من القصة لم يكن صحيحاً. وإن كنت محقة، إذن فالسيدة بنكرون كانت تكذب، وإن أمضت التفكير في الأمر كنت ستجد أنها كذبة غريبة حقاً! ثم تساءلت فجأة إن كانت قد رددت مزيداً من الأكاذيب. كانت امرأة معتزة بذاتها للغاية، وكان هذا جلياً، لا بد أن أمر نبذها قد جرح كرامتها بشدة، ولابد أنه جعلها تحنق على اللورد ويتفيلد وترغب في الانتقام منه. وخاصة، كما تراه لى، بعد نجاحه الكبير وتكوينه ثروة ضخمة: قفلت لنفسى: "نعم، إنها على الأرجح تتلذذ بالمساعدة في تدبير مكيدة ضده". بعد ذلك انتابنى شعور غريب جعلنى أفكر بهذه الطريقة. ولكن ماذا لو أن كل شيء قالته كان مجرد كذبة. وفجأة أدركت كم من السهل بالنسبة لامرأة مثلها أن تخدع رجلاً ثم فكرت: "هذا أمر بعيد الاحتمال، ولكن ماذا لو أن هـى من قتلت كل هؤلاء الأشخاص وأقمت جوردون بأنهم يبالغون عقاباً إلهياً". من السهل للغاية أن تقنعه بمثل هذه الفكرة. فكما أخبرتك ذات مرة بأن جوردون يصدق أى شيء! وقلت لنفسى: "هل من الممكن أن تكون ارتكبت كل هذه الجرائم؟"، ورأيت أن هذا محتمل! فاستطاعتها دفع الرجل السكرى. ودفع طفل خارج النافذة. كما أن أمى جيس ماتت في منزلها، والسيدة هورتون كذلك. فقد اعتادت وينفيلت الذهاب إليها ومرافقتها أثناء مرضها. ودكتور هامبلاى هو الذى لاقيت صعوبة في معرفة طريقة قتله. لم أكن أعرف أن ونكى بو لديه فطريات في أذنه وأنها قد لمخت الضمادة التى وضعتها على يده بهذا

"نظراً للمليحة شخصيتى ومكانتى في المقاطعة لا أعتقد أن أى شخص كان ليصدق ولو للحظة واحدة أنني قد ارتكبت مثل هذه الجرائم البشعة!".  
غادر الغرفة في عجرفة وأغلق الباب وراءه.

قال لوك:

"إنه لن يصدق أبداً أنه كان في خطر حقيقى!".

ثم قال:

"هيا يا بريدجيت، أخبرينا كيف ارتبت في السيدة وينفيلت؟".

شرحت لهما بريدجيت:

"كان ذلك حينما أخبرتنى بأن جوردون هو القاتل. لم يكن في وسعى تصديق هذا الفكا تعرف، أنا أعرفه جيداً: فأنا ظلمت أعمل لديه عامين كمسكرتيرة! كنت أعرفه في الداخل والخارج! كنت أعلم أنه مغرور وأناانى للغاية، ولكننى كنت أعرف كذلك أنه شخص طيب القلب إلى حد سخي: فهو لم يكن يستطيع قتل دبور. وهذه القصة عن قتله طائر السيدة وينفيلت الكئارى كانت خاطئة. لم يكن في وسعهم ببساطة القيام بذلك، وهو كان قد أخبرنى ذات مرة بأنه نبذها، ولكنك أصبرت على أن العكس هو ما حدث. حسناً، ظلمت أن هذا ربما يكون صحيحاً! فقد يكون كبرياؤه قد منعه من الاعتراف بأنها هـى التى نبذته. ولكننى لم أصدق قط قصة الكئارى! فليس جوردون هو من يفعل شيئاً كهذا! فهو لم يكن يصطاد! لأن رؤية الحيوانات الميتة كانت تجعله يشعر بالقيء".

"أنت يا عزيزى كنت واثقاً للغاية، وأنا لم أكون واثقة على الإطلاق! كان الأمر برمته يبدو غامضاً ومثيراً للشك، ولكننى لم أحلم أننى قد أكون معرضة للخطر. ظننت أنه لا زال أمامى متسع من الوقت..."

ارتعدت.

"يا إلهى يا لوك! كان الأمر مرعباً... عيناها... وتلك الضحكة البشعة غير البشرية..."

قال لوك وهو يرتعد قليلاً:

"أنا لن أنسى أبداً أننى وصلت إلى هناك فى الوقت المناسب تماماً".

استدار صوب باتل قائلاً: "كيف حالها الآن؟"

قال باتل: "لقد جن جنونها؛ فهذا طبيعى كما تعلم. فهم لا يستطيعون قبول الصدمة بأنهم لم يكونوا أذكياء كما كانوا يعتقدون".

قال لوك فى حزن:

"حسناً، أنا لست شرطياً ماهراً! أنا لم أشك فى وينفليت ولو مرة واحدة. لقد أبليت بلاء حسناً حقاً يا باتل".

"ربما يكون هذا صحيحاً وربما يكون لا؛ فربما تتذكر أننى قلت لك إنه لا شيء مستحيل فى عالم الجريمة، كما أننى أتيت على ذكر امرأة عجوز حسيماً أتذكر".

"أنت ذكرت كذلك رجل الدين وهتتا صغيرة فى المدرسة! هل أفهم من ذلك أنك من الممكن أن ترتاب فى كل هؤلاء الأشخاص بوصفهم مجرمين محتملين؟"

التصريف. ولم أعرف كذلك كيف قتلت السيدة بنكرتون لأننى لم أكن لأتخيل أن السيدة وينفليت بإمكانها التكر فى ملايس سائق وقيادة سيارة رولز.

وبعد ذلك - فجأة - اكتشفت أن الأمر كان يسيراً للغاية! دفعتها من الخلف، وهو أمر يمكنها القيام به بسهولة وسط الزحام. والسيارة لم تتوقف؛ لذا فقد رأتها فرصة سانحة وأخبرت امرأة أخرى أنها رأت رقم السيارة وأعطتها رقم سيارة اللورد ويتفيلد الرولز.

بالطبع، خطر لى كل ذلك ولكن بصورة غير واضحة، ولكن إن لم يكن جوردون هو من ارتكب هذه الجرائم. وكنت أعلم أنه لم يرتكبها، إذن فمن فعل هذا؟ وبدت الإجابة واضحة للغاية. "شخص ما يعقت جوردون؟"، ومن ذا الذى يعقت جوردون؟ وينفليت بالطبع.

وبعد ذلك تذكرت أن السيدة بنكرتون أكدت أن القاتل هو رجل. وهذا دحض نظريتى الجميلة؛ لأنه فى حالة إذا لم تكن السيدة بنكرتون محقة ما كانت تعرضت للقتل... لذا طلبت منك أن تميد على كلمات السيدة بنكرتون بدقة، وسرعان ما اكتشفت أنها لم تقل أن القاتل هو "رجل" ولو مرة واحدة. فى ذلك الحين شعرت أننى محقة! لذا قررت قبول دعوة السيدة وينفليت للإقامة فى منزلها، وعقدت العزم على كشف الحقيقة.

قال لوك بغضب: "دون أن تقول لى كلمة واحدة عن كل هذا؟"

"أنا أرتب لتشر سلسلة من المقالات على الفور. جرائم ارتكبتها امرأة على مدار فترة طويلة".

حدقت إليه بريدجيت بإعجاب.

"جوردون، أعتقد أنها فكرة مذهشة".

نفخ اللورد ويتفيلد صدره.

"من فضلكما اتركانى وحدى. لا أريد أن يزعجنى أحد؛

فأمامى الكثير من العمل للقيام به".

خرج كل من لوك وبريدجيت من الغرفة.

قالت لبريدجيت: "ولكنه لطيف حقاً".

"بريدجيت، أعتقد أنك كنت مفرمة بهذا الرجل للغاية".

"أتدري شيئاً يا لوك؟ أعتقد أن هذا صحيح".

نظر لوك خارج النافذة.

"سوف أكون سعيداً بالرحيل عن ويتشود. أنا لا أحب هذا

المكان. هناك الكثير من الشر هناك كما قالت السيدة هامبلباى،

لا أحب الطريقة التى يحتضن بها تل آش ريدج القرية".

"بمناسبة آش ريدج، ماذا عن إيلسورثى؟"

ضحك لوك وهو يشعر ببعض الخزي.

"هذا الدم الذى كان يوجد فوق يديه؟"

"نعم".

"يبدو أنهم قتلوا ديكاً أيضاً".

"يا له من أمر مثير للاشمئزاز".

"أعتقد أن ثمة شيئاً غير سار سوف يحدث لصديقنا السيد

إيلسورثى؛ فهاثل يخطط مفاجأة صغيرة له".

اتسعت ابتسامة بانل.

"من الممكن أن يكون أى أحد مجرمًا يا سيدى، هذا ما قصدته".

قالت بريدجيت: "فيما عدا جوردون. لوك، تعال نذهب للبحث عنه".

وجدأ اللورد ويتفيلد فى مكتبه مشغولاً بكتابة الملاحظات.

قالت بريدجيت بصوت خفيض رقيق: "جوردون، بعد أن عرفت الحقيقة الآن، هلا سامحتنا من فضلك؟".

نظر إليها اللورد ويتفيلد بدمائة.

"بالتأكيد يا عزيزتى، بالتأكيد. لقد عرفت الحقيقة، لقد

كنت رجلاً مشغولاً للغاية، وبالتالي أهملتكم. حقيقة الأمر هى

كما صاغها كيبلنج بحكمة "إنه يسافر بأقصى سرعة ذلك

الذى يسافر وحده". هز كتفيه مضيقاً: "أنا أحمل على

عاتقى مسئولية كبيرة، ولا بد أن أحملها وحدى؛ فمن المستحيل

أن أحظى بالرفقة، فلن يخفف أحد الحمل عني. لا بد أن

أمضى قدماً فى الحياة وحدى حتى توافينى المنية فى نهاية

الطريق".

قالت بريدجيت:

"عزيزى جوردون! أنت بالفعل لطيف للغاية".

قلمب اللورد ويتفيلد.

"إن الأمر لا علاقة له بكونى لطيفاً. دعينا نبعد عن كل هذا

الهراء. أنا فقط رجل مشغول".

"أعلم هذا".

قالت بريدجيت:

"والرائد هورتون المسكين لم يحاول قط كذلك قتل زوجته، والسيد آيوت ثار فقط بشأن خطاب تسوية تلقاه من سيدة ما، ودكتور توماس ما هو إلا طبيب شاب لطيف".

"إنه أحق متفطرس!".

"أنت تقول ذلك لأنك تشعر بالغيرة من زواجه من روز هامبلياي".

"إنها تستحق من هو أفضل منه".

"طالما شعرت أنك معجب بهذه الفتاة أكثر مني".

"عزيزتي، لا تكوني سخيفة".

"لا، أنا لست سخيفة".

سكنت دقيقة ثم قالت:

"لوك، هل أنت معجب بي الآن؟".

أقرب منها خطوة ولكنها أبعدته.

"قلت معجب بي وليس تحبني".

"أما نعم... أنا معجب بك يا بريدجيت، كما أنتى أحبك".

قالت بريدجيت:

"وأنا معجبة بك يا لوك...".

ابتسما لبعضهما البعض، في خوف. كطفلين تصادقا في حفل ما.

قالت بريدجيت:

"إن الإعجاب أهم من الحب؛ فهو يستمر، وأنا أريد أن يستمر ما بيننا يا لوك، لا أريد أن نحب فقط بعضنا البعض ونتزوج ثم نمل من بعضنا".

"أعلم هذا يا حبيبتي، أنت تريدين الواقع، وكذلك أنا. إن ما بيننا سوف يستمر للأبد؛ لأنه قائم على الواقع".

"هل هذا صحيح يا لوك؟".

"هذا صحيح يا عزيزتي. وأظن أن هذا هو السبب الذي

جعلني أخاف من الوقوع في حبك".

"أنا كنت خائفة من الوقوع في حبك كذلك".

"هل أنت خائفة الآن؟".

"لا".

قال:

"نحن كنا قريبين من الموت على مدار فترة طويلة، ولكن

هذا الأمر انتهى الآن. سوف نبدأ حياتنا...".

2013Q1

تمت بحمد الله و توفيقه

## القتل السهل



«واحدة من أفضل روايات الألفاز لأجاثا كريستي؛ حبكة رائعة، وشخصيات حية. وأسلوب كتابة عبقرى»  
 لم يصدق لوك فيتزوليم ادعاء السيدة بنكرتون الجامح بأن قاتلا ارتكب عدة جرائم قتل ولا يزال يواصل ارتكاب جرائمه. وهو طليقي في قرية ويتشوود الإنجليزية الهادئة، وأن طبيبا محليا هو الضحية التالية.

لكن في غضون ساعات تلقى السيدة بنكرتون مصرعها بعد أن دهستها سيارة مسرعة. مجرد مصادفة؟ اعتقد لوك هذا - حتى قرأ في جريدة التايمز نعي دكتور هامبلباي ...

«تشويق، غموض، رومانسية. وجو يفلفه الرعب والإثارة».

الجارديان